

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معهد البحوث والدراسات العربية

الأدب اليهودي المعاصر

الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على

[قسم البحوث والدراسات الفلسطينية]

١٩٧٢

توطئة

الأدب اليهودى المعاصر لم يدون فى لغة بعينها أو بلد بعينه شأنه شأن الآداب الأخرى ، وذلك لأن اليهودى منذ تشريده الأخير فى القرن الأول الميلادى لم يستقر فى وطن بعينه ، كما أنه افتقد اللغة العبرية ، التى نقل إليها كتابه المقدس ، منذ القرن الثانى قبل الميلاد . فاليهودى طريد وطن وطريد لغة ، والوطن واللغة هما الدعامتان الأساسيتان للأدب القومى .

فاليهودى أنى حل يتعلم لغة الشعب المضيف وإذا اضطر إلى التنكر ابتدع لغة سرية ليتستر وراءها من الجوييم كما فعل فى قلب أوربا فأوجد اللغة التى تعرف باسم (اليديش) وخرج من أسبانيا متجهاً شرقاً يحمل اللغة المعروفة باسم اللادينو .

وهاتان اللغتان لا تنتميان كما هو الحال فى اللغات القومية إلى أسرة لغوية بعينها فاللغتان اليهوديتان وبخاصة اليديش هى لغة الكثرة اليهودية فى العالم ، إلى جانب اللغات الأخرى ، التى يطوعها اليهودى ليجعل منها لغة علمية غنية إلى جانب اللغات الأخرى . ونحن إذا أردنا أن نتتبع التراث العقلى اليهودى يجب أن نلتمسه فى معظم اللغات العالمية فمؤرخ هذا الأدب لن يستطيع الإلمام به إلا إذا حاول الإحاطة به فى مظانه اللغوية المختلفة .

وقد حاولت هنا أن أقدم مجموعة عالمية أعنى أدباء من مختلف اللغات ذكوراً وإناثاً لكى أمكن القارىء من الإحاطة ببعض التراث الأدبى اليهودى وأرجو أن يأتى بعدى من يستكمل هذه المحاولة وبخاصة فبعض أدباء اليهودية قد حصل على جائزة نوبل وجوائز أدبية رفيعة أخرى .

المعادي — أبريل ١٩٧٢

فؤاد حسنين علي

المجتمع اليهودي المعاصر

إن الذين ولدوا في فلسطين وتوارثوها منذ مئات السنين أجلوا عنها وحرموا من الانتماء إليها ويقتلون زرافات ووحدانا إذا ما عاودهم الحنين إليها وحاولوا مشاهدتها أو الاقتراب منها ، وهم اليوم عرب فلسطينيون ولا وطن لهم ، وهذا باطل .

وباطل الأباطيل أن فلسطين العربية وطن الآباء والأجداد أصبحت قسوة وقهراً وطنا لجماعات من أشتات المعمورة لا تربطهم بها صلة الوطن أو اللغة أو الحياة فهم لم يرطنوا منذ عشرات القرون لغة أو لهجة سامية فلسطينية .

إن الفرد من أولئك المستعمرين الدخلاء جاءها هرباً من اضطهاد أو مرتزقاً في خدمة المطامع الاستعمارية الجديدة . والواقع أن دعوى الصهيونية التي رفعها الاستعمار الحديث شعاراً طمعاً في القضاء على العروبة والاستيلاء على ثروات البلاد العربية دعوة باطلة لا تستند على سند تاريخي علمي .

وكل باحث يزور اليوم فلسطين وبخاصة إذا كان هذا الباحث متخصصاً في الدراسات الأنتروبولجية يدرك للوهلة الأولى أن هذا الخليط جنساً وثقافة ولغة ليس من العروبة أو السامية في شيء فحتى خصائص اللغة العبرية السامية أعني حروف الحلق مثل الحاء أو العين وحروف الأطباق مثل الصاد أو الطاء وغيرها من الأصوات التي تتميز بها اللغات السامية عاملا لن يستطيع هذا الاسرائيلي الدعي النطق بها فضلا عن الخصائص الأخرى مثل الزمنية والوقتية والشديدة والرخوة والأطباق والانفتاح والاستعلاء والاستفال والذلاقة والاصمات وما إليها فجميع هذه الخصائص ضرورة كبرى بمن ينظمون

الشعر أو يعنون بالنثر الفنى كما هو مشاهد فى عبرية العهد القديم نثراً أو شعراً. ومن العبث حقاً أن يطلع علينا شاعر إسرائيلى بكلام ممسوخ وعروض يونانى إن دل على شيء فعلى بطلان دعواهم القائلة بأنهم عنصر سامى وأن فلسطين تصلح لأن تكون مأواهم .

إن المجتمع الذى نجده اليوم فى فلسطين هـــو مجتمع أوروبى آسيوى أفريقى أمريكى مفكك لأن أفراده انتزعوا من البلاد التى جاءوا منها وغرسوا غرساً جديداً فى تربة لا بد وأن تبيدهم لأنهم غرباء عليها، وهذه سنة الطبيعة والوجود ، لذلك أحجم كثيرون من الذين خدعتهم الدعاية ووفدوا إليها عن البقاء فيها هم فى الحقيقة لاجئون(١) لا يشعرون أنهم مواطنون تربطهم بالبلاد رابطة ما بالرغم من تظاهرهم باليهودية أن الفرق شاسع بين اليهودى وبين الإسرائيلى فالمقيمون فى فلسطين اليوم يشكلون فيما بينهم مشكلة حقيقية فالمقيمون يطلقون على أنفسهم (عبريين) ولا يستخدمون لفظ يهودى إلا ليعبروا عن اليهودى الأجنبى غير المقيم فى فلسطين أو اليهودى اللاجىء الجديد أو عند التعبير عن الدين . أما لفظ (عبرى) فقد اختصوا به أنفسهم وكل ما يتصل بهم فهنا نجد الجيش العبرى والأمة العبرية والمنشآت العبرية .

ومصدر هذا الارتباك أن الصهيونية العالمية خدعت نفسها وغيرها عندما نادت بأن اليهود المنتشرين فى كثير من القارات يكونون أمة بالمعنى الحديث للفظة (أمة Nation) لها كيانها الخاص بها سواء كان هـذا الكيان قائماً أو سيقوم وجرياً وراء هـذا الرأى الخاطىء ظنت الصهيونية أن المسألة لا تتعدى نقل هذه الجماعات من البلاد التى تنزلها وحشدها فى فلسطين. ويعتقد

---

(١) " Sie sind Juden, die in Israel in permanenter Emigration leben " Arno Ullmann, Israel p. 6 (Diederichs Verlag, 1967, Düsseldorf-Köln)

الصهيونيون أن جماعة من اليهود أقامت فترة من الزمن فى فلسطين يجب أن تستوعب فلسطين سائر يهود العالم .

وقد أثبتت الحوادث أن هذا رأى خاطئ ، فقد جاء الصهيونيون ببعض اليهود وأسكنوهم فلسطين ، إلا أن الغالبية العظمى من اليهود لم تبد أية رغبة فى الانتقال إليها وظل أولئك اليهود حيث هم .

إن مثل اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين مثل أولئك الذين نزحوا إلى أمريكا أو كندا أو استراليا أو غيرها فكما أن الأمريكى لا يرتبط اليوم بالبلد الذى نزح منه أصلا كذلك الحال مع اليهودى . مع ملاحظة أن مهاجرى أمريكا أو استراليا مثلا جاءوا من أمة قائمة أو من أمم لها كيانها السياسى والجنسى والجغرافى واللغوى بخلاف الحال مع اليهود وفلسطين . ويؤيد هذا الرأى كثيرون من اليهود سواء كانوا من رجال الدين أو غيرهم مثل الحاخام الأمريكى (يوئيل تيتل بوم Joel Teitelbaum (١))فهو يقاوم فكرة قيام دولة إسرائيل الحالية ويسفهها كما يعارض شعاراتها ومعاهدها . . وإن كان ولا بد من قيام دولة إسرائيلية أو أمة إسرائيلية لتسقط من حسابها الديانة اليهودية . وهذا الرأى تنادى به أيضاً جماعة (الرابطة الاشتراكية) (Socialist Bund .) وانشقت من الصهيونيين جماعة تسمت باسم الكنعانيين وينادى أنصارها بوجوب قطع الصلة بين الرعايا الإسرائيليين وبين اعتقادهم فى استمرار التاريخ اليهودى وعليهم أن يعتبروا أنفسهم أمة قديمة حديثة تفرقة بينهم وبين يهود المهجر ويتعامون عن الماضى الذى يعيش فيه اليوم الشرق الأوسط . ومن هذه الناحية فاتباع المذهب الكنعانى يتبعون عصر العهد القديم أو الفترة التى تلى ذلك العهد .

راجع In this spectrum there is one view - that of R. Joel Teitelbaum in the USA - which is far from proposing assimilation but rejects with violence and disgust the idea the Jews exist today=

وهذا الوضع الشاذ فى المجتمع الإسرائيلى المكون من جماعات وفدت من ثلاثين دولة ويتحدثون سبعين لغة ومن بينهم عالم الفيزياء الأمريكى وساكن كهوف جبال الأطلس المغربى ومن عالم ألمانى إلى خادمة عراقية يجب أن تتعلم استخدام المرحاض وفى مطعم مطار اللد مثلا نجد المضيفة الإسرائيلية وعلى ذراعها وشم معتقل (أوشفيتس Auschwitz) ورقها بين نزلائه . وفى نفس المطار نجد إحدى طائرات العال الإسرائيلية وقد قدم عليها يهودى يمنى بلحيته وسوالفه ومن قبل كان يجب عليه أن يترجل عن دابته إذا ماالتقى بسيد من سادة اليمن. كذلك نجد فى هذا المجتمع الإسرائيلى الليبى يعمل فى محرك ذرى وقد كان منذ زمن ليس بعيداً يشعل سيجارته بالقداحة الصوانية (الزناد) . وليس بالعجيب أن نلتقى فى هذا المجتمع بأم طالب الطب فى الجامعة العبرية تزين صدرها بالتعاويذ التى زينت بها من قبل إبنها

=

as a nation. He loathes the secular State of Israel. The utter dismissal by rabbi Teitelbaum of the unity of modern Jewish society in Israel (and not only in Israel), his rejection of its Symbols, its institutions, and its struggles.

We may mention here, by way of contrast, the various proposals that the Jews should exist as a nation but drop their religion. This is the line taken, for example, by the " Socialist BUND"and it underlies some of the movements in Zionism. Among the latter there has even appeared a " Canaanite " movement which proposes that the Jews in the State of Israel should cut themselves off from the historic continuoty of Judaism and regard themselves as a new-old nation, different from Disapora Jewry and " blending with the background" of the present-day Middle East; from this standpoint the "Canaanite" regard themselves as chiefly related to the Biblical period or rather to the distant pre-Biblical period. " H. H. Ben-Sasson, Modern Jewish Thought and Society (Journal of World History. Social Life and Social Values of the Jewish People - Vol XI 1 - 2) 1968" p. 339-340 "

رقية ووقاية له من الأرواح الشريرة . والإسرائيلى الذى كان من قبل يقضى يوم السبت قرير العين سعيداً لا يحمل شيئاً أصبح اليوم يكدح فى صحراء النقب .

وهكذا تقدم إسرائيل اليوم نماذج من الحياة المتنافرة والعادات والتقاليد المتباينة فهنا نشاهد حرفاً ترجع إلى أقدم العصور مع أحدثها فإلى جانب المحراث الخشبي نجد الآلة الميكانيكية .

وهذا الوضع الشـــاذ فى تاريخ المجتمعات الانسانية دفع العالمة الانتروبولوجية الأمريكية (مرجريت مياد Margaret Mead)(١) إلى زيارة فلسطين دارسة فاحصة وبعد أن عادت إلى الولايات المتحدة الأمريكية حاضرت فى نيويورك فيما شاهدت فى فلسطين وقابلت بين فلسطين بطبيعتها الصحراوية والمهاجرين الدوليين المقيمين فيها والذين يراد منهم استيطانها واعتبارها وطناً لهم وبين الإنجليز الذين هاجروا إلى استراليا فوقعت الجفوة بين وحشة الأرض الاسترالية ومروج بريطانيا وحنانها . والتنافر بين الطبيعتين ، الطبيعة الإنجليزية التى هى وليدة البيئة البريطانية وبين استراليا وصحاريها القاسية المحرقة ومن ثم انتهت الباحثة إلى القول أن الأمر فى فلسطين بالنسبة للوافدين عليها هو بعينه وضع الإنجليز فى استراليا .

وأدرك الصهيونيون هذا المأزق فحاولوا التخفيف من حدته فاختاروا للقوم الذين لجأوا إلى فلسطين وإلى هذا اللجوء لفظ (عليا) وهو لفظ يفيد فى العبرية معنيين الهجرة من ناحية والسمو الروحى من ناحية أخرى أعنى اليهودية كعقيدة دينية .

وإذا أخذنا بالاعتبار أن يهود شرق أوربا ينتمون إلى منطقة ثقافية تغاير

---

(1) Arno Ullmann; Israel. Diederichs Verlag. Düsseldorf-Köln 1967 p. 6 f.

كل المغايرة ثقافة غرب أوربا أدركنا أن المفارقة حتى بين يهود شرق أوربا وغربها كبيرة سواء فى العادات أو التقاليد أو الثقافات لذلك أصبح من العسير الجمع بين النمطين ليهود أوربا وفى فلسطين ستكون محاولة التوفيق بين هذه العناصر كالضرب فى الحديد البارد لذلك وكما لاحظت الباحثة الأمريكية (مرجريت مياد) تجمعت فى فلسطين مجموعات مختلفة كل طائفة عن الأخرى .

ففى فلسطين نجد يهوداً سمر البشرة سود الشعر كما نجد وجوها رقيقة نحيلة وهؤلاء هم اليهود الهنود إلى جانب يهود شقر الشعر بيض الوجوه من أوربا كذلك نجد فى فلسطين آخرين صغار الرءوس قصار القامة عربيي السحنة وهؤلاء هم اليهود اليمنيون كذلك نجـــد آخرين من جزر الملايو وأندونيسيا ومختلف بلاد الشرق الأقصى ولهم أجسام الفلاحين طوال الرؤوس حمر الوجوه كما نجد غيرهم من الأوربيين الانجليز السكسونيين والرومانيين .

وصدقت الباحثة الانتروبولوجية عندما وصفت إسرائيل فقالت إنها أحسن معمل فى العالم للدراسات الانتروبولوجية والنفسية والاجتماعية والسياسية وغيرها .

وإذا انتقلنا إلى المدرسة الإسرائيلية الحكومية نجدها لا تتبع نظاماً موحداً فالمدرسة تطبق منهجين مختلفين منهج علمانى وثانياً دينياً وللوالدين الحق فى اختيار المنهج الذى يروق لهما ولأولادهما علماً بأن المدرسة العلمانية تعنى أيضاً بالعهد القديم عناية خاصة وتحل الدين مكاناً ممتازاً فى منهجه الدراسى .

ومن المواد الدراسية الهامة فى المدرسة الإسرائيلية مادة (الوعى القومى اليهودى) وهى تعنى بعرض تاريخ الحياة اليهودية مع ذكر بعض المواد والأمثلة الواقعية التى تصور الموضوع تصويراً حياً ناطقاً ، ويقسم الحياة اليهودية الى وحدات إقليمية مثلا اليهود فى بولنده ، اليهود فى ألمانيا ،

اليهود فى روسيا ، اليهود فى انجلترا ، اليهود فى الولايات المتحدة ثم اليهود فى البلاد التى استجاروا بها هرباً من الاضطهاد فيتحدث عن اليهود فى تركيا وغيرها من البلاد العربية وكذلك اليهود فى هولنده ثم ينتقل إلى العودة إلى فلسطين وإعادة تشييدها فيعرض هذه المادة فى صورة رحلة سياحية تبدأ مثلا بحيفا و (عمق زيبولوم) وما حولها ثم نجد وادى شارون ومستعمراته وقراه وأهميته التاريخية . ثم تنتقل الرحلة إلى تل أبيب ويافا فيشاهد السائح تل أبيب وما جاورها ثم تنتقل من تل أبيب إلى القدس فيصف البلاد وصفاً دقيقاً متحدثاً عن آثارها وقيمتها التاريخية . القدس القديمة والقدس الحديثة ومنها رحلة إلى البحر الميت وبيت لحم ومدينة الخليل (حبرون) ثم يجتاز السائح إقليم (سماريا) إلى طبرية وصفد إلى شمال الجليل فوادى (عمق يزرعئيل) ووادى الأردن ويستعين المدرس بالصور التى تعرض فلسطين وكذلك الشرائح ورسومات كبيرة الحجم وبعض الشخوص المصنوعة من الطين أو المنحوتة أو يقدمها على هيئة قطع من الصابون .

أما الشخصيات الإسرائيلية الهامة فيعنى الكتاب عند حديثه عنها وعرضها بالكلام عن مكان الميلاد ووصفه وطفولة الشخص وشبابه وأسرته ومختلف أفرادها وصناعة الوالد ثم التعليم والهواية وبعض القصص الطريفة ثم يصف الشخص وصفاته ووظيفته وأهم ماتعرض له من أحداث فى حياته ثم الرسالة التى أداها للحياة العامة وبخاصة اليهودية الصهيونية وهلما جرا .

والحقيقة التى يجب على الباحث ألا يغفلها هى أن الإسرائيلى يعتقد أن وطنه الأول هو الإنسان نفسه والإنسان فقط وهو مخلص فى الوفاء لهذا الإنسان لأنه يؤمن بأن الوطن الصغير خير من الوطن الكبير ، أن إسرائيل بلد صغير مساحته عشرون ألف ومائتان كيلو متر مربع وسكان هذا البلد فى أوائل عام ١٩٦٥ وتعدادهم حوالى ٢و٥٢٥و٦٠ مليون نسمة من بينهم

٢٠٠و٢٣٩و٢ مليون يهودى و٣٠٠و٢٠٢ ألف مسلم و٥٠٠و٥٥ ألف مسيحى و ٦٠٠و٢٨ ألف درزى وغيرهم . وهؤلاء السكان وفدوا إلى فلسطين من ثلاثين دولة ويتحدثون سبعين لغة وبعضهم عدو لبعض نظراً للخلافات الكثيرة التى تسود عادة مثل هذا الخليط من المجتمعات ومن الأقوال المأثورة التى يذكرها مؤرخو إسرائيل المعاصرة عبارة الجندى الإسرائيلى المسمى روفائيل (١) إذ يقول « لولا اشتبا كنا مع العرب فى حرب لاشتبك اليهود مع اليهود . ورروفائيل هذا ، مثل كثيرين غيره ، يعيش فى فلسطين منذ ١٩ عاماً إلا أنه لا يستطيع أن يتحدث عن فلسطين كوطن له فهو يهودى مراكشى ، وهو كغيره من آلاف اليهود الأفريقيين والآسيويين والشرقيين الذين يشعرون أنهم فلسطينيون ومواطنون من الدرجة الثانية . والخلاف بين اليهود الشرقيين والغربيين كبير جداً وكثيراً ما يؤدى إلى المظاهرات العنيفة والمسلحة كما حدث ويحدث بين جماعة الفهود السود وقد بلغت هذه الخصومات درجة من الغليان والخطر على الكيان الإسرائيلى حتى إن أحد زعمائها قال عنها ستقوض إسرائيل من الداخل وتقضى عليها . وغير الخلافات بين اليهود الشرقيين والغربيين نجد كذلك الفرقة قوية جداً بين المتدينين والمتحرريين فالكفاح بينهم فى سبيل نصرة رأى على آخر فضلا عن كثرة الضرائب التى تثقل كاهل اليهودى الإسرائيلى والمفارقات بين الفرص أخطر فى الواقع من النزاع العربى الإسرائيلى .

وقد أدركت الحكومة الإسرائيلية أن معنويات المجتمع الإسرائيلى تدهورت وانصرف الشباب إلى اللهو وعدم المبالاة وتمضية الوقت فى التسكع

---

(1) Deutshe Zeitung/Christ uud Welt. 19 . November 1971 Nr 47 Seite 3 Kampf zwischen Juden und Juden ? Tiefe soziale Gegensätze drohen den Nahost-Staat von innen her zu zerbrechen von Dirk Schubert.

فى شارع (ديثسينجوف Detzingoff) فى تل أبيب أو فى مشارب أورشليم وملاهيها وبخاصة فى (منديس Mandis) وذهبت الحكومة بعيداً فأكثرت من الشعارات التى تنادى بالتقشف والتضحية والكف عن مهاجمة الجبهة الداخلية من الخلف الدولة وجيشها إلا أن جميع هذه الشعارات قد باءت بالفشل وخاصة للتعصب الشديد لرجال الدين أو كما يلقبهم خصومهم سخرية منهم بلقب (حرس يهوا) فأفراد هذا الحرس لا يتورعون يوم السبت من رجم سيارات الركوب بالأحجار سواء كانت هذه السيارات خاصة أو عامة متناسين أن أعمالهم هذه جرائم تتنافى وأحكام تقديس السبت. ويذهب هؤلاء المتزمتون بعيداً ويقاومون الأطباء الجراحين اعتقاداً منهم أن إجراء العمليات الجراحية تشويه لجسد الإنسان الذى يجب أن يظل سليما استعداداً للبعث فالمتدينون يحطمون سيارات الأطباء ويلوثون بيوتهم كما يهددونهم بالقتل . وفى حى (مائة شعريم) أى المائة باب بالقدس والذى يقطنه هؤلاء المتزمتون لن نجد حائطاً خلواً من الملصقات التى تتوعد الأطباء وتهددهم .

وحتى الأحوال الشخصية لم تنج من تدخلهم وبخاصة ما يتصل بعقود النكاح فمن الأمثلة الصارخة لتدخلهم واستبدادهم أن ضابطاً يدعى (حنوخ لنجر) يحاول منذ أكثر من خمسة أعوام عقد قرانه بيهودية إلا أن الحاخمخانة ترفض زواجه لأنه لقيط (ممزير) واللقيط حسب الشريعة اليهودية الموسوية لن يقترن إلا بلقيطة .

وكل محاولة تبذل فى اسرائيل للفصل بين الدين والدولة تبوء بالفشل فلا يسمح بقيام زواج مدنى أو طلاق مدنى والحكومة عاجزة تماماً عن اتخاذ قرار فى هذا الموضوع خشية الفتنة . وكل ما تستطيع الحكومة عمله الوعود المعسولة وإرجاء البت فى الموضوع حتى تنتهى فترة الحزب

القائمة ، إلا أن كل فريق من المتخاصمين يدرك تماماً أنه لا حل يرجى من الحكومة .

وإذا أضفنا إلى هذه المشكلة مشكلة اليهود الشرقيين والغربيين اصطدمنا بمشكلة قد تودى بالكيان الإسرائيلى وقد أخذت الخصومة بين الفريقين طابعاً عنيفاً فى حركة الفهود السود فهم يهود شرقيون لا يكتفون بالخطب والشعارات بل يلجأون إلى التخريب والتدمير فهم يحطمون زجاج المحال التجارية ويحرقون صور رجال الحكومه بخاصه (جولدا مائير) كما يقذفون رجال البوليس وخصومهم بقنابل مولوتوف وشعارهم المساواة الاجتماعيه بين طبقات الشعب وصدقت رئيسة الوزارة فى قولها : « إن الخطر الذى يهدد كيان إسرائيل من الداخل ويقضى عليها أخطر من الخطر الخارجى .

والواقع أن اليهود الشرقيين على حق فى ثورتهم فهم بالرغم من أنهم يكونون أكثر من نصف سكان إسرائيل إلا أنهم منبوذون ويعاملون معاملة الطبقات المنبوذة فى أمريكا الشمالية أو جنوب أفريقيا أو روديسيا أو أنجولا فاليهود الشرقيون معزولون سياسياً وعسكرياً وإدارياً واقتصادياً وثقافياً وكل الذى يباشره اليهودى الشرقى لا يتعدى العمل الحقير ففى الكنيست (مجلس النواب) لا نجد بين أعضائه البالغ عددهم مائة وعشرون عضواً إلا سبعة عشر عضواً شرقياً ومن بين الوزراء الثمانية عشرة لا نجد إلا وزيرين شرقيين ولا يلتحق بالجامعات إلا ثمانية فى المائة من اليهود الشرقيين وخمسة وعشرون فى المائة يلتحقون بالمدارس المتوسطة .

واثنتان وتسعون فى المائة من الأسر الاسرائيلية ومتوسط عدد أطفال الأسرة الواحدة أربعة أو أكثر والعدد الأكبر من هذه الأسر يقطن مساكن وضيعة جدا بل وتحت مستوى الإنسانية أو تقطن هذه الأسر مساكن ضرورية .

وحسب إحصائية عام ١٩٧٠ نجد أن دخل الأسرة اليهودية الأوربية فى السنة ١٢ ألف ليرة إسرائيلية بينما متوسط دخل الأسرة اليهودية الشرقية لا يتجاوز ثمانية آلاف وثلثمائة ليرة فقط .

ونتيجة هذا الوضع الاجتماعى أن اليهودى الشرقى تحول فى إسرائيل إلى زنجى إسرائيلى ومعظم هؤلاء اليهود يعيشون فى فقر مدقع ويجهلون القراءة والكتابة كما أن امتزاجهم باليهود الأوربيين بعيد لأن معنى ذلك أن اليهودى الشرقى يجب أن يقفز عدة قرون دفعة واحدة وهى الفاصلة بين الشرق والغرب .

وتقول السيدة (ديتا نصور Dita Natzor (١)) الباحثة الاجتماعية فى (بئر سبع) فى النقب ويبلغ عدد سكانها اليوم نحو خمسة وثمانين ألف نسمة : « إننى أصيح وأوالى الصياح مطالبة برفع المستوى الثقافى ، وذلك لأن الخطر الناتج عن مجتمع منقسم إلى قسمين قوى جداً » ويقول (تيدى كوليك Teddy Kollek) عمدة القدس : « كيف نستطيع أن نقيم سلاما اجتماعياً إذا ما متنا ؟ »(٢) (يشير إلى ميزانية التسليح) .

وحاول إسرائيلى مراكشى الزواج من فتاة بولندية فرفض أهلها ذلك، وكذلك نعلم أن فتاة تدعى (استير) تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً تعيش فى قبوص بالقرب من تل أبيب قالت : « لن أقترن أو أصادق يهودياً إفريقياً(٣) » .

العبارات المقتبسة

1) " Ich schreie immer wieder nach mehr Bildung. denn die Gefahr einer zweigeteilten Gesellachaft ist Grob. "

2) " Wie können wir einen sozialen Frieden herstellen, wenn wir nicht mehr am Leben sind ? "

3) " Ich werde nie einen Juden aus einem afrikanischen Land heiraten oder zum Freund nehmen."

حتى الجيش الإسرائيلي وهو مدرسة إسرائيل يحتقر اليهود الشرقيين ولا يثق فيهم فروفانيل الجندى المراكشى الأصل كثيراً ما نعت فى الجيش العبرى بعبارة « أيها المراكشى القذر(١) » والجيش يتهم اليهود الشرقيين بكثرة النقائص وبخاصة الشذوذ الجنسى وهذه جرائم تعوقه عن الترقى وهذا الوضع يسبب كثيراً من المشاكل لذلك يرفض الجيش كثيرين من الشرقيين . فى المدة الأخيرة ظهرت محاولة لاستخدام هؤلاء اليهود الشرقيين حتى الذين صدرت ضدهم أحكام فى لواء الـ (نحل Nahal) أى الصاعقة .

وليست هذه هى المعاملات الشاذة الوحيدة التى يعانى منها اليهود الشرقيون ويقاسون بل ما يشاهدونه يومياً من المفارقات بينهم وبين اليهود الغربيين ، فالوافدون الغربيون يتمتعون بمزايا لا يتمتع الشرقى بالقليل منها إذ بينما ينزل معظم اليهود الشرقيين عند وصولهم إلى الأرض الموعودة فى مخيمات أو معسكرات ويرسلون إلى بعض أراضى الإصلاح الزراعى فى الصحراء إذ بالوافدين الأوربيين أو الأمريكيين ينزلون فى مساكن حديثة يتوفر فيها أحدث الأثاث والأدوات الصحية وفى أحسن مدن إسرائيل وتغدق عليهم الدولة كثيراً من الامتيازات والأموال .

(I) " Du dreckiger Marokkaner "

الإقامة والتعايش

لم تعرف فلسطين الحديثة القرية الاسرائلية قبل الربع الأخير من القرن التاسع عشر وقد قامت إستجابة للدعوة الصهيونية وإن كانت الضياع الخاصة قد أسستها الأسر اليهودية التى هربت من المدينة ومتاعبها ويطلقون على هذه القرية إسم (موشاب)

وفيما بين عامى ١٩٠٤ و ١٩١٤ وفدت على فلسطين الموجةالثانية من المهاجرين (عالياً الثانية) فسارع أفرادها إلى إقامة ما يعرف بالقبوص إلى جانب الموشاب وكان دستور هذه الجماعة إستصلاح الأراضى وزرعها بأنفسم وإستغلالها . وفى القبوص تتمثل الحياة الاجتماعية والملكية الاشتراكية بينما فى الموشاب نجد الاراضى توزع بين الأسر وكل أسرة تعمل لمصلحتها فى إطار التعاون الجماعى .

وهناك نوع آخر من الاقامة وسط بين القبوص والموشاب يعرف باسم (موشاب شتوفى) يتميز بأن الحياة فيه حياه عائلية الا أن الإنتاج ملك عام .

أما تسويق الأرضى وإمتلا كها فكان ينهض بها صندوق القرض الوطنى اليهودى (Keren Kayemet le-israel) وقد أسس عام ١٩٠١م فكان هذا الصندوق يشترى الأرض ويؤجرها بقيمة رمزية ولمدة ٩٩ عاماً للجماعة المهاجرة.وعلى هؤلاء المهاجرين إحياء الأرض وإستغلالها بمساعدة صندوق آخر ألا وهو صندوق الاستصلاح الزراعى .

وفى أواخر عام١٩٤٨ بلغ عدد القرى التى أقيمت فى فلسطين نحو ٢٥٦ قرية .

وبعد اعلان قيام الدولة حدث تغيير جذرى فى نظام الاقامة ، فقد اتسعت رقعة الأراضى التى استولت عليها اسرائيل واستتبع هذا التوسع تنوع تخطيط القرى الجديدة ومعظمها على نمط الموشاب لكى تستوعب العدد الكبير من اليهود النازحين الى فلسطين . ولفظ (قبوص) من مادة (قبص) أى جمع . ومثل هذا الجذر مثله فى العربية تماماً سواء جاءنا فى (ق ب ص) أو (ق ف ص) ، وهذا النظام الاسكانى هو ولا شك من خير الأعمال التى نهضت بها اسرائيل لتحقيق فكرة الحياة الجماعية والتعايش الاشتراكى لليهود الوافدين من مختلف أرجاء المعمورة ويرطنون نحو سبعين لغة ويتباينون جنسا وثقافة وحضارة ولغة . وهذا التخطيط رسمه الدستور الصهيونى الذى وضع فى أوائل القرن العشرين لما ادركت الصهيونية أن الفرصة مواتية للعمل على تحقيق انتزاع فكرة فلسطين من يد العرب وتشريد أبنائها أو بتعبير آخر القاء العرب فى البحر . فالصهيونيون هم الذين ألقوا العرب فى البحر وليس العرب كما تشدق بعض قادتهم وذلك لأن الصهيونيين دأبوا منذ أوائل القرن العشرين على السعى جديا لتحقيق الهدفين الآتيين :

١ — تقويض الاقتصاد العربى عن طريق استعمار العالم العربى .

٢ — تحطيم الذاتية العربية والقضاء على الكيان العربى بتشريد أبنائه وتحويلهم إلى لاجئين .

جاءت طلائع الصهيونية إلى فلسطين تعمل لاقتلاع العرب والعروبة من فلسطين لا بالسلاح والقوة بل بالعمل ، والعمل على طرد العامل العربى من العمل فشعار الصهيونية(كبوش عبوداه) أى الاستيلاء على العمل من يد العرب وحرمان العربى منه . ورأت الصهيونية أن المستعمرات السكنية التى أقيمت من قبل فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر لا تفى بالغرض المطلوب أو بمعنى آخر يجب أن تستكمل بأخرى أحسن ستراتيجية من الأولى فنجد

اثنين من رجال الاقتصاد ألا وهما (أرثور روبين) و(فرنس أوبينهيم) يضعان عام ١٩٠٧ تخطيطاً يحقق أهداف الصهيونية وهذا التخطيط يعنى بتعميم الدراسة الزراعية فى مستعمرة من المستعمرات الصهيونية وتحت إشراف رئيس المزرعة، وهكذا ظهرت إلى الوجود قريتان تعاونيتان فى شمال فلسطين . الا أن هذه التجربة فشلت وذلك لأن البون واسع بين منهج المشرف على المزرعة وأهدافه العملية الواقعية وبين هؤلاء الوافدين من الشبان الممتلئين حماسا وغيرة وتنقصهم الخبرة .

وأدى فشل هذه التجربة إلى القيام بمحاولة أخرى إلا وهى إنشاء مستعمرة ليست (قبوصاً) بل عبارة عن شيء وسط يطلق عليه لفظ (قبيصه) (قبوصاً) ونزلاؤها أقل عدداً من نزلاء القبوص . وأول قبيصة أقيمت كانت عند بحيرة طبرية وكان نزلاؤها يشعرون أنهم أسرة واحدة كبيرة الا أن الخلف سرعان ماوجد طريقه اليهم مما اضطر الصهيونية إلى خلق القبوص كوحدة كبرى تشرف عليها هيئة إدارية تسيطر على تطوره ونشاطه لذلك أصبح القبوص حتى اليوم الوحدة السكنية الجماعية المثالية وتؤدى رسالة هامة فى المجتمع الاسرائيلى الحديث ولو أنها تأوى أقل من خمسة فى المائة من مجموع السكان اليهود .

ولا شك فى أن الفضل فى خلق القبوص يرجع إلى فيلسوف العمل ألا وهو (أ . د . جوردون (A.D. Gordon) الفلاح الروسى الذى نشأ وترعرع فى قرية روسية وكان كل همه بعث الشعب اليهودى فى (أرض اسرائيل) أعنى (تحيت هاعم) أى (إحياء الشعب) علماً بأن فلسطين تضيق عن احتواء جميع اليهود المنتشرين فى العالم (قبوص جليوث) لذلك قرر مذهب العمل فاوجد ال(يشوب) على أن تكون مهداً لتنشئة جيل يهودى جديد لذلك اعتمد على العمل فقط لأنه عن طريق العمل وفى الأرض يكتسب اليهود حقا عقاريا باستصلاحها ويقر (جوردون) أن تصريح بلفور الصادر

فى شتاء عام ١٩١٨ لم يمنح فلسطين لليهود ففلسطين سياسيا انجليزية ووطنيا وقوميا عربية نعم أن يدعى اليهود أن لهم حقا تاريخيا الا أنه قوميا وواقعيا لاحق لنا فيها ففلسطين عربية(١) .

ويقرر (جوردون) فى شجاعة وصراحة ويعرض الحقيقة التاريخية والتى يعترف فيها بعروبة فلسطين معلنا : « للعرب جميع المؤهلات التى تبوؤهم الحيوية الواجب توفرها فى شعب ولو انهم غير مستقلين (اشارة إلى الانتداب البريطانى) فالعرب يقطنون فاسطين وهم يحيون فى فلسطين ، هم يفلحون أرضها ويتكلمون لغتهم القومية ومن الخطأ الجسيم أن نغمض أعيننا عن هذه الحقائق الحية ...

ويؤكد (جوردون) أيضا وجوب قيام صداقة وأخوة بين عرب فلسطين واليهود . وخير وسيلة لقيام هذه الصداقة وأسباب الأمن والسلام التعاون فى العمل واستصلاح الأراضى واستغلالها ففلسطين لن نستطيع الاستيلاء عليها عن طريق الفتح ومساهمة اليهود فى استصلاح الأراضى عن طريق ال (يشوب) فتنصرف ملكيتنا هنا عن طريق ال (يشوب) ولا أمل فى المستقبل القريب فى الحصول على استقلال البلاد فى ظل الحكم التركى .

وكان (جوردون) يقاوم ولاشك الاتجاه الصهيونى ويعلنها مدوية . لانريد استغلال شعب من الشعوب الأخرى أو انتقاص سيادته وحريته وكل الذى نريده ونرجوه أن يسمح لنا أن نعمل وأن نكون نافعين ولكى

---

(1) "Aber sie vergessen oder wollen nicht sehen, dab das Land nicht unmittelbar für uns erobert worden ist. Das land gehört politisch dem Eroberer (England) und im nationalen Sinne den Arabern. . ."

Georg Landauer, Der Zionismus im Wandel Dreier Jahrzehnte herausgegeben von Max Kreuzzberger. 1957 (Bitaon - Verlag. Tel. Aviv p. 362.

نبلغ هذه الغاية يجب علينا الا ننتقص حقوق العرب أو غيرهم ونطاردهم . نريد أن نحصل على أرض لسكن لااغتصابا من العرب أو نلحق بهم ضرراً وشراء الأرض قد يكلف اليهود اضعاف ثمنها الأصلى الا أن امتلاكها اشعار بأنهم سادتها الذين يعملون فيها ويعيشون عليها ويؤكد (جوردون) أنه خير لليهود أن يستبدلوا من العربى أرضا بأرض إذا رفض بيع أرضه من أن نعتدى على حقه .

وهكذا ستقوم بين اليهود والعرب علاقات ودية أخوية عن هذا الطريق لاعن طريق السياسة . إن كلمات (جوردون) صدرت وكأنها آيات من الكتاب المقدس[١] .

و (جوردون) الذى ولد عام ١٨٥٧ فى روسيا وتوفى فى فلسطين عام ١٩٢٢ روسى الأصل وكان يدعو الى تطوير الفرد قبل مجتمعه أو بتعبير أدق قبل تطوير الدولة اجتماعيا واقتصاديا وتكليف الفرد قبل المجتمع تحمل المسئولية وهذا أهم بكثير من المغامرات الثورية مثل الثورة الاشتراكية المادية فالأولى تنبع من القاعدة الى القمة بينما الأخرى المادية تفرض من القمة على القاعدة قبل أن تعد لها الاعداد الاشتراكى الفلسفى لذلك قد تتعرض ثورة القمة التى تفرض بأوامر ادارية الى أحداث كسر فى القاعدة يتداعى له وبسببه سائر البناء وكل محاولات الترميم تذهب مع الريح والأمثلة الحية لاتنقصنا للتدليل على صحة فلسفة (جوردون) .

---

(1) " Die Araber haben alle Eigenschaften und alles Wesentliche eines lebendigen allerdings nicht freien Volkes. Sie bewohnen das Land sie leben in ihm. Sie bearbeiten den Boden, sprechen ihre nationale Sprache. . . Es wäre sehr gefährlich für uns, die Augen vor dieser vitalen Tatsache zu schliessen . . " Ibid- pp. 361 f.

فقد أدرك فيلسوف العمل أن خير وسيلة لبعث الذاتية اليهودية التى حرم منها اليهودى قروناً عديدة واضطرته إلى أن يحيا حياة ضالة فى مجتمعات متباينة مباشرة العمل الجسمانى بالعودة إلى الأرض وإقامة صلات بينه وبينها وإحياء العلاقات الأرضية أعنى تلك التى تربط بين الفرد والتربة فعندئذ فقط تبعث العواطف القومية الأصيلة مرة أخرى وهو يسمى هذه الحركة (دين العمل والشخصية) لذلك عاش حتى وفاته رائداً للعمل فى فلسطين ، والقبوص كان التجربة العملية للادارة اليهودية المستقلة قبل قيام الدولة أو بتعبير آخر لا للادارة فحسب بل للاستعمار أيضاً اقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً لأن هذه الوحدة السكنية تتطلب ما تطلبه الدولة التى هى عبارة عن مجموعة من الوحدات السكنية من اتخاذ مختلف وسائل استقرار الزمن والدفاع عن الكيان .

أما أوجه النشاط المختلفة التى بذلت قبل عام ١٩٤٨ فى سبيل توسيع رقعة الأرض اليهودية كانت فى الواقع عبارة عن مراكز استراتيجية استعدادا للمعركة الفاصلة بين الصهيونية والعروبة فى سبيل تثبيت أقدامها فى نقطة انطلاق الاستعمار الصهيونى للبلاد العربية لذلك كانت هذه العمليات تتم بطريق ودى عبارة عن بيع وشراء حسب القوانين المعمول بها فى البلاد . وهكذا نجد قوات الاحتلال التى تتركز فى هذه النقطة تتأهب للزحف إلى مركز آخر وهكذا سرعان ما نجد سيارات النقل محملة بالمساكن الجاهزة من حواجز عازلة للصوت وحيطان للمنازل وأجزاء لإقامة برج الاستطلاع وتتقدم صباحا الى المراكز الجديدة ولن تغيب الشمس قبل أن يتحول هذا المجهود إلى وحدة سكنية قادرة على استقبال نزلائها .

وأول ما يشيد فى هذه الوحدة عادة سور مزدوج يحيط بكل مستعمرة ويملأ الفراغ بين حائطى السور بمختلف المواد المعوقة لاقتحامه ، أما برج

المراقبة فيحتوى على نور كشاف قوى ثم تشيد المساكن داخل المستعمرة ولن يأتى المساء إلا ويكون على أهبة الاستعداد لرد أى عدوان .

هكذا شيدت معظم القبوصيم والبالغ عددها زهاء مائة وأربعين قبوصا فى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ، وقد أثبت القبوص أهميته عندما كان يتعرض أحياناً لهجوم بعض فدائى العرب أو إبان الحماية البريطانية عندما كان يتعرض للقبوص رجال الأمن الانجليز فقد استطاع القبوص الدفاع عن نفسه فقد كانت به مستودعات ذخيرة للعصابات الصيونية مثل الهاجاناه ، كما كانت تدرب فيه الوحدات الصهيونية الإجرامية، وقد تكشفت الأهمية الكبرى للقبوص فى حرب ١٩٤٨ إذ تصدى القبوص للجيوش العربية المهاجمة وحال دون توغلها فى فلسطين .

ونظام القبوص نظام ديمقراطى فمجلس نوابه هو الاجتماع العام الذى يعقده الـ (حبريم) وهم الذين لهم حق التصويت واتخاذ القرارات بأغلبية الأصوات كما ينتخب المجلس أعضاء المكتب التنفيذى وغيره من المكاتب الأخرى اللازمة للإشراف على القبوص وإدارته كما يختار المجلس أيضاً ممثلى القبوص لدى المسئولين مثل المكتب المركزى للقبوصيم .

والقبوصيم عبارة عن مجمعات زراعية تهدف إلى تحقيق الاكتفاء الذاتى وغالباً ما يباشر القبوص بعض الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة مثل النجارة والحدادة وإصلاح بعض الآلات الميكانيكية وتعليب الحاصلات ، والمحاجر والمصحات وما إليها .

والآن كيف يوزع أعضاء القبوص على الأعمال المختلفة التى ينهضون بها ؟ إن الحياة فى القبوص لا تعرف التدبير المنزلى المستقل أو الخاص فالعائلة لا حق لها إلا فى سكن مستقل يختلف أثاثاً وسعة حسب إمكانيات القبوص

وأقدميته وأقدمية الأسرة فى القبوص ونحن نجد عادة خمسة أو ستة مساكن عائلية فى طابق واحد وكل سكن له مدخل مستقل .

أما الوجبات الغذائية فتتناولها الأسر معاً فى قاعة طعام خاصة . والمغسل والاستحمام ففى حمامات بها صبابات (دش) . أما غسيل الملابس فيقدم لقاعة الغسيل العامة للقبوص . وملابس العمل تسلم عادة بعد نهاية العمل إلى المخزن الخاص بالملابس .

وفيما يتعلق بملابس السهرات والأعياد فيقدمها القبوص ، ولعضو القبوص الحق فى اختيار مايناسب ذوقه وقد يشتريها من مدخراته من نفقاته الخاصة ، وعدا الأشياء الخاصة بالعضو لا حق له فى امتلاك شيء فهو لا يملك من النقود إلا ما يتناوله من القبوص لنفقاته الخاصة ولو حدث وورث أحد الأعضاء شيئاً قدمه للقبوص .

أما فيما يتعلق بالأطفال فكل قبوص يوجه عناية كبرى بالأطفال فعندما يولد الطفل يسلم لدار الحضانة ويظل الرضيع فى هذه الدار حتى يبلغ سن الفتيان ومع أطفال من سنه كما لا يسمح للأم بتأدية عمل منزلى خاص لذلك عقب فراغها من عملها فى القبوص لها الحق فى أن تقضى وقتها مع طفلها سواء فى الـ (دشيه) وهو مكان مزروع بالنجيل للعب الأطفال يقع بين البيوت السكنية أو مكان آخر .

وطفل القبوص يزور المدرسة الإعدادية والثانوية وغيرها وغالباً مايتلقى الأطفال معاً دروسهم وبخاصة ما يتصل بعلم النبات والزراعة ويدرب الطفل فى المدرسة ابتداء من سن السابعة على القيام بأعمال جدية ولو فى البدء لمدة نصف ساعة فقط يومياً . وهناك بعض القبوصيم لها مزارع خاصة بالأطفال والطلاب الكبار يعملون نصف يوم يومياً فى الزراعة أو الحرف اليدوية .

وتختلف القبوصيم فيما بينها فقد يحدث أن مجموعة من الشباب يشرعون فى إقامة وحدة سكنية فيبدأ الشبان بالخيام ثم يستعيضون عنها فيما بعد بألواح خشبية . وقد يقع اختيارهم على أماكن لا ماء فيها فيجلبوا إليها المياه فى عربات ومن مسافات بعيدة ومع مضى الزمن والمثابرة تستصلح الأرض وتثمر مختلف أنواع الخضر والفاكهة . ثم يزود القبوص بسينما ومكتبة وتتدفق المياه وترصف الطرقات . وفى الليل يتولى نفر الحراسة أستتباباً للأمن أو رداً للمعتدين والظاهرة الجديرة بالاهتمام نفسية أعضاء القبوص ففهمها ضرورة لا بد منها لكل دارس للقبوص ورسالته فنفسية العضو تختلف اختلافاً كبيراً عن نفسية الفلاح أو العامل فالمثالية الموجودة فى العضو تتركز فى أنه عضو مالك لمجتمعه والتمسك بهذه المثالية والحرص عليها يدفعه ولا شك إلى التخلص من الأنانية فى معناها المفهوم فى المجتمع العادى. أن الالتحاق بالقبوص لا يشترى بمال أو صفات مهنية خاصة لذلك لا حق للعضو إذا ما تركه المطالبة بنصيبه الذى أكتسبه أثناء عضويته ، وذلك لأن العمل الجماعى أو الزراعى لا ينظر إليه الـ (قيبوصنك) (هكذا تستخدم الكلمة وقد صيغت صياغة روسية) على أنه سخرة فالعضو يؤديه حراً مختاراً فالرفيق يلتحق بالقبوص مختاراً ويستطيع تركه فى أى وقت شاء والشعور باحترام المثل الأخلاقية العالية بين طرفى الالتحاق بالقبوص وتركه تؤثر ولا شك فى موقفه ومسئوليته والنهوض بعمله واحترام واجبه والاستغناء عن الملكية الفردية الخاصة والأجر العالى نظير اتقانه لعمله واستغنائه عن حياة البذخ التى قد يحياها العامل الحر ، فعضو القبوص يستعيض عن امتلاك السيارة أو الراديو أو الثلاجة بشىء آخر أهم وأعظم وهو أن يرى المجتمع الذى يحيا فيه قد تقدم وارتقى بفضل معاونته وعمله وعوضاً عن الملكية الفردية فهنا الملكية الجماعية هذا إلى جانب حياة الأمان والاستقرار التى يحياها فى مجتمع القبوص والبعد عن مشاكل الزواج وانجاب الأطفال فمثل هذه المشاكل المادية يتحملها عنه القبوص ، إنه عضو فى أسرة كبرى والقبوصينيك لا يعمل

لأجل زوجة أو لتأمين مستقبل أولاده ، أو المسئوليـــات الأخرى المادية الخاصة بالعمل الذى يشرف عليه أو يمتلكه أو للدولة الاشتراكية بل هو يعمل مع وفى سبيل أسرة بشرية تهدف إلى هدف واحد تشاركه شعوره ولا يتعرض للهزات الاقتصادية التجارية أو الأجور وغيرها ، وهو يعى تماماً أنه يعمل للأمة للشعب ولمذهبه السياسى .

وبعد قيام الدولة كان من نصيب أبناء القبوص القيام والنهوض بحمل أصعب الأعباء وأهمها فى الدولة — لقد تقلدوا المناصب القيادية فى الحياتين العسكرية والمدنية حيث تتطلب الوطنية الصادقة والتفانى والإخلاص كما أن الأحزاب السياسية رشحت للنيابة عن الأمة فى الكنيست أفراداً من القبوص فمنهم اختارت إسرائيل الوزراء وكبار موظفى الوزارات وممثليها السياسيين والضباط العظام فى مختلف الأسلحة وقادة الحركات العمالية . جميع هؤلاء من القبوص وسيظل هذا الوضع فى المستقبل أيضاً .

أما الأسباب التى دعت إلى اتخاذ هذه الخطوة تجاه أعضاء القبوص فالعضو منذ أن تسلمه القبوص أو ولد فيه قد نشىء تنشئة سياسية رضعها مع لبن أمه لذلك نجد عضو القبوص لا يهتم بتاتاً بمكاسب مادية خاصة به لذلك فهو محصن ضد الرشوة والإثراء الحرام ، وإذا ترك العضو عمله فى الدولة لن يتقلد عملا آخر بل يرجع إلى القبوص الذى ينتمى إليه فنحن نذكر مثلا بن جوريون إذا ما استقال من الوزارة عاد إلى قبوص (سده بوكير) ويباشر عمله القديم كما كان سابقاً ، أو له أن يلتحق جندياً فى الجيش لكنه لن يباشر مهنة مدنية .

إلا أن السياسة التى قد تحدث صدعاً فى الأسرة الصغيرة تحدث ما هو أقوى وأشنع فى الأسرة الكبيرة ولنكن القبوص وبخاصة فالقبوص ليس ديراً أو معسكراً حيث يقسم رهبان الدير أو رجال الجيش يمين الولاء

والقناعة لخدمة هدف بعينه كما أن القبوص عدا هذه الظروف ليس مجتمعاً من القديسين أو أولياء الله الصالحين لذلك نجد فيه الآراء المتباينة سواء كانت سياسية أو اجتماعية مثلا ومبعثها الطبيعة البشرية . فالفرد قد يفقد أعصابه ويتفوه بعبارات قاسية أو يأتى بأشياء أقل ما توصف به أنها حماقة لذلك فالقبوص معرض لأن تقع به جرائم قتل أو انتحار وخيانات زوجية وخصومات سياسية عنيفة بين الأفراد حيث نجد انصار الحزب الاشتراكى الديمقراطى أعنى حزب المباى وانصار الحزب الاشتراكى اليسارى (المبام) .وقد ذهبت هذه الخلافات بعيداً حتى أن الجفوة حالت دون الحديث بين الأفراد ولم تجمع بينهم مائدة طعام واحدة ومدت الأسلاك الشائكة بين الأماكن التى يعمل فيها كل فريق واضطرت الأقلية بعد تقسيم القبوص الى استيطان مكان آخر .

والقبوص كذلك هو خير مكان لخلق الفرد الذى لا يفارقه الكتاب ، كما نجد فيه الشخص الذى لا يصلح لمواجهة الحياة ويخشى الكفاح من أجلها لذلك يبحث عن مجتمع يعيش فيه ليكفل له ضمان البقاء لذلك نجد فيه المغامرين الذين يعشقون القيام بالرحلات وهو خلو من تحمل مسئولية رعاية كيانه .

وفى اسرائيل اليوم حوالى ثلثمائة قبوص تختلف فيما بينها من حيث المظهر وموقعها الجغرافى وخصائصها لذلك تتفاوت امكانياتها الزراعية ومن حيث أعضائها وميولهم السياسية والدينية وهنا نعرض مثلا لقبوص (هزوريع) أى المزارع . فالقبوص يقع فى وادى (يزرعئل) المشهور بخصوبته والمعروف فى سفر (يوديث) وهو يقع جنوب شرقى حيفا . وهذا القبوص ينهض بمختلف الأعمال ففيه مصنع لصناعة الأثاث ويتجاوز عدد أعضائه السبمائة عضو والسائر فى الطريق بين حيفا والناصرة لا يقع بصره على شىء من المبانى ، بينما المزارع تبدو خضرتها متدرجة من غابة حديثة تكسو التل وإذا ما بلغ الزائر المدخل الرئيسى وجد نفسه أمام موقف متسع للسيارات تحيط به أبنية من الخشب ترجع إلى عصر تكوينه ، كما أن المساكن القديمة

التى به تحولت إلى مخازن وتقوم بـه بعض الحرف ومن بينها صناعة الأحذية .

وفى القبوص أيضاً طاحون لإعداد الطعام للدجاج ومنها يرسل هـذا الطعام إلى حظائر الطيور . ثم يتجه الزائر قاطعاً طريقاً مرصوفاً ينتهى به إلى (بيت القبوص) وهو بناء حديث يقيم فيه الأعضاء . كما توجد هناك حظائر الماشية وفيها نحو مائة بقرة حلوباً وتحلب كهربائياً ويجرى اللبن فى قناة إلى وعاء كبير .

أما حظيرة الدواجن ففيها نحـو عشرة آلاف دجاجة موزعة حسب أعمارها . أما حظيرة الفراخ الصغيرة (الكتاكيت) فتوفرت فيها وسائل الرعاية الكهربائية، وفى قسم اللحوم نجـد قرابة ألف دجاجة مسمنة وقـد وضعت فى أقفاص لإرسالها إلى السوق .

وفى أسفل التل تقوم مساكن الأعضاء وتفصل بين كل بيت وآخر مروج خضراء واسعة الغرفة عبارة عن أثنى عشر متراً مربعاً ومؤثثة أثاثاً حديثاً جداً من صنع مصنع أثاث القبوص وبالغرفة (دفاق = دش) وموقد لإعداد الشاى أو القهوة وأحياناً نجد صوراً لبعض اللوحات الفنية ومكتبة وراديو وكلها تشير إلى أن العضو المقيم فيها قـد مضى فترة لا تقل عن خمسة عشر عاماً فى القبوص وإنه متزوج . أما العضو الجديد الذى لم يبلغ مرتبة الـ (حبير) فيقيم فى سكن متواضع وإذا كان غير متزوج فيشترك مع آخر أو اثنين فى غرفة .

ويضم القبوص مبنى آخر يتسع لأربعين شخصاً وهم أهل بعض الأعضاء وقد اشتراه الأهل إما عن طريق المبادلة بمساكنهم التى فى المدينة لكى يستخدمها القبوص فى شئونه الخاصة أو دفعوا تعويضاً للقبوص .

أما الأطفال فلهم قريتهم الخاصة وهى تكاد تكون مستقلة ويقيم فيها الأطفال فى مجموعة حسب أعمارهم . وفيها نجد أيضا إلى جانب حجرة النوم حدائق الأطفال والمطابخ وغرف التمريض . ويشترك قبوص (هزوريع) مع قبوص آخر يجاوره فى مدرسة تضم مائتى تلميذ والجدير بالملاحظة أن الأطفال فى فصل جمع الثمار ومن بينها نوع خاص من البطيخ اشتهر به هذا القبوص وقد استنبته وعمت زراعته اليوم كل إسرائيل كما يصدر إلى الخارج وهذه البطيخة بيضاوية الشكل ذهبية اللون حلوة جداً ، كما يعنى القبوص بزراعة العنب الممتد على الأسلاك بين أشجار القراصيا .

وفكرة الاكتفاء الذاتى دفعت القبوص إلى إعداد بحيرة لتربية الأسماك . أما أشجار الموالح فقد غرست فى بعض الأماكن النائية لأن تربة القبوص لا تجيد إنتاج أحسن الأنواع . أما مصنع الأثاث الذى يعمل فيه أكثر من ثلاثين عاملا فجهز بآلات كهربائية ويستهلك إنتاجه فى الداخل والخارج حيث يصدر وبكثرة إلى أفريقيا .

ومما يثير إعجاب الزائر لهذا القبوص هذا المبنى الخاص والذى يطلق عليه اسم (ولفريد إسرائيل) وقد أفتتح عام ١٩٥٩ ولهذ البيت رسالة وتاريخ ففى عام ١٩٣٣ إبان نزوح اليهود من ألمانيا أخذت الحياة فى مختلف القبوصيم تتطور تطوراً سريعاً فظهرت الموسيقى والفنون والمسارح على المستوى الألمانى الرفيع لذلك أخذ كثيرون من سكان المدن والمناطق الأخرى يقصدون القبوصيم لينعموا بالحياة الفنية الجديدة التى جاءت من ألمانيا إلى القبوص ، وكان قبوص (هزوريع) أكثرها اجتذاباً للناس لتطوره السريع وبخاصة بسبب هذا البيت المعروف باسم بيت (ولفريد إسرائيل) فجناحا المبنى على طراز مبانى حوض البحر الأبيض المتوسط الحديثة فسقفه مسطح كما يحتضن الجناحان الفناء الداخلى . وفى هذين الجناحين يوجد معرض دائم لفنون شرق

آسيا ، وهناك أيضاً قاعة لمعرض متغير يعرض الفن الإسرائيلي الحديث والقطع الفنية لأبناء القبوص كما يعرض أيضاً كثيراً من اللوحات الفنية والصور وطرق طباعة التصوير واللوحات .

ويضم البيت أيضاً مجموعة من الآثار التي عثر عليها في المنطقة ، كما توجد مكتبة مركزية وقاعة للمطالعة ومسرح ومدرج لإلقاء المحاضرات ، ويستغل الفناء صيفاً علاوة على ذلك لإقامة الحفلات الموسيقية . .

(ولفريد إسرائيل) الذي يحمل البيت اسمه هو الذي شيد البناء ووهبه لقبوص (هزوريع) الذي كان يحبه كما تبرع له أيضاً بمجموعة فنون شرقي آسيا ، وهو يهودي ألماني تتمثل فيه الثقافتان الألمانية والعقلية اليهودية ،وهو ابن ثري يهودي كان صاحب بيت تجاري كبير في برلين يحمل اسم « ن . إسرائيل » . وكان هذا الابن صاحب ميول يسارية بعد الحرب العالمية الأولى لذلك سبب بعض المتاعب لوالديه فأرسلاه في رحلة حول العالم فتعرف فيها على يهود شرقي أوربا ومن ثم واصل رحلته فبلغ فلسطين ومنها إلى الهند فأعجب بطاغور وغاندي واتصل بالصهيونيين اتصالا وثيقاً . وبعد أن رجع أخذ يدير تجارة والده وفي عام ١٩٣٣ أخذ يساعد اليهود على الهجرة إلى فلسطين ومغادرة ألمانيا النازية . وفي عام ١٩٣٩ ترك هو ألمانيا إلى انجلترا . ومنها كان كثيراً مايطير إلى فلسطين وفي رحلة جوية إليها لقي حتفه عام ١٩٤٣ في الطائرة . وكان حلمه بعد الحرب تشييد بيت له في قبوص (هزوريع) ويعيش فيه ، وقد تحققت أمانيه في هذا البيت الذي يحمل اسمه .

وفي القبوص نجد مختلف الصحف الإسرائيلية ، وإلى جانبها صحيفة القبوص ، وقد علقت في لوحة الأنباء التي تهم أعضاء القبوص فنيها كل أخبار القبوص وتوزيع العمل والتحذيرات مثل « لا يقرب أحد البطيخ

غداً فى الحقل لأن جميع الثمار قد رشت جميعها بمحلول مقاومة الآفات « وإعلان آخر ، ردوا الزجاجات الفارغة الخضراء الخاصة بالصودا وفى قسم الصحة العامة نجد إعلاناً لرئيسة الممرضات نصه « فى بيت الأطفال رقم ٣ ظهر مرض ... فيحذر على جميع الأطفال دخول هذا البيت . وفى قسم الرياضة البدنية يعلن لأطفال البيت رقم ٥ « السفر اليوم الساعة الثامنة صباحاً للاستحمام فى البحر » .

أما قاعة تناول الطعام فتتسع لإطعام ٤٠٠ شخص دفعة واحدة وضعف هذا العدد يستطيع أن يباشر فى نفس الوقت عملا آخر . ويقدم الطعام عادة بواسطة عربات تحمله إلى داخل القاعة وللحفاظ على حرارة الطعام تسخن الأوانى آلياً كهربائياً ، وتدفع هذه العربات داخل القاعة فى هوادة فتيات صغيرات فى ملابس بيضاء .

أما موائد الطعام فالمائدة معدة لستة أو ثمانية أشخاص ، ويقدم لكل واحد أولا شربة ومكرونة بالجولاش وسلطة خيار وخبز أسمر وآخر أبيض وعنب وكل فرد يأكل حسب شهيته . وقبوص (هزوريع) قد تأسس عام ١٩٣٣ وكان عمر العضو من أعضائه عند الالتحاق به يتراوح بين ١٨ و ٢٠ عاماً وينتمى أعضاؤه أصلا إلى جماعة صهيونية تأسست فى ألمانيا عام ١٩١٦ وأسمها (حبريم) أى رفقاء . وعدد الطليعة الأولى التى نزحت إلى فلسطين لم يتجاوز الأربعين وقد بدأوا حياتهم بالعمل والعمل اليومى فهم عمال (يومية) فى مدينة (خضيرة) وقدم الشبان طلباً للوكالة اليهودية يطلبون أرضاً ومكاناً للإقامة .

وفى عام ١٩٣٦ بلغ عددهم ثمانين شاباً ومنحوا أرضاً فى وادى (يزرعئل) فقرر الشبان أن يشرع فريق منهم فى زراعة جزء من الأرض حنطة ، وأخذ الآخرون يعملون فى القرى المجاورة فغرسوا الأشجار وشقوا القنوات للرى .

وفى ذلك الوقت كان قبوص (هزوريع) فى حاجة كغيره من القبوصيم إلى الأمن فبالقرب من الأرض التى حصلوا عليها كانت هناك قريتان عربياتان فقامت بين العرب واليهود صداقة يشوبها شيء من الحذر والحيطة، ففى عام ١٩٣٦ وقع هجوم عربى على القبوص إلا أن المهاجمين ردوا على أعقابهم وفى عام ١٩٤٨ ترك العرب الأرض.

أما مساحة القبوص عام ١٩٣٨ فلم تتجاوز ثلاثة آلاف دونيم وفى عام ١٩٥٨ بلغت سبعة آلاف، أما سكان القرى اليوم فنحو سبعين فى المائة من اليهود الألمان وعشرين فى المائة يهود من بلغاريا وخمسة عشر فى المائة من سوريا كما نجد عدداً من يهود بولنده ورومانيا كما نجد عدداً من بعض البلاد الناطقة بالانجليزية،

وحرصت القرى على نشر اللغة العبرية فأسست فى القبوص مدرسة خاصة لتدريس المسنين. وهى المعروفة باسم (أولبان) وهى تنهض بتدريس العبرية للزائرين الأجانب والمسنين. المشتركون فى هذا المعهد يعملون نصف اليوم فى الحقول مقابل إقامتهم وطعامهم وتعليمهم ولبعض الضيوف الحق فى عدم الانضمام للقبوص والإكتفاء بدراسة العبرية فقط.

الأدب اليهودي الحديث

آثرت التسمية اليهودية على العبرية لأن جل ما جاءنا من أدب لأبناء الطائفة اليهودية منذ العصور الوسطى حتى يومنا هذا سجل فى اللغات الهندية الأوروبية من انجليزية وفرنسية والمانية وإيطالية وسائر أخواتها ، كذلك فى لغتين لا ساميتين ولا أوربيتين ألا وهما (اليديش واللادينو) أما الكثرة المطلقة فقد جاءتنا فى العربية ، ونقل بعض هذا التراث الأدبى إلى العبرية فى العصور المتأخرة لا يعنى أنه عبرى وإلا لجاز لنا أن نسمى بعض مسرحيات شكسبير وجوته وغيرهما التى نقلت إلى العبرية أدبا عبريا ، ونسبة هذا التراث الأدبى الذى قاله بعض اليهود بعد قفل العهد القديم إلى الأدب العبرى ادعاء غير صحيح ، وذلك لأن الأدب يصدر عن شعب ، ولابد للشعب من وطن تحده حدود جغرافية ، فوجود هذا الوطن شرط لا بد منه لإستكمال مقومات الشعب من خلق البيئة التى تكيفه وتؤهله لإنتاج هذا الأدب .

ومتى توفر الشعب والوطن ، وجدت اللغة لأنها الآداة الضرورية لقيام الشعب ، هى واللغة اللسان المعبر عما يسمى بأدب . وأدب الأمة يجب أن نقرأه ونسمعه ونستوعبه فى لغتها التى أوجدها أبناؤها منذ أن جاءوا إلى الحياة ومن ثم توارثوها وتناقلوها أجيالا وأجيالا ، فالقومية ، واللغة ، والوطن مقومات لابد من توافرها لخلق أدب حقيقى يصور نفسية هذه الأمة ويعبر عن خوالجها ومشاعرها وما يحاول دعاة الأدب العبرى الحديث تسميته أدباً تتوفر له مقومات الأدب وتصدق عليه كلمة أدب .

(١) أدب عبرى تعبير تجاوز ما أطلقت عليه كلمة عبرى فلفظ عبرى ينسب

اليه قوم ، وتنعت به لغـة ، ويعرف به أدب ظهر فيما بعد فى فترة قصيرة جداً من تاريخ هذه اللغة . لكن هل ظل العبريون مستوطنين فلسطين طيلة هذه المدة التى يقال أن أدب العهـد القديم أو كما يعرف أحياناً الأدب العبرى القديم قد صدر فيها ؟ ولو ظل العبريون مستوطنين فلسطين طيلة هذه المدة هل حافظوا على لسانهم العبرى ؟

الواقع أن العبريين سبوا وشردوا أكثر من مرة وإلى أكثر من بلد واليهودى حيث يقيم فهو دائماً فى حالة تعبئة للرحيل واللغة العبرية لم تكتسب لها الحياة إلا فترة لم تتجاوز خمسة قرون ، وقد مرت على العـــبرية فترات اختفت فيها وتلاشت أمام لغات أجنبية كثيرة . وقد وقع كل هذا قبل زوال دولة اسرائيل فأول لغة اكتسحتها وحلت محلها الآرامية وهى ترجع إلى عصر (عزرا) (٤٥٠ ق . م) إذ كان اليهود يتكلمون هذه الآراميـة لا خارج فلسطين فقط بل فى داخلها أيضاً مما اضطر النبى عزرا وغيره إلى استخدام الآرامية فى شرح التوراة لمواطنيهم ولم يقف أمر الآرامية عند هذا بل نجدها تشق طريقها إلى العهد القديم أعنى كتاب العبريين المقدس كما هو الحال فى سفر دنيال وبعض أجزاء عزرا وآيات أخرى متفرقة فى العهد القديم . كذلك شقت الكتابة المربعة الآرامية الأصل طريقها إلى الكتابة العبرية وأصبحت لغة تدوين أسفار العهد القديم مما دفع متعصبى العقيدة اليهودية كالسامريين إلى رفضها والاحتفاظ بالكتابة العبرية القديمة المستمدة من الكنعانية .

واستخدام الآرامية فى الكتاب المقدس والجمارا والترجوم وكثير من الصلوات اليهودية ، ولغة حية لكثير من الجماعات اليهودية فى الموصل وكردستان وأزربيجان دليل قوى على مدى تأثر الشعب اليهودى بها الذى ظل يستعملها فى السوق والأدب حتى القرن العاشر الميلادى .

وغير الآرامية استخدم يهود الاسكندرية وكبار يهود فلسطين اللغـــة

اليونانية والتى نقلت اليها الترجمة المعروفة باسم السبعينية كما استخدم يهود فارس منذ القرن الرابع ق . م . الفارسية والتى مازالت حتى اليوم لغة يهود إيران وبخارى .

لكن اللغة التى لعبت أخطر دور فى حياة اليهود الثقافية وتاريخهم هى اللغة العربية وقد تعرف عليها اليهود فى الجاهلية قبل المسيحية والإسلام فقد فروا اليها هاربين من وجه الطغاة وظلمهم ولما بزغ نور الإسلام وتمت الفتوحات أصبحت العربيــة لا لغة يهود الجزيرة فحسب بل يهود سائر أرجاء الدولة الإسلامية والتى امتدت أطرافها فبلغت آســيا وأفريقيا وجزءاً من أوربا فوحدت العربية بين اليهود بعد أن كانت كل جماعة منهم ترطن لغة القوم أو الأقوام الذين يعيشون بينهم فالعربية هى التى جمعت بين اليهود ، وتفاهموا بلسان عربى مبين .

فالكتابة فى الأدب اليهودى الحديث تتطلب اعتماداً على هذا العرض التفرقة بينه وبين أدب العهد القديم ، وذلك لأن الخلط بين الأدبين يغاير التطور التاريخى للأدب عامة فأدباء اليهود واليهودية يختلفون كل الإختلاف عن رجالات الأدب فى الشعوب الأخرى إذ بينما نجد أدباء العربيــة أو الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية ينتمون إلى جنس بشرى بعينه وإلى وطن بعينه وبيئة بعينها إذ بنا فى الأدب الذى يدعى الدعاة أنه أدب عبرى أو يهودى نجد أنفسنا بين مختلف بلاد المعمورة شمالية وجنوبية وشرقية وغربية كما نقرأ لأقوام يقطنون هضاب الحبشة وغاباتها وسهول القرغيز وسيبيريا فمختلف أقاليم الاتحاد السوفيتى الأوربى وقلبها الآسيوى فشمال أوربا وجنوبها وهكذا الحال فى آسيا واستراليا وغيرها وإذا علمنا أن الأدب هو مرآة البيئة التى تعكس سهولها ووديانها وتلالها وجبالها إلى جانب عاداتها وتقاليدها والأحداث التى مرت بها عبر القرون فكيف يدعى الدعاة أن هذه الآداب والتى وصلتنا فى مختلف اللغات أدب عبرى حديث ، وإذا أصر هؤلاء الدعاة على رأيهم فما موقفهم من التلمود

إن هذا الكتاب الذى يقدسه الربانيون صورة صادقةلهذه البلبلة التى أصابت العبرية والعبريين إذ أن القسم الأعظم من التلمود قد وصلنا فى اللغة الآرامية كذلك الزوهر والذى يرجع إلى القرن الثالث عشر والذى يعتبر من أشهر ما خلفته (القبالا) (التصوف الإسرائيلى) دون فى الآرامية . ثم هل يجهل الدعاة أن بلاد العراق كانت مركز الإشعاع العقلى اليهودى حتى القـــرن الحادى عشر الميلادى ثم انتقلت الزعامة الثقافية والروحية تدريجيا إلى مصر التى كانت تزدهر بها حياة يهودية رفيعة منذ العصر الهللينى. وإبان الحكم العربى لأسبانيا نجد كثيرين من شعراء اليهود الذين أنضوا تحت راية الحضـارة العربية الإسلامية الأندلسية تفيض قرائحهم بالشعر والنثر . ومن أشهر هؤلاء الشعراء (شموئيل بن نجريلا) وموسى بن عزرا ويهودا هاليفى وشلومو بن جبيرول وموسى بن ميمون كما جند كثيرون من اليهود أنفسهم لنشر الثقافة العربية فى فرنسا وإيطاليا وصقلية وشمال أفريقيا .

وبعد أن تقلص الحكم الإسلامى فى الأندلس وتمكن المسيحيون من رقاب اليهود هاجرت جماعات منهم إلى هولندا ، وشمال ألمانيا وايطاليا وتركيا ثم إلى أمريكا اللاتينية الإسبانية كما اضطر كثيرون منهم إلى اعتناق المسيحية تقية ويعرف هذا النوع من اليهود باسم (مارانين) .

وقد انتشروا فى القرن الرابع عشر ، ومن نسلهم انحدر أمثال (أماتوس لوزيتانوس) (١٥١١ — ١٥٦٨) وكان الطبيب الخاص للبابا يوليوس الثالث فقد اعتنق المسيحية تقية ثم ارتد عام ١٥٥٨ إلى اليهـــودية فى سالونيك وكذلك (ابراهام لوزيتانوس) وكان طبيباً (١٥٧٦ — ١٦٤٢) فى أسبانيا واعتنق المسيحية تقية ثم ارتد عام ١٦٢٦ فى أمستردام . وباروخ شبينوزا) ينحدر كذلك من نسل يهودى أسبانى .

وهؤلاء اليهود هم الذين نعرفهم اليوم اشكينازيم وسفرديم وبينما نجد

الجماعات اليهودية فى حوض البحر الأبيض المتوسط تواصل حياتها الإجتماعية والثقافية والدينية كما عهدتها فى الشرق إذ بنا فى أوربا الشمالية نجد اليهود حتى الذين كانوا يحيون فيها منذ العصر الرومانى فى ألمانيا وفرنسا يتعرضون لمختلف أنواع الإضطهاد وبخاصة ابان الحروب الصليبية لذلك يرجح أن اليهود الأوربيين انصرفوا الى بذل عناية أكبر الى الطقوس الدينية علها تنقذهم من هول ما يقاسون وكلما تعرضت جماعة منهم للإضطهاد ظهرت المراثى والرغبة فى الثأر والانتقام وازدادوا حنينا الى صهيون .

أما فى الشرق الأدنى سواء فى مصر أو فلسطين أو تركيا فقد واصل اليهود نشاطهم العقلى والروحى أما اليهودى الأوربى فقد حاول نظم بعض القصائد أو كتابة بعض القصص ووصف الأسفار وتدوين الرسائل ..

واستمر الحال كذلك حتى انتقلت أوربا الى عصر احياء العلوم والنهضة فتغيرت النظرة الى اللغة العبرية وأخذ القوم ينظرون اليها وكأنها اللاتينية أو اليونانية واهتمت بها المعاهد المسيحية كلغة للعهد القديم ،

لكن حدث أنه بين حين وآخر كان ينظم أحد العبريين قصيدة فى العبرية تقليداً لأولئك الذين كانوا ينظمون فى اللاتينية وكانت هذه القصيدة العبرية تقدم الى جانب ترجمة لها فى لغة أوربية الى عظيم من العظماء لمناسبة سعيدة فقد قدمت قصيدة الى فريدريش فلهلم الثانى عام ١٧٨٦ م وأخرى الى نابليون بونابرت عام ١٨٠٠ م وثالثة الى جورج الرابع سيد هانوفر وانجلترا عام ١٨٢٢ م والى البابا جريجور السادس عشر عام ١٨٣١ م والى الملك فيتوريو عامانوئيل الثانى عام ١٨٧٨ م .

وحدث أن تواترت الأحداث السياسية العالمية وبخاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فارتفعت أصوات كثيرين من اليهود مطالبين

العمل على العودة إلى أرض صهيون مهما بلغت التكاليف وتراكمت الصعاب ومتى بلغ اليهود هذه الغاية تحققت فكرة بعث الشعب اليهودى .

وواتت الصهيونية الظروف الدولية وحققت كثيراً من آمالها وأخذت اللغة العبرية تظهر إلى الوجود لغة رسمية لشعب، كما أصبحت العبرية لغة التأليف لأدب شعب فرض نفسه على المجتمع البشرى بالرغم من سلوكه المشين واستخدامه مختلف وسائل الظلم والجور جريا وراء تحقيق هذه الرغبة .

واليوم أصبحت اسرائيل هى المركز الطبيعى للعبرية لغة وأدبا وفى بلد لا يتجاوز عدد سكانه اثنين ونصف مليون نسمة ولا يهتم منهم بهذه اللغة أكثر من خمسهم فقط .

الأدب اليهودي الحديث

من عصر النهضة حتى الوعى القومى

ولما أقبل القرن الثامن عشر انتقلت أوربا إلى فترة جديدة من التطور العقلى كما فتحت دولها أبواب دور العلم أمام كل مواطن ومنحته الحق فى التعليم ليدرك أهمية المسائل العالمية التى تدور حوله. وقد تزعمت هذه الحركة فرنسا ومنها انتقلت إلى روسيا فأصبحت برلين أيام فريد ريش الأكبر كعبة التحرر العقلى واستغل يهود بروسيا هذه الفرصة وقرروا أن يتخذوا من الكتاب وطناً لهم وأن يقبلوا على الآخرين متبادلين معهم التراث العقلى والروحى وهذا مايعرف فى التاريخ الأدبى اليهودى باسم « هسكالاه » أعنى محاولة تجديد اليهودية وفتح أبواب البيت اليهودى للثقافة الأوربية . وقد حمل لواء هذه الحركة وتزعمها نفر من اليهود يعرفون باسم « مسكليم » إلا أن اليهود لم يهدفوا من وراء هذه الحركة طلب العلم للعلم بل اتخذوها وسيلة لتحقيق رغباتهم القومية وقد تزعم هذه الفكرة « موزيس مندلسزون » (١٧٢٩ — ١٧٨٦) فقد نزح عام ١٧٤٣ من ديساو إلى برلين ولم يكن فى جعبته غير رغيف من الخبز وبلغ مدخل ضاحية « روزينتالر » والذى أعد لدخول اليهود المهاجرين إلى العاصمة البروسية لشهرة هذه الضاحية وقتذاك بالنشاط التجارى اليهودى فهذه الرحلة التى تحتاج اليوم إلى ساعتين تقريباً بالقطار قطعها « موزيس » مشياً وهذه الرحلة إنما هى انتقال بين الشرق والغرب . أما أبوه فقد كان رجلا فقيراً يقتات من نسخ التوراة وضاق الحال بابنه «موزيس» فآثر الهجرة من « ديساو » التى أمتازت حينذاك بنشر العدالة وسيادة القانون وذلك لأن فريد ريش الأكبر اتخذ له له شعاراً عند توليه الحكم نصه « أن الحكم من

عمل الفلاسفة » وقد أرسل فريد ريش هذه العبارة إلى زعيم حركة الإصلاح الألمانية الأوهو « كريتسيان فولت » .

وعلاوه على ظروف « موزيس » القاسية فقد حبب إليه الهجرة أيضاً معلمه الحاخام « دافيد فرنكل » كما حثه على الاقبال على تحصيل العلوم ولما كان الحاخام يحترف إلى جانب عمله الدينى مهنة الصياغة فقد سلك «موزيس» مسلكه واحترف فى برلين إلى جانب تحصيله العلمى تجارة الحرير . وهناك فى برلين نال عطف وحب الكثيرين ممن اتصل بهم وذلك لدماثة أخلاقه وتواضعه وعلمه مما حمل الطبيب « سلومون جوم برتز » على التوسط له ليعمل فى محل تجارة الحرير للتاجر الشهير « برنهارد » إذ كان «موزيس» معلم أطفاله ثم أصبح كاتب حساباته وبعد وفاة صاحب المحل تولى هو إدارته .

وكانت برلين فى منتصف القرن الثامن عشر مدينة الجيش والموظفين كما كان اليهود يقومون بدفع كثير من الضرائب إلى جانب الاتجار الاجبارى أبان حياة فريد ريش فلهم الأول فى الخنزير البرى الذى كان يصطاده القيصر نفسه أما فى عهد القيصر فريد ريش الأكبر ، الذى لم يكن صياداً بل صاحب مصانع إنتاج الصينى فقد كان اليهود يشترون معظم إنتاج هذه المصانع القيصرية لعدم قدرة سكان بروسيا على اقتناء كثير من انتاجها . كما حرمت القوانين البروسية على اليهودى أن يزيد أطفاله على اثنين وقصدت بروسيا من وراء تحديد نسلهم الابقاء عليهم أقلية ضعيفة وحتى أوائل القرن التاسع عشر كان ينظر إلى اليهود على أنهم أجانب لهم محاكمهم الخاصة ويقيمون فى عزلة عن الآخرين مضطهدين محتقرين .

وقرر موزيس مندلسزون القضاء على هذا الوضع لبنى جنسه وذلك بايقاظهم عن طريق الحضارة الأوربية التى تبعث فيهم وعيهم القومى ولاسيما

فإن التوراة كما يقول اليهودى « هينريش » هى أول كتاب منح الإنسان حقوقه .

ومندلسزون كان إلى جانب خلقه الكريم من أحسن الفلاسفة فى عصره أمثال (ليبنيتز) و (ولف) و (فون شفتسبرى) و (هيوم) وكان أحدب قصيراً فلقبه مواطنوه سقراط اليهود .

وقد اشتهر « مندلسون » كاتباً وصديقاً للشاعر الألمانى «لسينج» والأديب وتاجر الكتب (نيكولاى) وغيرهم وقد كونوا فيما بينهم الرابطة الأدبية البروسية وبفضل هؤلاء الأدباء أخذت برلين تتبوأ مكانة أدبية رفيعة بعد أن ظلت قيادة الأدب الألمانى محصورة فى (ليبزج) و (زيورخ) و (همبورج) وعن طريق الرابطة الأدبية الجديدة أخذ الذوق الفرنسى يشق طريقه إلى الأديب الألمانى .

أما أشهر مؤلفـــات مندلسون فكتابه (أورشليم) Jerusalem و (ساعات الصباح Morgenstunden حيث يعرض لعدد من الفلاسفة أمثال (لوك Locke) و(شفتسبرى Shaftesbury)و (هينه Heine) و (ليبنيتز Leibnitz) و (كريستيان فولف Christian wolff) كما نادى بالرأى القائل أن الديانة اليهودية لا تتعارض والمنطق . وقد ترجم هذا الكتاب الهام إلى كثير من اللغات كما وجد اقبالا عظيماً من مفكرى عصره حتى قال فيه (عما نوئيل كنت Immanuel Kant) « أعتقد أن هذا الكتاب اعلان لإصلاح عظيم لا للشعب اليهودى فقط بل للشعوب الأخرى أيضاً إذ أن الصلة بين الدين والضمير قوية جداً فى اليهودية وهى قوية قوة ما كان الإنسان ينتظرها منهم ولا يستطيع أحد مجاراتهم فيها » .

Ich halte das Buc h fuer die Verkuendigung einer grossenn Reform, die nicht allein Ihre Nation, sondern auch andere treffen

wird. Sie haben Ihre Religion mit einem solchen Grade von Gewissensfreiheit zu vereinigen gewusst, die man ihr nicht zugetraut haette, und deren sich keine andere ruehmen kann. "

الا أن هذا الوضع لم يحل دون تعرض شخص مثل «يوحنا كسبر لافاتير لمندلسون وطالبه باعتناق المسيحية لأنها أحدث دين وأكثر الديانات حرية وهذا المسيحى هو أحد رجال اللاهوت فى زيورخ . وقد آلم هذا الحادث مندلسون وعرضه لكثير من الأمراض العصبية وبالرغم من شهرته العالمية لم ينج من الاضطهاد الذى تعرض له اليهود فى ألمانيا كما رفض فريدريش الأكبر السماح له ليكون عضواً فى أكاديمية برلين التى نال جائزتها ببحثه الذى تقدم به اليها وموضوعه « الوضوح فى علوم ماوراء الطبيعة » ومما زاد الامه ايلاما أن أولاده كثيراً ما كانوا يسألونه عن سبب قذف الأطفال لهم بالأحجار اذا تجولوا فى حديقة من الحدائق .

وفى عام ١٧٧٢ ظهرت مجموعة من الأشعار لشاعر بولندى يدعى « ايزاقر فلكينزون بير » . وقد أنقذها من المعزل بينما كان يعمل تاجراً فى مدينة « كونيجزبرج » ثم شرع فى دراسة الطب فى ليبزج وحدث أن توجه الى برلين فتعرف على مندلسون وأطلع « جوته » على شعره فأعجب به وبمحاولة « بير » .

ثم غزت أوربا موجه من الجشع المادى وأصيب القوم بجنون المال والجرى وراءه ، فجرفت هـــذه الموجة حتى بعض الشعراء اليهود أمثال (هينريش هينه) وانصرف (أفرايم كوه) الى التجارة والفلسفة واللاتينية واللغات الحديثة بما فيها الألمانية وتوجه الى برلين حيث التحق بعمل عند عمه (فيتال أفرايم) وقد اشتهر بغناه الفاحش وكان يملك فى برلين أجمل قصر بها كما تصادق (كوه) مع (مندلسون) و (لسينج) ثم يذهب (كوه) الى نظم الشعر لا بدافع يهودى أو روح يهودية كما أمتاز شعره بالوطنية إذ

تغنى بانتصارات فريد ريش الأكبر وقامت بين (كوه) والشاعرة (أناالويزه كرش) منافسة قوية تغلبت هى عليه .

وكان هذا الشاعر اليهودى ينسج على منوال (لسينج) فهو لايريد تخليد الذكرى والفخر بل يريد نظم الشعر لأن آلهة تلهمه الشعر الهاماً لذلك يقول :

لاأنظم الشعر فخراً .
فنى القبر لايجلب سروراً .
أنظم القصيد كما تنسج دودة القز الحرير .
أن الشعر يلهبنى حتى يرى الضوء .

وهكذا ظهر نفر من الفلاسفة والأدباء اليهود الذين أرادوا أن يظهروا العقلية اليهودية البالية وقد هاجم اولئك الأدباء التلمود ودراسته أو العناية به ونعتوه بأنه مجموعة من الألغاز والأفكار الصوفية وهو يتعارض مع ما جاء فى العهد القديم أو العلوم الإنسانية الحديثة التى تأخذ بيد الإنسانية إلى الإمام لذلك حاول هؤلاء المفكرون التقريب بين اليهودية والمسيحية على هــــذا التقارب يساعد على جلاء العقلية اليهودية ويخرجها من الظلمات إلى النور وهذا الاتجاه هو الذى حدا بالفيلسوف اليهودى « دافيد فريدلندر » إلى الكتابة إلى (بروبست تلر) عام ١٧٩٩ م عارضاً عليه قبول اليهود فى الكنيسة الإنجيلية إلا أن « تلر » رفض تنصيرهم وقبولهم فى كنيسته .

واليهود بين مد وجزر تعرض مصلحوهم لكثير من المتناقضات إذ بينما نجد من يريد أن يلقى بهم فى أحضان المسيحية الإنجيلية إذ بنا نجد مدرسة مندلسون تدعو إلى التشبث بأهداب اليهودية واللغة العبرية فأصدر مندلسون وهو ابن العشرين تقريباً أعنى عام ١٧٥٠ صحيفة أسبوعية فى اللغة العبرية تدعو

إلى نشر الفضيلة ومقاومة الرذيلة كما حاول فيها الجمع بين فلسفة التفاؤل التى كانت سائدة فى عصره وفلسفة العهد القديم وفى سنوات متأخرة نشر بها بعض البحوث فى العبرية حول الفلسفة إلا أنه أدرك أن اللغة العبرية لا تنهض بهذه الرسالة العلمية الرفيعة وإن كنا نجد بين منشوراته التى تقع فى ستة عشر مجلداً ثلاثة فى اللغة العبرية فمندلسون من هذه الناحية كان من أنصار اللغة العبرية وبعثها أكثر منه مصلحاً كما أن تعصبه الدينى اضطره إلى عدم التفكير فى القيام بأى تجديد ومن حسن حظه أن مجلته الأسبوعية تركت أثراً بعيداً فى كثيرين من الشبان خاصة أبناء مدينة (كونيجزبرج) لذلك قرروا عام ١٧٨٣ إصدار مجلة شهرية فى برلين أسمها (هماسيف) أى « الجامع » وظلت هذه المجلة تصدر بالرغم من توقفها أحياناً نحو سبعة عشر عاماً (١٧٨٤ — ١٧٩٧) ومن (١٨٠٩ — ١٨١١ و ١٨٢٩) . ومن أشهر كتاب هذه المجلة « وسلى وساتانوف وفرنكو منديس ويوسف هاعفراتى والأخير من مواليد (تروبلوفيتس) بإقليم شليزيا العليا وقد ولد حوالى عام ١٧٧٠ وتوفى عام ١٨٠٤ وقد احتذى المؤلف المسرحى اليهودى الإيطالى (موسى حاييم لوزاتو (والمشهور باسم رمحال) و« ليسينج وشيلر » فألف أول مسرحية تقدمية عبرية وهى « ملخوت شاؤول » أى مملكة شاؤول عام ١٧٩٤ وقد أعيد نشر هذه المسرحية كثيراً كما أثرت تأثيراً عظيماً فى بعث اللغة العبرية وتطورها .

أما (هرتفيج . نفتالى هيرش ـ وسلى) فقد ولد فى همبورج (١٧٢٥ - ١٨٠٥) وكان يجيد عدة لغات وتاجراً متنقلا بين امستردام وبرلين وكوبنهاجن واقترن بيهودية جميلة غنية متعلمة وكان الشاعر الأول فى العبرية فى عصر النهضة . ولما بلغ (وسلى) الستين شرع فى تأليف ملحمة عن موسى إلا أنه قضى نحبه قبل أن يتمها وقد صرف فيها عشرين عاماً .

ومن رواد استخدام العبرية أيضاً « دليتش » و « هردر » الذى نشر » .

صفحات من الماضى وأشعارا وأمثالا خيالية دينية وخلقية » (١) وقد نشرها فى صحيفة « مركور الألمانية عام ١٧٨١ وغيرها . وأخرج أيضاً عام ١٨٠٢ (أدرستيا Adrastea) كما أصدر ف بمبرجر طبعة جديدة لها ضمن مطبوعات الناشر (شوكين) فى برلين عام ١٩٣٦ .

وقد نسج على منوال (هردر) عدد كبير من اليهود المشايعين للحركة القومية اليهودية . كذلك نجد « اسحق هليفى ساتانوف الذى ولد عام ١٧٣٢ فى بودولين وتوفى فى برلين عام ١٨٠٥ وكان أديباً كاتباً لامعاً فى اللغة العبرية وهو يعتبر وبحق أحد ناشرى العبرية لغة وأدباً .

أما « دافيد فرنكو منديس) فهو يهودى هولندى (١٧١٣ — ١٧٩٢) مسيحى أغنى من أولئك اليهود الذين اضطروا إلى اعتناق المسيحية أو بتعبير أدق اخفاء عقيدتهم اليهودية تقية ومثل هؤلاء اليهود يعرفون أيضاً باسم « مرانين Marranen » وهو لفظ أسبانى معناه خنازير . وكان دافيد فرنكو منديس تاجراً وشاعراً وعالماً وقد تتلمذ على « موسى حاييم لوزتو » الذى هاجر من إيطاليا إلى هولنده لأنه طرد من الكنيسة لاهتمامه بالمسائل المسيحية وقد ألف « لوزتو » بعض المسرحيات الرمزية . أما تلميذه « دافيد فرنكو منديس » فقد تخلص من اسم « فرنكو » وتسمى باللفظ العبرى « حفشى » ومعناه « حر » ليتحرر من المسيحية ويعود إلى اليهودية . وقد ألف «جمول عتلياه» أى جزاء عتلياه(٢) وقد نشرت فى امستردام عام ١٧٧٠ وهى مقتبسة من مسرحية راسين « أستير وعتلياه » كما وضع « منديس » كذلك مسرحية « ميتاتستيو » شاعر قيصر النمسا وكان يحبه اليهود الإيطاليون

(I) Blaetter der Vorzeit. Juedische Dichtungen and Parabeln

(٢) تحنايتا الملكة الوحيدة التى حكمت مملكة يهوداً فى الفترة الممتدة بين ٨٤٣ — ٨٣٧ ق . م .

كثيراً فترجموا معظم أشعاره أو قلدوها ومن مؤلفات شاعر القيصر « بتوليا ليبراتا » Betulia Liberata » وقد اقتبسها « منديس » أيضاً لمسرحيته « تحرير فلسطين على يد يوديث Die Befreiung Israels durch Judith وقد هدف الكتاب والشعراء العبريون إلى نقل تراث الآريين إلى الساميين وشعارهم « جمال يافث فى خيام سام Die Schoenheit Jephets in die Zelte Sems لذلك نشط العبريون إلى ترجمة بعض آثار أمثال شيللر وإصدار عدد من المجلات وتكوين اتحاد المؤلفين والكتاب ومحاولة الجمع بين هؤلاء والقراء وبذلك تكونت الخلية الأولى لقيام الأدب اليهودى المعاصر . هكذا كان الوضع فى المانيا وإذا تركناها إلى النمسا وبخاصة فى الفترة الممتدة بين ١٨٢٠ — ١٨٥٠ وجدنا عدد قراء العبرية فى النمسا والمجر يفوق بعض المئات القاطنين فى المانيا وبينما نجد أشهر العارفين بالعبرية فى المانيا بخاصتهم رجال التلمود ودارسوه وطلاب المعاهد الدينية الذين حرم عليهم الاهتمام بالمسائل الدنيوية إذ بنا فى النمسا والمجر نجد يهوداً متحررين من سلطان التلمود وتعاليمه لذلك رحل عددمن الكتاب العبريين من بروسيا واستوطنوا فينا و « بيمن » « وميرين » Boehmen ; Maehren » كذلك نزلوا فى غاليسيا وبدولين وشمال إيطاليا النمساوى .

ومن أشهر الشعراء العبريين الذين عاشوا فى النمسا والمجر حتى منتصف القرن التاسع عشر « شالوم هكوهين » أو كما يعرف أحيانا باسم « كوهين » وقد ولد فى « مسريتش Mesritsch بيولنده عام ١٧٧٢ وتوفى فى همبورج عام ١٨٤٥ . وكان هذا الشاعر يعتبر همزة الوصل بين الحركة الفكرية العبرية . هسكالاه » فى كل من برلين وفينا . وقد نشر بعض مؤلفاته فى العبرية ومعها ترجمة المانية . ففى عام ١٧٩٩ ظهر كتابه « حكم آجور — مشلى آجور » وقد استخدم فى الترجمة الألمانية حروف الأبجدية العبرية شأنه شأن سائر اليهود الذين حرموا حتى استخدام الحروف العبرية عند نشر الكتب

العربية تنفيذا لأوامر رجال الدين اليهودى .

وفى عام ١٨٠٧ نشر كتابه نباتات من الشرق فى الأراضى الأوربية الشمالية(١) . فخالف « مندلسون » الذى كان يدعو إلى التأليف بالعبرية . ولما مات (وسلى) ماتت معه فكرة بعث وإحياء اللغة العبرية . أما كتابه نباتات شرقية فى البلاد الشمالية (الأوربية) فينقسم إلى ثلاثة أقسام : موت إبراهيم فى أور الكلدانيين والقسم الثانى يهتم ببعض المزامير التى تتصل بحياة داود ثم مسرحية « تابوت » الإسرائيلى وهى تقع فى فلسطين .

أما فيما يتصل بالأديب « هكوهين » فقــــد ظهرت له مؤلفات ألمانية فقط ففى عام ١٨٢٦ ظهرت المسرحية (ديون Dion) كما أن رساء له العبرية الألمانية كانت المثل الأعلى فى القرن التاسع عشر مما دفع كثيرين إلى التتلمذ عليه وألف أيضاً ملحمة داود ووضع أول ملحمة إشتراكية أسمها « العمل وترزه Arbeit und Tirza وقد صدرت عام ١٨١٢ .

وقد ابتدع اليهود النمساويون الذين كانوا يهتمون بالتربية فكرة تربوية جديدة تتصل بالعقائد الشعبية الخرافية ومن أشهر هؤلاء المؤلفين (يوسف بيرل Jossef Perl) (١٧٧٣ — ١٨٣٩) وكذلك (اسحق ارتر (Jizchak Erter ١٧٩١ — ١٨٥١) وكلاهما كانا متأثرين بالمذهب الواقعى فأجادا الهجاء ليهاجما الحركة الشعبية التى انتشرت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أعنى الحركة الحسيدية نسبة إلى مذهب الحسيديم وقد نعتت بالشعبية لأنها تتعارض مع التفكير العالى الرفيع الذى يتجلى فى مسالك وعلم رجال التلمود وتعاليمه والتى هى دين القلب حتى لجهلاء اليهود وكانت هذه الحركة ممهدة لظهور فكرة القومية ولو أن الحسيديم يقدسون الحاخاميين ويعتبرونهم أصحاب المعجزات

(1) Morgenlaendische Pflanzen auf noerdlichem Boden

فالحسيدية هي فى الواقع النبع الذى خرجت منه القصة العبرية الحديثة سواء كانت هذه القصص الحسيدية فى العبرية أو اليديش . وإذا تركنا ألمانيا والنمسا والمجر وعرجنا على روسيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حيث الثورة الفكرية اليهودية الروسية تغلى مراجلها الفينا أنفسنا وجها لوجه مع الأدب اليهودى الحديث حيث بدا هنا استجابة للرغبة الملحة فى إصلاح المدرسة والجمع بين التعليمين اليهودى المحافظ والأوربى المتطور ولا سيما ففكرة التسامح التى أخذت تنتشر بين الأوربيين عاونت على قيام شىء من المساواة بين الطوائف المختلفة يهودية ومسيحية وهكذا انتقل التعليم تدريجيا من مدرسة التلمود « يشيبه » إلى المدرسة المدنية الحديثة إلا أن تعكير صفو الأمن الذى ساد فترة بين اليهود وتعرضهم عامى ١٨٨١ — ١٨٨٢ لثورة روسية (بوجروم) عارمة عطل تقدم النهضة العقلية اليهودية بعد أن ساروا فى طريقها شوطاً بعيداً وحلت محلها الصهيونية التى أخذت تنتشر سراً بين اليهود كالنار فى الهشيم وأخذت هذه الحركة تلقى قناعها بعيداً تدريجيا وأوضحت عن أهدافها الخاصة بقيام دولة إسرائيلية .

ابراهام مبو

Abraham Mapu

ولد فى وليمبول بلتوانيا عام ١٨٠٨

وتوفى فى كونيجزبرج عام ١٨٦٧

شاعر عبرى حديث كما أنه أول قصصى فى الأدب اليهودى وقد انحدر من أسرة اشتهرت منذ أجيال بالعناية بالتصوف وقد درس دراسة أوروبية واهتم كثيرا بتاريخ الشعب اليهودى ومن ثم تأثر بآراء بعض المتحمسين للتأليف بالعبرية وأقام فى (فلنا Wilna) زمنا آبان قيام النهضة الفكرية فى لتوانيا والتى هى امتداد للنهضة اليهودية الروسية . وفى عام ١٨٥٠ انتهى من قصته التاريخية . أحبت صيون « أعنى الحب لصهيون فكانت هذه القصة اكتشافاً لحقيقة اليهودى فى العهد القديم . فوضوع القصة يقع أبان عصر نبوءة يشعيا ويعرض مقدرات البشر فى صورة بدائية يهتم لها الشاعر أما الأحداث فمعقدة هذا مع الإشارة إلى أن « مبو » كان مغرماً بالخيال القصصى .

ومنذ أن وضع « وسلى » ملحمة موسى « موزيدا Moseide » أصبحت مواضيع العهد القديم تكون جزءاً هاماً من الأدب العبرى الحديث فظهرت ملاحم ومسرحيات حول مواضيع مثل « آخاب ونابوت » وهى قصة تتصل بنابوت اليزرعيلى الذى كان له كرم فى يزرعيل بجانب قصر آخاب ملك السامرة فرغب آخاب فى كرم نابوت وعرض عليه كرماً غيره أو ثمنه فرفض « نابوت » فاحتالت ايزابل امرأة آخاب على نابوت وكتبت رسائل إلى شيوخ يزرعيل وأشرافها تدعوهم إلى إعلان الصوم وإجلاس نابوت

فى مقدمة القوم ورجلين تجاهه ليشهدا قائلين أن « نابوت » جدف على الله وعلى الملك ثم يرجم حتى يموت (سفر الملوك الأول إصحاح ٢١)

وغير آخاب ونابوت نجد أيضاً « يائيل وسيسرا » ويائيل هى امرأة يهودية غدرت بالقائد الكنعانى سيسرا وقتلته بينما كان نائماً لديها (سفر القضاة إصحاح ٤ — ٥) .

وقد استغل « مبو » غير هاتين الحادثتين الواردتين فى العهد القديم الشىء الكثير من أخبار الرحلات ونباتات وجغرافية الكتاب المقدس فى سبيل خلق إنتاجه الأدبى هذا بالإضافة إلى اقتباساته من الفرنسيين المعاصرين .

أما قصة « مبو » فتدور أحداثها فى البيئة الريفية لا الفلسطينية الشرقية بل الروسية التى كان يعيش فيها ولم تكن هى الحياة التى تطيب إليها نفسه لذلك هام بالأرض المقدسة واشتاق العودة إليها . ولعل هذا العنصر فى قصة « مبو » هو الذى سبب لها هـذا الإقبال العظيم سواء فى لغتها الأصلية أو التى ترجمت إليها وقصة « أحبت صيون » هذه التى تعنى بتصوير يهودى العهد القديم تصويراً دقيقاً مع عدم توخى المؤلف الالتزام بإشباع عطش المتعطش إلى المعرفة متخيلا الأصول التى يجب أن تربط بين ماضى اليهود وحاضرهم لذلك لم يعبأ « مبو » بسخرية العلماء الذين يجرون وراء الحقائق العلمية المطلقة ويكفى « مبو » أنه صرف من حياته عشرين عاماً قضاها فى وضع هذه القصة التاريخية وقد اختار لنفسه بقعة فوق الجبل تطل على نهر يجرى بالقرب من مدينة « كونو Kowno » اللتوانية حيث كان يعمل هناك مدرساً فى مدرستها وبالقرب منها كوخ يعتقد القوم أنه ما أقام به شخص وتمنى أمنية إلا وتحققت ويذكر القوم أن « نابوليون » أقام به فترة قصار عظيماً وكذلك الشاعر « ميكيفيتش Mickiewitsch » الذى

تمنى استقلال بولندة فتحققت أمانيه . وفى هذا الكوخ عاش « مبو » دائباً على التأليف لحقق أحلامه وأقبل القوم على قراءة كتبه وبخاصة طلاب الـ : يشيبا : على قراءة هذه المؤلفات التى تربط بين العبرية القديمة والمستحدثة التى أخرجتهم من القديم البالى إلى الحى النامى فالشاعر الأديب « مبو » يعتبر وبحق أول من جسد الآمال الحديثة التى صاغها من الماضى وتعاليم الحسيديم وطلع بها كائناً حياً جديداً هذا مع حرصه على إبراز نواحى النقص فى الحياة اليهودية المعاصرة فهو لم يصور هذه الحياة على أنها حياة الكرام البررة بل المنافقين الفجرة وقدأخرج فى هذه المعانى روايته « ها آيت هصبوع » أى العقاب الملون ويعنى المؤلف بهذا الاسم المنافقين .

ولم يتحرر الأديب من استخدام الرمزية تجنباً للرقابة الروسية على المطبوعات إلا بعد إعلان الإصلاح التحررى الذى صدر عام ١٨٥٥ عقب جلوس اسكندر الثانى على عرش القيصرية فانصرف « مبوء » عن القصة التاريخية إلى الأخرى المعاصرة مصورا وناقدا فتحدث عن حياة المعزل حديثاً صريحاً لا كذب فيه ولا تدليس فهو يتكلم عن الجشع والنفاق من ناحية والفقر القاسى من ناحية أخرى . وهذه السنة التى استنها « مبو » لم تحل دون الحديث عن الشخصيات وعرضها العرض الحقيقى وبخاصة عن طريق الأحاديث التى دارت بينه وبين أصحابها .

وبينما كان المؤلف يعد العدة لطبع روايته « ها آيت هصبوع » كان يستعد لتأليف رواية تاريخية أخرى وتعتبر وبحق خير ما أخرج « مبو » إلا وهى « أشمت شمرون » أى « خطيئة سماريا » وقدصدرت عام ١٨٦٦ وهى نقيضة قصته التاريخية الأخرى « أحبت صيون » التى عرض فيها لدولة يهوداً وطناً

بينما فى «أشعت شمرون » يعرض للزمن ويتحدث عن الأحداث التاريخية فى فى الدولة الشمالية المعادية أعنى « إسرائيل » التى كانت تواصل اعتداءتها على الدولة الجنوبية . فى هذه القصة نجد المادة أكثر تنوعاً من تعدد الشخصيات التى يعرضها فهنا نجـــد الثقافة الكنعانيه فى الدولة السامرية يعرضها على لســان الأنبياء لا حسب خيال الشاعر وهـو هنا ولا شك متأثر بالتراث الأدبى الفرنسى أو الانجليزى فعرض الشقاقات القديمة عرضاً شيقاً .

ولم يقتصر أهتمام « مبوه » على الكبار بل اهتم بالصغار أيضاً فـكتب لتلاميذ المدارس الذين يدرسون العبرية واللغات الأوروبية الحية .

موريتس (موسى) هيس

ولد فى بون عام ١٨١٢ وتوفى فى باريس ١٨٧٥

Moritz (Moses) Hess

ويسمى أيضاً الحاخام الشيوعى لأنه أول المنادين بالشيوعية الحديثة وكذلك الصهيونية كما أنه من أتباع مذهب الفيلسوف « هيجل » كما ساهم مع كارل مركس وانجيلز فى الدعوة للمذهب الشيوعى وقد اضطرته هذه الميول الشيوعية إلى التعمق فى دراسة تاريخ الشعوب وعقلياتها المختلفة التى تؤدى بدورها إلى قيام الثقافات المتنوعة ولا شك فى أن كتابه « روما وأورشليم » والذى ظهر عام ١٨٦٢ والذى يدعو إلى القومية اليهودية يعتبر بمثابة حجر الأساس لظهور المذهب الصهيونى . وتسمية الكتاب « روما وأورشليم » لا تشير إلى مدينتى روما وأورشليم بل إلى عالمين مختلفين روما المدينة الزراعية الإيطالية التى ظلت تكافح زهاء سبعة قرون حتى أصبحت سيدة البحر الأبيض المتوسط وسيدة العالم إبان حكم القيصر أغسطس وبعد موت يوليوس قيصر أخذت تودع تدريجياً مكانتها أما أورشليم فهى الحصن الجبلى فى الشرق الأدنى وقد ارتفع شأنها نوعاً ما إبان حكم داود ومن ثم أخذت تتعرض لعواصف التاريخ وزوابعه وتتحين الصهيونية الفرص لتجعل منها عاصمة للعالم أو عاصمة لمملكة الله الأرضية .

وكتاب روما وأورشليم هذا قد صدر كرسائل متبادلة وعليها تعليقات وهو يكون حجر الأساس للصهيونية وأطماعها الاستعمارية فمن هذا الكتاب يتبين الباحث حقيقة المذهب الصهيونى وأهدافه وقد أهدى المؤلف كتابه هذا إلى جميع الذين يكافحون فى سبيل إعادة بعث قوميات الشعوب التى

خلقت التاريخ كما يؤمن « هيس » أن النتيجة الحتمية لبعث الدول والقوميات ظهـور الدولة اليهودية وبعـد مائة تحققت أمنيـة « هيس » ونقلت رفاته إلى فلسـطين حيث شيعتها الحكومة الإسرائيليـة رسمياً ، و « هيس » هو أول يهودى غربى تنبه إلى الحسيديم واستغل مذهبهم فى سبيل تحقيق أهـــدافه السياسية بالرغم من اتساع هوة الخلاف فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بين المحافظين والتقدميين من ناحية وبين هؤلاء وأنصار مزج الشعب اليهودى بغيره من الشعوب من ناحية أخرى وفى هـــذه الفترة من الزمن وضعت الأسس لقيـام الصهيونية كحركة حديثة سـواء فى ألمانيا أو روسـيا وذلك بفضل كتاب «هيس» «روما وأورشليم» وغيره من المؤلفين والناشرين اليهود والمؤلفات القصصية لأمثال (فارص سمولنسكين ١٨٤٠ — ١٨٨٥ Perez Smoienskiu) وهو كاتب واسع الاطلاع غزير الثقافة وجه اهتمامه إلى تأكيـد الاعتراف أن اليهودية ليست رابطة دينية بل هى العقيـدة الجامعة الرابطة لشعب خاص وأن هذه العقيدة الدينية مباشرة أو غير مباشرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللغـة العبرية وكل انحراف عنها يؤدى ولا شـك إلى إضعاف أواصر الترابط بين أفراد الشعب لذلك فهو حريص جد الحرص على التمسك باللغة العبرية والإبقاء عليها حفاظاً على الإبقاء على الوعى القومى الحديث وهذا يؤدى بدوره يوماً من الأيام إلى خلق الدولة اليهودية وقيامها. لذلك أسس هو عام ١٨٦٧ فى فينا مجـــلة عبرية اشترك فيها ألف وثلاثمائة مشترك واسمها « شحر = صبح » ويذكر « سمولنسكين » فى منهج مجلته « لا عار إذا اعتقدنا أن نفينا يجب أن ينتهى وأن اليوم سيأتى الذى تحصل فيه الأسرة الإسرائيلية على وطن مثلها مثل سائر الشعوب والذين لا يخجلون من الأمل فى مجىء يوم الخلاص والحرية ، لا عار إذا تمسكنا بلغتنا القديمة التى رافقتنا طيلة أجيال السبى والنفى والتجوال ، اللغة التى استخدمها شعراؤنا وكتابنا للتعبير عن مشاعرهم عندما آتوا يقيمون آمنين فى وطنهم الأصلى.

الذى عاش فيه أجدادنا طويلا وأودعوه قلوبهم ورووه بدمائهم التى سالت كالماء ، كما يجب على الشعب ألا يخجل إذا ما تمسك وبحزم بلغته وذلك لأن اللغة هى الحافظة الأمينة على قوة الشعب وإذا ما أهملها وفرط فيها أبناؤها زالوا من الوجود فكل من يحاول إبعادنا عن لغتنا العبرية إنما يريد بالشعب وشرفه شرا » .

وكان يدرك « سمولنسكين » أن الشعب اليهودى سيقاسى كثيراً من بغض الآخرين له واضطهادهم إياه حتى يضع قدمه على أرض فلسطين ويقيم دولته التى سيكون لسانها القومى العبرية .

وعلاوة على باب الدوريات والأدب نقرأ فى مجلة « شحر » إبتداء من العام الثالث أبحاثاً علمية أخرى بأقلام أمثال (سلمون بوبر ١٨٢٨ — ١٩٠٦) والمستشرق (دافيد هينريش فون مللر ١٨٤٦ — ١٩١٢) .

والكاتب « سمولنسكين » العبرى هو أول من عالج اليهـــودية علاجاً قومياً ونظر إليها نظرة قومية وذلك فى كتابه «عم عولام = الشعب الخالد» والذى يقع فى ثلاثة فصول :

١ — متنبىء ومشرع .

٢ — هلئيل الشيخ .

٣ — الحماس للشريعة .

وفى هذه الفصول عالج اليهودية على أنها مذهب قومى يعتمد على أصـول دينية وخلقية لذلك فهو يعارض كل ما يجرد اليهودية من قوميتها نتيجة لحركة الإصلاح الألمانية وهو يطالب بيهودية متعلمة تعتمد على السير قدماً فى النهضة العقلية مع الحرص على خلق دولة يهودية وهذا الرأى يتفق ومذهب المؤرخ

الثقافى (كروخمال) (وقد يرد مختصراً — رمك —) (١٧٨٥ — ١٨٤٠) . و « نحمان كروخمان » هذا كان زعيما لحركة الإصلاح الغاليسية كما كان عالماً متضلعاً فى الدين اليهودى وفلسفة التاريخ وقد ولد فى (برودى) وتوفى فى (ترنوبول) فهو زعيم التطور الفكرى اليهودى الروسى من حيث اتفاقه مع (هيردر) فى خضوع التاريخ للمراحل الثلاث المعروفة باسم « الدوائر الثلاث » أعنى « الصعود » ثم القمة ثم السقوط ومكانة إسرائيل بين الشعوب أنها مرت بهذه المراحل الثلاث . وقد أراد « كروخمال » عرض التفاعل الذى تم بين اليهود والشعوب الأخرى فى ضوء الفهم الجديد للتاريخ فشرع فى تأليف كتابه « موره نبوكيم هزمن » أى دلالة الحائرين المعاصرين وتلقفه القدر المحتوم قبل أن يتمه وأخرجه عام ١٨٥١ « ليوبولد زنز » ويقابل هذا الكتاب المؤلف الشهير لموسى بن ميمون أعنى « دلالة الحائرين » وقد وضعه فى العربية وفيه يعالج ابن ميمون مسائل فلسفية خاصة بالتعاليم اليهودية كالاعتقاد فى الله والخلق والنبوة وإثبات صحة الشريعة اليهودية .

وفى القرن العشرين ألف المفكر اليهودى « كوك » كتاباً آخر اسمه « موره نبوكيم حدش » أى الدليل الجديد للحائرين » .

ومن بين الذين نسجوا على منوال « كروخمال » الكاتب « إيزيك هيرش فيس — ١٨١٥ — ١٩٠٥ » وقد اهتم كثيراً بمخلفات الحاخاميين وأصدرها فى مؤلف هو « دور دور ودورشاو » أو « الأجيال وشراحهم » .

وهناك تلميذ آخر للعالم « كروخمال » ألا وهو الحاخام الأكبر لمدينة « براج » واسمه « شلومو يهودا رابوبورت » وقد يرد مختصراً « شير » (١٧٩٠ ١٨٦٧) وهو أحد مؤسسى العلوم اليهودية وأحد المهتمين بالآداب العبرية فى مطلع العصور الوسطى وقد ولد فى لمبرج وتوفى فى براغ وقد كثر اهتمامه بسعديا الفيومى وغيره أمثال اليعازر كاير وناثان

بن يحيئل ومن أشهر مؤلفاته « عرك ملين » أى معجم لغوى يتصل بالتلمود ولم يتمه .

وينتمى إلى هـذا الفريق من العلماء الأديب اليهودى الإيطالى (شموئيل داود لوزتو ،وقد ولد فى تريست عام ١٨٠٠ وتوفى فى بادوا عام ١٨٦٥ وهو أحد مؤسسى العلوم اليهودية وشراح العهد القديم بالعبرية كما ترك كثيراً من الشعر فى العبرية كما ألف تاريخ حياته فى اللغة العبرية .

هؤلاء هم أشهر أفراد مدرسة « سمولنسكين » الشاعر الأديب الذى أولع بالمسائل الأدبية وهام بها كما تتبين هذا من رسائله التى ألفها فى شبابه وقد عالج فيها أشهر مؤلف عبرى أعنى « مايرليتريس » الذى ولد عام ١٨٠٤ فى زولـكييف وتوفى فى فينا عام ١٨٧١ وقد نظم كثيراًمن الشعر العبرى الحديث كما نقل إلى العبرية فاوست لجوته وتحت عنوان (بن أبويا) . وكذلك ألف (قصصا من الشرق) وصحفاً غربية شرقية عام ١٨٤٧ . أما القصص الثلاث عشرة التى عرضها فـــمأخوذة عن التلمود كما أن بعض قصصه الأخرى ترجع إلى مطلع العصور الوسطى وهكذا أخذ يقـدم هـذا المؤلف لقراء الألمانية نماذج من التفـكير العبرى .

أما الغربية الشرقية فعبارة عن شعر يقع فى نحو عشرين قصيدة بعضها له والبعض لغيره كما فعل فى ترجمته لفاوست لذ استغار شخصية من التلمود اشتهرت بالمروق عن الدين أعنى « اليشع بن أبويا » الذى طرده اليهود من الدين . وللمؤلف رسالة أخرى صغيرة اسمها « مشفط امت » أى « حكم عدل » وقد وضعها عام ١٨٧٠ وهى رد على نقد وجهه إليه « سمولنسكين » بمناسبة إصداره (فاوست) .

ولم يطلع النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى كثر عدد المهتمين بهذه الدراسات الأدبية .وكلها تهدف مثل دراسات « مايو لتريس » إلى

تثقيف القارىء العادى لذلك ترجم الصلوات العبرية إلى الألمانية كما اختص النساء والفتيات بكتاب خاص للصلاة وحقق النص العبرى للعهد القديم والذى يعتبر من أهم المراجع للذين يعنون بدارسة العهد القديم أو ترجمته. وترجم «مايرلتريس» أيضاً بعض أشعار اللورد بيرون وغيره من مشاهير الشعراء. وهكذا نجد «ماير لتريس» و «سمولنسكين» و «مبو» يساهمون صادقين فى إخراج اليهود من مدرسة التلمود إلى الجامعات الأوربية الحديثة كما مكنوهم من التنقل فى مختلف بلاد العالم بفضل اجادتهم لكثير من اللغات الحية فضلا عن اهتمامهم بالعلوم الحديثة وإنقاذهم من بيئة النفاق والرياء والتظاهر بالتمسك بتعاليم الدين التى كانوا يتخبطون فيها كما تصورهـــا قصص أولئك الأدباء ومختلف مؤلفاتهم ولعل خير رواية تصور تلك البيئة هى تلك التى وضعها «سمولنسكين» حول «فرح المنافق» «سمحت حنيف» والتى جمع عناصرها طيلة إقامته فى «أوديسا» أما مسائل الخلاف التى كانت شغل أدباء تلك الفترة الشاغل فتدور حول الحب والعاطفة و «فرتر» و «فاوست» و «همليت» «ناثان الحكيم».

ولعل أشهر رواية الأديب «سمولنسكين» غير «سمحت حنيف» هى «حتا بدركى حييم» أى «يضلون فى سبل الحياة» وقد صدرت هذه الرواية كعادته فى النشر فصولا تباعاً نشرت فى مجلته وهى تعتبر من أشهر إنتاجه الثقافى العبرى. وله أيضاً «قبورت حمور» أى «وصمة الدفن» و «جمول يشريم» أى جزاء المتقين وهو يصور هنا فشل الثورة البولندية ضد روسيا والتى اشترك فيها كثيرون من اليهود طمعاً فى المساواة التى قد يحصلون عليها فى بولنده إلا أن أمانيهم كانت قبض ريح وذلك لأن المساواة لن تتحقق بين اليهود وبين شعب آخر يختلف عنهم جنسا ودينا وخلقاً فضلا عن أن اليهودى لم يتأصل فى بلد ما فهو يقيم لا ليستقر بل ليتأهب للرحيل إلى آخر وهذه الصفة جردت اليهودى من حب الاستقرار والاستقرار كما نعلم هو الدعامة الأولى للقومية وأراد «سمولنسكين» أن يصور هذه النزعة اليهودية الدائبة الرحيل

فشرع فى تأليف قصته « هيروشاه » أى الميراث وحاول فيها تصوير حياة يهودى رومانى هاجر إلى أمريكا وهنا يقدم « سمولينسكين » شخصيات يهودية متنافرة المشارب والطباع والعادات ويقدم شاباً يهودياً ترك عقيدته وامتزج فى روسيا ومن ثم أراد العودة إلى عقيدته الأولى وهنا يقع فى مختلف المنازعات وهذه الصورة يعرضها « سمولنسكين » فى قصته « نقم بريت » أى انتقام العهد .

وقد نشر الكاتب فى أواخر حياته كثيراً من المقالات الصهيونية التى تركت أثراً أبعد من « أحد هاعم » والدافع الرئيسى لهذا الحماس للصهيونية فى روسيا الاضطهادات المتوالية (بوجروم Pogrome) وقعت فى جنوب روسيا عامى ١٨٨١ — ١٨٨٢ . فمقالات « سمولينسكين فى الصهيونية تتمم فى الواقع كتابه : « عت لطعت » أى وقت للزرع وقد نشره فى الفترة ١٨٧٥ — ١٨٧٨ . وفيه يقرر أن اليهود شعب وليسوا جماعة دينية .

وغير المجلات الشهرية التى تصدر بالعبرية فى شرق أوربا نجد أخرى أسبوعية وأخرى يومية وهذه الظاهرة تشير إلى الاهتمام المتواصل باللغة العبرية ونشرها وتزايد عدد الكتاب الذين يجيدون أو يحاولون استخدام العبرية . وإذا ذكرنا الصحافة ومحرريها ذكرنا القراء أيضاً وهذا ليس بمستغرب إذا علمنا مدى نشاط اليهود المتواصل لتدريس اللغة وأحيائها وبعثها فقد فرضت فى المدارس اليهودية فالطفل اليهودى كان يدرسها ويدرس العهد القديم حتى الثامنة تقريباً كمادة أساسية إذ كان يبدأ التعليم وهو ابن الخامسة وبعد ذلك ينتقل إلى دراسة التلمود وما يتصل به من دراسات أخرى تعد للالتحاق بالجامعة . وهذه الدراسات التلمودية الأدبية لم تعن بعبرية العهد القديم بل بالعبرية المتأخرة الممتزجة بالآرامية . إلا أن الحركة التى هدفت إلى نقاء اللغة العبرية طالبت بالعودة إلى عبرية العهد القديم إلا أن هذه الحركة معناها الابتعاد عن الدراسات الحديثة التى تنهض بالمجتمع والابتعاد عنها يعزل اليهود عن المجتمعات الحديثة الآخذة

بأساليب الحياة المتطورة علمياً واقتصادياً واجتماعياً ولا شك فى أن دور الصحافة فى سبيل تحقيق هذه الأهداف الصهيونية خطير جداً ودارس الأدب اليهودى الحديث أو الصهيونى مطالب بالإحاطة بالصحافة اليهودية وخاصة تلك التى عاصرت الفكرة الصهيونية أعنى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

يرجح مؤرخو الصحافة اليهودية أن امستردام هى المدينة الأولى التى رأت أول صحيفة يهودية إذ ظهرت عام ١٦٦٧ صحيفة « زيتونج أوس أنديا = صحيفة من الهند Zeitung aus Indis فى اللغة اليديش وبحروف عبرية ولم تصدر بانتظام وكانت تعنى بصفة خاصة بالموضوعات التجارية . وفى الفترة الممتدة بين ١٧٢٨ و ١٧٦١ صدرت صحيفة أخرى أسبوعية تعرف باسم « فووخت » . فون ليبنزبوم = ثمرة من شجرة الحياة Frucht vom Lebensbaum وبعد قرن تقريباً ظهرت فى هولندا ، صحيفة أخرى يهودية . .

أما فى ألمانيا فقد أصدر « موزيس مندلسون » عام ١٧٥٠ صحيفة فى اللغة العبرية تعرف باسم « قوهليت موسر = الواعظ الأخلاقى » ولم يظهر منها إلا عددان فقط . وفى عامى ١٧٧١ — ١٧٧٢ أصدر مندلسون « صحيفة أخرى فى اللغة الألمانية لكن بحروف عبرية واسمها « ديرينفورتر بريفيليجرته زيتونج Dyhernfurther Priviliegierte Zeitung وفيما بين ١٧٨٤ و ١٨١١ صدرت صحيفة « همه سيف = الجامع فى حروف ألمانية .

ثم لم تقف قوة دفع « مندلسون » عند هذا بل أخذت تظهر مجموعات متنوعة من الصحافة والمجلات العبرية التى تعالج فنون المعارف المختلفة ومن أشهرها المجلة الأسبوعية « صيونا انسيكلوبيديشة فوخنبلات = صهيون المجلة الأسبوعية الحاوية لليهود » Siona, encyolepaed Wochenblat

fuer Israeliten فينا يوليه ـ ديسمبر ١٨١٩ أسسها الوس ـ وايجناز يتليس Alois und Ignaz Jeitteles وكذلك مجلة المعرفة اليهودية « برلين ١٨٢٢ — ٢٣ و أسسها ليوبولد زنز Leopold Zunz ومجلة « اليهودى Der Jude » وصدرت فى التونا ١٨٣٢ — ١٨٣٥ وأصدرها جبرئيل ريسر Gabriel Riesser ثم جاء مرتين بوبر واعاد اخراجها فى برلين ١٩١٦ — ١٩٢٤ وصدرت أيضاً المجلة العلمية للديانة اليهودية « فرنكفورت » ١٨٣٤ — ١٨٤٨ وقد أسسها ابراهام جيجر .

وأخذ عدد الصحف والمجلات يتزايد تدريجياً حتى بلغ المئات فى أوربا الغربية أما فى روسيا فإننا نجد النهضة الفكرية تخلق أول مركز لها عام ١٨٤١ بإصدار المناخ « فرحى صفون » أى الزهرة الشمالية وفى عام ١٨٥٦ صدرت المجلة الأسبوعية « همجيد » أى القاص وبين عامى ١٨٦٠ — ١٨٧١ مجلة « هكرمل أى الكرمل أما مجلة « همليص » أى الترجمان فقد صدرت حتى عام ١٨٨٠ شهرية وفيمابين ١٨٦٠ — ١٨٨٦ أسبوعية ومن ثم حتى عام ١٩٠٤ يومية .

أما الصحيفة اليومية الثانية . فقد صدرت منذ عام ١٨٦١ واسمها « صفيرة » أى السحر أو الفجر .

وإذا تركنا العالم القديم واتجهنا إلى العالم الجديد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وجدنا صحفاً أسبوعية وشهرية تصدر منذ عام ١٨٧٠ .

وفى فلسطين فقد عرفت الصحف العبرية منذ عام ١٨٦٣ وان كانت فى أول عهدها دينية وحوالى عام ١٨٨٠ ظهرت الصحف اليومية الحديثة وذلك بفضل مجهودات أمثال « سمولينسكين » و « ليليان بلوم » وى .ل. « جوردون » « يوداليب جوردون Jehuda Leib Gordon » .

و « يودا ليب جوردون » هذا قد ولد فى ٧ ديسمبر ١٨٣٠ فى فيلنا وتوفى فى ١٦ سبتمبر ١٨٩٢ فى بطرسبرج وهو شاعر عبرى حديث نظم كثيرا من الشعر التصويرى وبخاصة الشعر الرعاوى أى الذى يصف الماشية والقصائد الأخرى وبخاصة الوطنية ومن أشهر قصائده تلك المعروفة باسم « هاشاه ويلداها » أى الأم وأولادها وكذلك « بين شينا أريوت » أى وسط انتقام الأسد، وثالثه هذه المآسى « بى مزلوت يم » فى مقدرات أليم وكلها تستعرض النكبات التى حلت باليهود فى عصور السلوقيين والرومان والأسبان .

أما الكاتب «موسى ليب ليليان بلوم Mose Loeb Lilienblum ، فقد ولد فى كيدانى بلتوانيا عام ١٨٤٣ وتوفى فى أوديسا عام ١٩١٠ وهو يعتبر من أشهر الكتاب فى العبرية كما أنه زعيم حركة الهجرة إلى فلسطين ومن مؤلفاته كتابه العبرى فى تاريخ اليهود وهو يقع فى أربعة أجزاء وقد صدر عام ١٩١٠ وما بعدها وكذلك « حطات نعاريم » أى خطيئة الشبان وهذا الكتاب يعرض تاريخ حياته وله أيضاً « ديرك تشوبا » أى طريق التوبة .

ويمتاز ذلك العصر بالنزعة الاشتراكية التى تتجلى فى مؤلفات (جوردون) والذى كان يهدف حقيقة إلى إصلاح المجتمع اليهودى الروسى بنشر هذه المبادىء الاشتراكية أو الشيوعية فى روسيا هدماً للنظام القائم وقضاء على القومية التى كانت العامل الأساسى لكل حركات الاضطهاد التى تعرض لها اليهود سواء فى روسيا أو غيرها من الدول المسيحية وقد تأثر (جوردون) فى شبابه كثيراً بزعيم حركة الإصلاح الاجتماعى فى (فلنا) إلا وهو (آدم هكوهين ليبينزون (١٧٩٤ — ١٨٧٨) Adam Hakkohen

Lebensohn والذى تغلب عليه الواقعية وقد اشتهر أيضاً باسم « ابراهام دوف » أو حسب المدينة التى تعلم فيها (ميكاليزكى) . وقد يرد اسمه مختصراً (آدم Adam) ثم مزج بين اسمه واسم ابنه «ميكا يوسف واختصر إلى «ميكال Michal » وكان شاعراً عبرياً حديثاً مثل والده ونشر لهما ديوان يعرف باسم « كل شيرى آدم وميكال » كل شعر آدم وميكال عام ١٨٩٥ وقد ولد الابن عام ١٨٢٨ وتوفى عام ١٨٥٢ .

ليون - يهودا ليب - بينسقر

Leon - Jehuda Lejb - Pinsker

ولد فى توماشوف ببولنده عام ١٨٢١ وتوفى فى أوديسا عام١٨٩١ وكان من كبار الداعين إلى مكافحة مزج اليهود بغيرهم وفنائهم لذلك كون مع بعض الكتاب والطلبة فى « خركوف » عام ١٨٨٢ الحركة التى اشتهرت باسم « حبت صهيون » أى «حب صهيون» وهى تهدف الى تهجير العمال والفلاحين إلى فلسطين واستيطانها فاستجاب لهذه الدعوة بعض اليهود وفى عام ١٨٨٦ بلغ عدد أعضاء هذه الحركة فى روسيا نحو أربعة عشر ألف عضو وفى عام ١٨٩٦ تزعم هذه الحركة « احد هاعم » ولم تقف مجهودات « بنيسقر » عند هـــذا بل أصدر عام ١٨٨٢ كتابه الشهير « اوتوامنسيباسيون Autoemanzipation » أى التحرر الذاتى وهو تحذير من يهودى روسى إلى أبناء ملته من الاستسلام والتحلل . وفى عام ١٨٨٢ أيضا ظهرت رسالة هامة للفيلسوف والحاخام اسحق ريلف Isaak Ruelf الذى ولد فى رويش — هولسهوزن بإقليم هيسن بألمانيا عام ١٨٣١ وتوفى فى بون عام ١٩٠٢ وكان حاخاماً فى « ميمل » وفيلسوفاً وكاتباً وصهيونياً وكان من أكبر دعاة قيام الدولة اليهودية الحديثة وأول من اعتبر قيام الدولة اليهودية بديهية من البدهيات كما أن لغة هذه الدولة يجب أن تكون العبرية وكان يهدف من إصدارها أيضاً إلى تأكيد ماجاء فى كتاب التحرر الذاتى لبينسقر وقدساعدت هذه الحركة التى دعا إليها بينسقر وريلف على وقف حملة النقد التى كان يوجهها بعض اليهود إلى فكرة قيـــام المجتمع اليهودى ويدعون إلى المزج والأخذ بأساليب الحياة الأوربية الحديثة فقويت فكرة الاستعداد للهجرة

من بلد لا يحقق لليهود استقلال أو أماناً أو استقراراً . واقترح «جوردون» أولا أمريكا وطناً جديداً لأسباب اقتصادية واجتماعية بخلاف فلسطين الخراب الفقيرة والتى لا تمكنها ظروفها من الترحيب بالضيوف فضلا عن أن الهجرة إليها لن تشجع اليهود على اتخاذها وطناً قومياً إذ لا تتوفر فيها الإمكانيات الضرورية العقلية وإن كان الحاخاميون الروس يحبذون فكرة فلسطين للتعجيل بخلق الدولة اليهودية الحديثة .

هذه هى الأفكار الرئيسية التى ساورت زعماء الحركة الفكرية اليهودية وتبناها فيما بعد « احد هاعم » ووالاها حتى تفجرت المذاهب التى تتكون منها الصهيونية وهذه المبادىء تلخص فى تقديم المساعدات المادية لامتلاك الأرض وإقامة الصناعات وفاضت قرائح الشعراء تدعو لتحقيق هذه الفكرة فطلع « جوردون » بقصيدته « بين شينا اريوت » أى بين انتقام الأسد وهى تتحدث عن أسر الرومان لليهودى « بار كوكب » أى ابن الكوكب وهذا لقب أطلقه اليهود على سمعون بن كوسيبا — مدينة كوسيبا بمملكة يهوذا وهو الزعيم الذى قام بآخر ثورة عارمة يهودية فلسطينية ضد الرومان (١٣٢-١٣٥م) وكذلك بقصيدته الثانية «بى مزلوت يم» أى فى مقدرات أو أعماق اليم وهى تصور ما أصاب ركاب سفينة يهودية كانت تنقل نفراً من اليهود الفارين من أسبانيا بعد أن انتقلت من العرب إلى الأسبان وأخذوا يضطهدون اليهود . وله قصائد أخرى هامة مثل « بقصه شل يود » حول نهاية الياء . وفى هذه القصيدة يعرض جمود أحد الحاخاميين هذا الجمـــود الدينى الذى أدى إلى مأساة اليهود . أما قصيدة «صدقيا بيبت هفقدوت» أى صدقيا فى السجن ففيها يعرض الأحداث التاريخية التى عاشها شخصياً .

وغير « جوردون » كما سبق القول ظهر كثيرون من الشعراء والكتاب نادوا بهذه الشعارات التى تدعو إلى بعث الدولة اليهودية الحديثة وفى فلسطين حيث فيها فقط تتكون الشخصية اليهودية والإصلاح الدينى المنشود .

وخير من صور هذا الكفاح الذى حمل لواء ، أمثال « ليليان بلوم »
القاص«روبين أشير برودیس Reubin Ascher Braudes »الذى ولد
فى فلنا عام ١٨٥١ وتوفى فى فينا ١٩٠٢ وقد كان صديقاً حميماليليان بلوم فنثره
فى روايته « هدات وهاحيم » أى الدين والحياة عام ١٨٨٥ فعرض الحياة فى
قرية لتوانيه وفيها يظهر « ليليان بلوم » شخصية من شخصياتها . وبعد ثلاثة
أعوام أصدر « برودیس » روايته « شتى قصبوت » أى الطرفان وهى تشرح
التطور الذى طرأ على الحياة اليهودية بعد البوجروم (الاضطهاد) الروسى
والمحاولات التى بذلت فى سبيل التوفيق بين الدين والحياة اليومية .

ويعتبر « برودیس » من أبرز شخصيات حركة الإصلاح من حيث
مؤلفاته القصصية وأسلوبه ، وهو هنا تلميذ المدرسة الروسية فى القرن التاسع
عشر . وفى سنوات حياته الأخيرة انتقل إلى فينا ليساهم فى تحرير المجلات
الألمانية والييديش والعبرية مع تيودور هرزل كما كون جماعة تعنى بنشر اللغة
لليهودية الدارجة « يرجون » أو « كوندرفلش Kauderwelsch »

ومن المؤلفين الآخرين اليهودى الروسى الكاتب الطبيب « يودا لیب
كتسينيلزون Juda Loeb Kazenelson» أو كما يسمى أحياناً «بوكى
بن يوجلى Boki Ben Jogli » وقد ولد فى تشيرنيجوف عام ١٨٤٧
وتوفى فى بطرسبرج ١٩١٧ وقد سار فى طريق بنسقر فأخذ يعمل على نشر
اللغة العبرية والتاريخ اليهودى وبخاصة ما يتصل بالطب فأوجد بعض
الاصطلاحات العبرية للطب الحديث وقد أفادت كثيراً وعاونت فيما بعد
الطبيب والشاعر اليهودى « تشيرنيخوفسكى Tschernichovsky » . وفى
عام ١٩٠٦ أصبح رئيس تحرير دائرة المعارف اليهودية الروسية والتى تقع فى
ستة عشر مجلداً كما راعى إعدار ترجمة عبرية لها وهى تصدر فعلاً فى فلسطين
منذ عام ١٩٤٩ « انسيكلوبيديا عبريكا Encyclopaedia Hebraica
وقد نشر كثيراً من القصص فى الصحافة العبرية وكان يوقعها باسم « بوكى بن

يوجلى ، وجميع هذه المحاولات الأدبية والعلمية اصطدمت بكثير من العقبات اللغوية فالأديب أو العالم الأصيل هو الذى تنزل عليه أحداث العصور لحياته مسرحية الزمان وهو بطلها فهو الذى يقص على جيله أحاديث القرون الغابرين لا حديث المصور السينمائى فحسب بل المحرك الدافع الأجيال لأنه يحق القوة الحيوية « force vitale »

والوسيلة الوحيدة التى تعبر عن هذه الحيوية الدافقة هى ولا شك اللغة التى نعنيها هنا هى العبرية وهى كغيرها من اللغات مهما كانت فقيرة يجب أن تنهض بتحقيق رسالة الأديب الواقع تحت تأثير هذه القوة الحيوية الدافقة وإذا علمنا أن هذه الحيوية المختزنة قد تجمعت فى أديب ولد ونشأ ورطن فى بلد تفصل بينه وبين البلد الذى يريد الأديب أن يتقمصه مدارات جغرافية ومفارقات اجتماعية وعصور تاريخية وأحداث كأمواج البحار تختلف باختلاف العمر وملوحة الماء وسائر الخصائص الأخرى أدركنا نوع هذا الأديب المهتز أولا ونوع اللغة التى يتخذها وسيلة للترجمة عن مكنون صدره أعنى اللغة العبرية التى فقدت الأهل والوطن وفارقت الحياة منذ قرون سبقت الميلاد بل وتنكر لها المعبد اليهودى فاستعاض بلغات أخرى غيرها فى كثير من مختلف بقاع العـــالم حيث حلت محلها اليديش واللادينو وسائر اللغات الحية وقد كتب لليديش التطور والغناء ومجاراة الحياة اليومية المعاصرة مما صدم أنصار إحياء اللغة العبرية واتخاذها لغة رسمية للدولة اليهودية المرتقبة.

وليست هذه البلبلة اللغوية هى كل ما ابتليت به البقية القليلة جداً وتكاد لا توجد فى اليهودى السامى بل حتى هؤلاء الذين يدينون باليهودية تفرقوا شيعاً فهم :

١ — ماركسيون يرطنون اليديش .

٢ — قوميون شيوعيون يتمسكون بالعبرية .

٣ — أنصار الامتزاج يتحدثون لغات البلاد النازلين بها فابتعدوا جهد طاقتهم عن المسالة اليهودية وكأنها لاتعنيهم .

وفى أواخر القرن التاسع عشر أخذ بعض الصهيونيين ينزحون إلى فلسطين فالتقوا هناك ببعض اليهود الذين كانوا يقيمون وبخاصة فى المدن المقدسة مثل القدس وجبرون وصفد وطبريا وكانوا يتكلمون فى منازلهم اليديش واللاديو والعربى وأخذوا يحاولون العبرية لتربط بين هذه الطوائف المختلفة . وتعصباً للعبرية حاول مهاجر جديد إلى فلسطين التحدث بالعبرية مع أسرته وهذا اليهودى هو « اليعازر بن يهودا » واسمه الأصلى « بيريلمان Perelmann » وقد ولد فى لتوانيا عام١٨٥٨ وتوفى فى القدس عام١٩٢٣ ولما اندلعت نيران الثورة فى البلقان ضد تركيا نشر عام ١٨٧٩ مقالا نادى فيه بالقومية اليهودية وإحياء اللغة العبرية فى فلسطين وهاجر هو عام ١٨٨١ إلى القدس حيث عمل صحفياً عبرياً كما قرر أن يكون أولاده أول أولاد عبريين ثم نجد بن يهودا هذا يحرص على تقديم اللغة العبرية لأسرته وأصدقائه فشرع فى وضع معجمه العبرى الكبير للعبرية القديمة والحديثة وأسماه « القاموس الجامع للعبرية القديمة والحديثة (١) المجلد ١ - ٧ برلين ١٩٠٨ وما بعدها .

وبعد موته واصل العمل لإتمام هذا المشروع اللغوى ن . ح. طورسينا (طورشينير Torczyner) (٢) الذى ولد عام ١٨٨٦ واستطاع إتمام هذا المعجم والذى يقع فى ثمانية عشر مجلداً عام١٩٦٠ وقد أدرك الآن المجمع

---

1) Gesamtwoerterbush der alt-und neuhebraeischen Sprache, Band 1 - 7 Berlin 1908 ff.

(٢) ولد هربى طورشينير فى مدينة لمبرج عام ١٨٨٦ وهو من علماء الساميات وشارح من شراح العهد القديم وقد عمل استاذا فى معهد الدراسات اليهودية فى برلين ثم استاذا فى الجامعة العبرية منذ عام ١٩٣٣ وهو إلى جانب انتاجه اللغوى العظيم يخرج هذا المعجم العبرى التاريخى .

اللغوى الإسرائيلي برئاسة طور سيناء أن الحاجة ماسة إلى وضع معجم أكبر تاريخي والعمل يجري لإنجازه .

كتاب البعث وشعراؤه

وقبل أن نتحدث عن أولئك الكتاب والشعراء يجب أن نحدد معنى ودلالة لفظ « بعث » وذلك لكثرة ما قيل حول صحة هذا التعبير أو هذه الحركة فهل هى حقاً سداها ولحمتها اليهود واليهودية حتى تستحق أن يطلق عليها هذا التعبير ؟ وهل أولئك الأدباء طليعة حركة تهدف إلى استقلال وطن يهودى وتحريره فهم لو صح هذا يجب أن يكونوا يهوداً لحماً ودماً ولغة ووطناً أعنى تتجمع فيهم المسرحية اليهودية متى وقعت أحداثها فى بعض أجزاء فلسطين ولفترة قصيرة جداً تعرضت خلالها إلى نقل فصولها إلى كثير من بلاد الشرق والغرب فهى مسرحية متنقلة لم تقع أحداثها فى مكان بعينه كما دونت فى مختلف اللغات من سامية وغير سامية فهى بابلية آشورية آرامية يونانية لاتينية عربية ومن ثم ألمانية فرنسية إنجليزية روسية أسبانية برتغالية وفى لغات أخرى ليست من هـــذه أو تلك أعنى البيديش واللادينو . فهذا الأدب الذى يحاول قوم تسميته الأدب العبرى الحديث وإن هذا الأدب ماهو إلى بعث لتراث ثقافى وعقائدى قديم ليس من الحقيقة فى شىء كما أن الذين يتصدرون له ليسوا الساميين الخلص جنساً أوعقيدة حتى عقيدتهم لا تنبع من النبع الموسوى ولا تغذيها جداول سامية خالصة ولا تؤمن بها قلوب ذكية طاهرة والتاريخ اليهودى شاهد عدل على هذا كما أن صلاة (قول ندره) ماوجدت إلا تكفيراً لذبذبة اليهودى وزوغانه العقائدى .

وهؤلاء اليهود الذين يدعون بعث الأدب العبرى ، لو سلمنا جدلا أنهم ساميون خلص فإن مقومات الجنس السامى لفظتهم عندما أداروا راضين أو كارهين ظهورهم فى القرن الأول الميلادى أو قبله للوطن السامى بخصائصه

الجيولوجية والفيزيولوجية واستوطنوا بلادا لن تستطيع بما وهبتها الطبيعة إنتاج ابن الصحراء الذى هام ويهيم على وجهه طلباً للحرية وامعانافى الاتصال بالكون ولا شك فى أن إنكار البيئة وأثرها القوى فى تكوين الفرد ينافى تعدد الشعوب وبلبلة الألسن واختلاف العقائد والمثل العليا وما إليها فالباحث هنا يقف أمام ظاهرة فريدة حقاً من نوعها جماعة انقطعت الصلة بينها وبين بلد أقاموا فيه حقبة من الزمن واعتادوا إبان تلك الفترة استخدام لغةلم تولد معهم بل أخذوها عن الشعب الذى نزلوا بلاده أعنى العبرية والتى هى لهجة كنعانية ثم تركوا هذا البلد إلى آخر وآخر وآخر وفى كل مرة يتأقلمون بهذا البلد عادات ولغة ومن ثم فى القرن التاسع عشر الميلادى وفى أوربا صقلبية ورومانية وجرمانية وإنجليزية سكسونية يبدأون فى محاولة نقل عقلية وثقافة البلد الذى يستوطنونه إلى لغة وريت اللحد كلغة حية منذ اثنين وعشرين قرناً فما هى هذه اللغة العبرية التى يعجز هذا اليهودى نطق أكثر أصواتها أعنى حروف الحلق والصفير والأطباق وغيرها ثم هو عاجز أيضاً عن تطبيق قواعد النحو والصرف فالعقليةالتى تحاول تكوين جملةسامية عبرية قدتشكلت تشكيلا آخر يتفق واللغة الحية التى نشأ فيها فضلا عن حالة الجمود التى تعانيها هذه العبرية إذا ماحاول شخص ما الباسها ثوباً لم يعد لها أو لم تتهيأ هى له .

وحركة بعث الأدب العبرى هذه تقابل حركة أخرى قامت فى أفريقيا تعمل لاستقلال القارة الأفريقية أدبياً ولغوياً وسياسياً وهى التى يطلق عليها الباحثون اسم « نيجريتيد Negritued» وأنصار هذه الحركة يؤمنون وبحق فى أن تحرير أفريقيا سياسياً شرط لابد منه لخلق وبعث الأدب الأفريقى وفى هذه البيئة فقط يوجد الفرد الأفريقى والشخصية الأفريقية الحديثة ومن أبرز زعماء هذه الحركة البعثية الأفريقية الشاعر السينغالى « ليوبولد سيدار سينجور **Léopold Sédar Senghor** ورئيس جمهورية السينغال . وهذا

الشاعر السياسى كغيره من كتاب أفريقيا وشعرائها هم أبناء البيئة الأفريقية وتجرى فى عروقهم دماء أفريقية نقية ويتكلمون لغات أفريقية بخلاف الحال مع المتصدرين لبعث اللغة العبرية والأدب العبرى الحـــديث والشاعر « سينجور » قد خرج من قرية أفريقية وزار مدرسة للارسالية الكاثوليكية فى (جوال Joal) ولما أتم دراسته بها انتقل إلى مدينة النور باريس حيث التحق بجامعتها ومن ثم شغل وظائف رفيعة فى الحكومة الفرنسية حتى اختير رئيساً للجمهورية السينغالية . فسينجور أفريقى وفرنسى وله أن يمثل الثقافتين والأدبين بخلاف الحال مع اليهود الاوربيين لذلك يحق له أن يمثل الإنسانية بالرغم من اختلاف أجناسها ولغاتها وعقائدها فى ميدان الثقافة الجامعة وغير سينجور نجد الأدباء الأفريقيين الآخرين يمثلون الجنس والثقافة والتراث الأفريقى أصدق تمثيل بخلاف الحال عند أدباء البعث العبرى الحديث . والقارىء لشعر سينجور ، خريج السربون ، كثيراً ما نجده ينادى الاقنعة التى يتمثل فيها السلف الأفريقى الذى لا يزال يتمتع بالسلطان على الأجيال المتعاقبة . فهذه الأقنعة التى يعرض لها الشاعر سينجور لاعيون لها تمثل التحول الصوفى حيث يقترب الموتى من أبنائهم واحفادهم « أيتها الأقنعة أيتها الأقنعة منك يفوح أريج الخلود ومنك أتنفس عبير الآباء »

وإذا تركنا هذه الإشارة إلى حركة البعث الأفريقى وعرجنا على الحركة اليهودية وجدنا شعراء مثل (مندله Mendele) و (بياليق) و (أجنون Agnon) يستغلون الاحداث الشعبية القديمة والتى دونت وحفظت فى لهجة ركيكة (يرجون) ويبعثونها مرة أخرى . وقد حرص هؤلاء الشعراء وغيرهم على اقناع اليهود بأن الفقر والجهل والمرض من أهم الأسباب التى أدت إلى ضياع الوطن وحرمانهم منه وساهم بعض رجال التلمود فى تأكيد فكرة القومية اليهـــودية وإرساء قواعدها وذلك بإيقاظ الوعى الشخصى فى اليهودى وإيمانه القوى بوجوده وقيمته الإنسانية وهنا يتجه الأدباء اليهود

شعراء وكتاباً إلى الأخذ بيد اليهود ونقلهم تدريجياً من الشك إلى اليقين فى قيام الدولة اليهودية وعودتهم إليها وفى سبيل تدعيم هذه الدعوة استغل الأدباء الكثير من قصص وخيال طائفة الحسيديم فى إنتاجهم الأدبى وهنا نجد القديسين والملائكة يأخذون بيد الضعفاء الذين يتولاهم الله برحمته حتى تعود اليهودية إلى الأرض المقدسة . ويحرص هؤلاء الأدباء على عرض الموضوع الخاص بالبغض والاضطهاد ويعللون وجودهما كما يطالبون اليهود بمقاومة الظلم حتى ولو كان المظلوم لا يملك ما يرد به كيد الظالم وجبروته . وحرص الأدباء على عرض بعض أعمال البطولة المزعومة التى قام بها الإسرائيليون قديماً دفاعاً عن سكان المعزل والضعفاء وهذه النعرة الجديدة هى التى دفعت فكرة ظهور المسيح المنتظر إلى الوجود والعودة إلى فلسطين وهكذا أخذت الجماعات اليهودية المنتشرة فى مختلف أجزاء العالم تشعر بأنها حلقات فى سلسلة يجب أن تتجمع معاً كما حرص الأدباء على الدعوة إلى وجوب التمسك بالماضى وتقاليده مهما تقادم عهد هذه التقاليد وأخذ كل يهودى يتطلع إلى اليوم الذى تظهر فيه الدولة اليهودية إلى الوجود هذه الدولة التى يجرى الأطفال فى رحباتها آمنين مطمئنين .

هكذا درجت الدعوة منذ عهد الأنبياء حتى « بياليق » و « أورى ظبى جرينبرج » وظل الحال كذلك حتى عام ١٩٤٨ م . وفى ذلك العام تغيرت الوسائل لتحقيق الهدف وقرر اليهود أن الحرب وخوض غمارها هى الفيصل ..

ومنذ ذلك الحين واتجه الأدباء العبريون اتجاهاً جديداً فهم يخاطبون الشعوب الحرة الشعوب الدائبة على العمل والإنتاج لا الخاملة المتواكلة . إن الأدب العبرى الحديث أدب يعنى بالواقع ويعرضه عرضاً يؤكد الشخصية ويدعم إيمان الفرد بانسانيته وهذا هو موضوع الأدب القصصى العبرى .

الحديث وكذلك الأدب الغنائى أيضاً كما يعنى بالأدب المسرحى وعلاقة الفرد بالمجتمع والإيمان بالواقع وإمكانية وقوع النقيض .

والكاتب القاص « مندله » والذى يلقب باسم « ما كور سيفريم » أعنى مندله تاجر الكتب المتجول . واسمه الأصلى « شالوم يعقوب ابراموفيتش » بينما لفظ « مندله » عبارة عن صيغة أخرى للفظ « مناحيم » . وقد ولد عام ١٨٣٧ فى (كوبل) بروسيا البيضاء وتوفى عام ١٩١٧ فى أوديسا وقد اهتم كثيراً بكتابة القصص فى البيديش مصوراً المعازل ولكثرة ما أنتج لقب بلقب « سيد » أى (جد) أو (مؤسس) الأدب البيديش . ومن أشهر مؤلفاته فى البيديش (سوستى) أى فرسى وقد ظهر عام ١٨٧٣ وترجم إلى العبرية عام ١٨٠١ ومن ثم إلى الروسية وقد ظلت الترجمة الروسية زمناً طويلا غير متداولة لخطورة الأثر الذى تتركه فى القارىء . كما ترجمت هذه القصة إلى الألمانية[١]

وفى هذه القصة يعرض المؤلف كيف أن حصانه نفق فبارت تجارته وأخذ يكدح فى سبيل كسب المال لشراء حصان آخر ويتفنن الكاتب فى تصوير حياته تلميذاً تعرض لمرض الجنون فاهتدى إلى فرس وهى فى الواقع أمير مسحور يرمز إلى شعب إسرائيل فيقص على هذا الأمير قصة حياته الشقية وقد شارك فى شقائه العفريت (اسمودای) فنمت الرقابة نشر هذه القصة .

ومن مؤلفاته أيضاً (فيسكه الأحدب)[٢] وقد أعيد طبعها مع قصة (خاتم الرجاء) عام ١٩٦١ وعليها تعليق بقلم (ك . فاجنباخ)[٣] وقدسبق

---

1) Die Maehre, 1924, juedische Verlag Berlin

2) Fischke der Krumme (dt. 1918 durch A. Eliasberg, Loewit - Verlag Wien und Berlin

3) K. Wagenbach, Walter Verlag. Olten und Freiburg i/Breisgau

نشرها فى اليديش عام ١٨٦٩ ثم أضيف إليها وظهرت عام ١٨٨٨ وفى العبرية عام ١٩٠١ ثم أضيف إليها ونشرت تحت عنوان (سيفر هقبصنيم) أى (سفر المتسولين) .

ومن هذا النوع أيضاً قصته (قصور مساعوت بنيامين هشليشى) أى نبذة عن أسفار بنيامين الثالث) وقد ظهرت الطبعة اليديش عام ١٨٧٨ والعبرية عام ١٨٩٦ ومن العجيب أن الطبعة البولندية ظهرت تحت عنوان (دون كوييوت يهودى) وبطل القصة خليفة اثنين كل منهما يسمى بنيامين الأول المشهور هو الإسبانى بنيامين الطليطلى وهو الحاخام بنيامين بن يونا الطليطلى باقليم (نافرا) وقد كان أشهر رحالة يهودى فى القرن الثانى عشر وقد قام برحلاته فى الفترة الممتدة بين عامى ١١٦٥ و ١١٧٣ حيث زار ووصف الجاليات اليهودية فى حوض البحر الأبيض المتوسط سواء فى أوربا أوشمال أفريقيا والشرق الأدنى والهند . أما رحلاته (مساعوت ربى بنيامين) وقد نشرها مرقس ناثان ادلر عام ١٩٠٧ مع ترجمة انجليزية وتحقيق لها . وليست هذه الطبعة التى أخرجها (ادلر) هى الأولى بل قد سبقتها طبعات أخرى عام ١٥٤٣ و ١٥٨٣ فى فريبورج باقليم بريسجاو ثم فى ليدن عام ١٦٣٣ وبها ترجمة لاتينية ثم طبعة أخرى مع نقد النص ظهرت عامى ١٩٠٣ و ١٩٠٤ وقد نشرها كل من مرقس ناثان ادلر و ل . جرونهوت . مع ترجمة ألمانية كما ظهرت ترجمة ألمانية أخرى عام ١٨٥٨ قام بها (ا . مرتينيه A Martinet)

وفى عام ١٨٥٨ ظهر كتاب بنيامين الثانى واسمه الكامل اسرائيل يوسف بنيامين (١٨١٨ — ١٨٦٤) وكان تاجراً ورحالة مولعاً بأفريقيا وأمريكا وأوربا . وقد ولد فى رومانيا ومات فى لندن عام ١٨٦٤ وقد نشر عام ١٨٥٥ تقريراً بالفرنسية عن رحلة قام بها من تأليف اسرائيل يوسف بنيامين الثانى . وبعد ذلك ظهر الكتاب فى ترجمة ألمانية تحت عنوان (ثمانية أعوام فى آسيا

وأفريقيا من ١٨٤٦ — ١٨٥٥ Acht Jahre in asien und Afrika
كذلك كتب وصفاً لرحلة (ثلاثة أعوام فى أمريكا Drei Jahre in Amerika ١٨٥٩ — ١٨٦٢ وقد صدر الكتاب عام ١٨٦٢ . أما الترجمة العبرية فقد خرجت للوجود عام ١٨٥٩ وقد عرفت اليهـــود الروس بأبناء ملتهم المنتشرين فى مختلف بقاع العـالم حتى أولئك الذين سباهم الآشوريون عام ٧٢٢ ق . م . بعد القضاء على الدولة الاسرائيلية الشمالية . ويعتقد المؤلف أن يهود الحبشة الفالاشا واليهود الزنوج ويهود الهند وأولئك الذين يقطنون كهوف جبال الأطلس وغيرها هم من الإسرائيليين القدامى .

وكتاب (مندله) هذا يلعب دوراً خطيراً فيما كتبه بنيامين عن (سنكو بنزا) أعنى (سندول المرأة) التى يقطن بالقرب من بلدتها عدد كبير من اليهود على الضفة الأخرى من نهر (سمباتيون) وجبل الظلمات . فحتى هؤلاء اليهود سيعودون إلى فلسطين تحقيقاً لعقيـــدة مجىء المسيح هذه الفكرة التى اخترعها اليهود تحقيقاً للتجمع اليهودى بعد تشريدهم . وهذه العقيدة الخيالية المهيمنة على اليهود هى بعينها المسيطرة على الـكاتب (مندله) فى سيرته الخاصة (ياميم هاهم) أعنى فى تلك الأيام . كما نجدها أيضاً فى النص اليـــديش (شلويمال) وفى رسالة (مندله عن الشعر والحقيقة) .

ومن أهم مؤلفات «مندله» كتابه (بعمق هبـّكاه) أى فى وادى الدموع وقد صدر فى العبرية عام ١٨٩٦ وكذلك فى اليديش (دوس فونتشفينجرل) أى خاتم الرجاء وذلك عام ١٨٦٥ والـكتاب الأخير عبارة عن تعبير عن الثقافة الأوربية التى تشمل جميع الطبقات وهى القصة التربوية للطفل (هرشله) أحد (قبصانل) أى جماعة المتسولين .

ويعتبر (مندله) من أبرز الشخصيات فى إحياء حركة البعث الأدبية العبرية فالمسائل التى أدركها بدت لأحفاده وأحفادهم وكأنها ألغاز لا حل لها

لذلك نجد كثيرين من أبناء القرن التاسع عشر يقررون أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق هـــذه الأهداف هى مناصرة الصهيونية . ومن أشهر المتعصبين لاستخدام هذه الوسيلة (مردوخاى شاءب فيربرج) (١٨٧٤ — ١٨٩٩) الشاعر العبرى الصهيونى المتطرف والقاص وهو مؤلف القصة المشهورة (لاين) ؟ أى إلى أين ؟ وقد أصبحت هذه العبارة شعاراً لذلك الجيل .

وقد نسج على منواله كتاب آخرون مثـــل « أورى نيسن جنيسين Uri Nissan Gnessin (١٨٧٩ — ١٩١٣)أحد طلاب معهد الدراسات التلمودية وتعاون مع زميله يوسف حاييم برينر Josef Chajim Brenner (١٨٨١ — ١٩٢١) شاعر العمال وقد فر من روسيا عام ١٩٠٥ إلى لندن حيث اشترك مع أورى نيسن جنيسين فى إصدار مجلة خطية وفى عام ١٩٠٩ هاجر يوسف حاييم برينر إلى فلسطين وعاش فيها حتى لقى حتفه على يد العرب فى يافا عام ١٩٢١ وقد اشتهر هذا الشاعر بقصصه الاشتراكية المتشائمة كما ترجم أعمال « رشكولنيكوف » إلى العبرية وصدرت هذه الترجمة فى ثمانية أجزاء عام ١٩٢٥ .

أما « أورى نيسن جنيسين فقـد ترك انجلترا عام ١٩٠٧ إلى فلسطين وهناك شعر بخيبة الأمل وذلك لأن الوضع فى فلسطين أبعـد من أن يحقق آماله وأحلامه . وبعد عام عاد إلى بولندة . والقارىء لكتاباته يدرك تماماً عدم الاستقرار المتسلط عليه فهو يصور نفسه بطلا فى جميع قصصه ويدعو إلى القومية العالمية ويفشل ويخيب رجاؤه وتهتز عقيدته وتتجلى هذه الزعزعة فى الأسماء التى أطلقها على قصصه مثل « بطرم » أو قبل و « أصـــل » أى « عند أو بالقرب » .

وهذا اليأس أو الضعف ليس مصدره جسده بل الأخلاق التى سادت المجتمع والبيئة هـذا الفساد الذى لا يستطيع إنسان شريف الحياة فيه أو المصلحون إصلاحه .

وعن طريق هذه القصص أخذت العبرية الحديثة تستمد بعض عناصر الحياة ومقوماتها وتقتبس الشيء الكثير من فن القصص الأوربي فأصبحنا نجد في العبرية الحديثة استخدام الزمن الشخصي عوضاً عن الزمن التاريخي أو الرمزية أو غيره من الأساليب الأوربية الحديثة . ويتجلى هذا الأسلوب واضحاً جداً عند «جنسين Gnessin » الذي ترجم لبودلير Baudeliare وغيره لذلك يعتبر « جنيســين » و « برينر Brenner » و « شوفمان Schofmann » خالق النثر العبري الحديث .

والذي يعتمد على عناصر كثيرة غير سامية فثلاثتهم لا يعترفون بالزمن التاريخي في قصصهم بل بالزمن الشخصي الذي يعـــبر عن اللقطات التعبير الذي يتفق و نفسية الكاتب وشعوره فهو يهتم بطبقه العامة من الشعب والذين يصورهم معاصره الواقعي « يشعيا برشادسكي Berschadski , Jeschaja (١٨٧٠ — ١٩١٠) فمؤلفاته تهتم بدراسة المجتمع كما هو الحال في الواقعية الروسية ومن مؤلفاته القصصية « بئين مطـّاراه » أي بلا هدف التي نشرها عام ١٨٩٩ والقصة تعرض حياة شخص موهوب بالسخرية القاتلة وغيرها من القصص التي تدعو إلى الصهيونية العمياء كما يتصورها هو .

ومعظم كتاب ذلك العصر العبريين كانوا إيجابيين واقعيين وقد أثر مذهبهم هـذا مباشرة وغير مباشرة في المفكر « أحد هعم » أي أحد أفراد الشعب واسمه الأصلي (أشير جنزبرج Ascher Ginzburg) وقد ولد عام ١٨٥٦ في أوكرانيا وتوفى في تل أبيب عام ١٩٢٧ وقد عمل محرراً في أوديسا (١٨٨٤ — ١٩٠٧) حيث تجمع حوله نفر من الشباب . وفي عام ١٩٠٧ هاجر إلى لندن ومن ثم رحل عام ١٩٢٢ إلى تل أبيب . وقد اهتم (أحد هعم) في مقالاته التي نشرها في الصحافة العبرية للتاريخ العقلي اليهودي كما عرض الطريقة المثلى لخلق القوميـــة العقلية التي تكمل بعث الشعب الإسرائيلي شعباً متعلماً معلماً . وقد جمعت هذه المقالات ونشرت في أربعة

مجلدات تحت عنوان (آل فرشات دركيم) أى صوب مفترق الطرق (١٨٩٥ و ١٩٠٤ و ١٩٠٥ و ١٩١٣) كما ظهرت لها مختارات ألمانية (١٩٠٤ و ١٩١٣ — ١٩١٦) وبعد ذلك ظهرت الطبعة الكاملة (آل فرشات دركيم) عام ١٩٢٣[1] .

رأينا كيف أن الاتجاه كان يهدف أولا إلى الارتماء فى أحضان الثقافة الأوربية وهذا يتجلى لنا واضحاً فى كتاب (منديله) المسمى (خاتم الرجاء Wunschring وقد سار فى طريقه أيضاً (دافيد فريشمان David Frischmann وقد ولد فى بولندة عام ١٨٦٥ وتوفى فى برلين عام ١٩٢٢ وكان كاتباً وشاعراً وقاصاً عبرياً حديثاً وقد تأثر كثيراً بالشاعر اليهودى هينريش هينه كما ترجم كثيراً من الآثار الأدبية للكاتبة الإنجليزية (مارى آن كروس Mary Ann Cross والتى اشتهرت باسم (جورج اليوت George Eliot) روايتها (دنيال دروندا Daniel Deronda) وترجم لشكسبير (كوريولان Coriolan) وللشاعر (نيتشه) كتابه (زرادشت Zarathustra) وقد أثرت ثقافة (فريشمان) الأوربية كثيراً فى الأدب العبرى الحديث فألقى عليه ظلاله بخلاف الحال مع (أحد هعم) الذى كان يتطلب من الأدب العبرى أن يعكس النفس العبرية والعقلية العبرية . . . والملاحظة الجديرة بالذكر والتى تبين لنا روح (فريشمان) دراسته فى ألمانيا فقد درس تاريخ الفنون والعلوم الفيزيائية وهو يدرك أن الفرد ضعيف أمام القوانين الطبيعية لذلك أخذ يسخر فى قصصه التى استمد

1) Am Scheidewege dt. von Friedlander, H. Torczyner, H. Knöpfmacher, E. Müller. (Jüdischer Verlag, Berlin 1923).

J. Friedlander : Achad Haam, in Analecta Poznanskiana vlll, 7, 1906

Mathias Acher (N. Birnbaum) Achad Haam, ein Denker und Kaempfer, der jüdischen Renaissance, Berlin 1903

مادتها من العهد القديم من الآراء الواردة فى سفر العدد مثلا لذلك خلق لنفسه أعداء كثيرين وزاد عداء خصومه له أنه رفض السير فى ركاب الصهيونية المتعصبة وهو ينادى بالعالمية غير المتعصبة التى تتجدد وتتطور لذلك نقل الكثير من التراث غير اليهودى إلى اليديش وتأثر كثيراً بالشاعر الألمانى نيتشه وكتابه زرادشت وترجم قصص « جريم واندرسون » و (الكتاب Das Buch Joram) لرودولف بورخردت Rudolf Borchardt) وللشاعر الروسى (بوشكين) وبعض إنتاج طاجور وللشاعر بيرون (قايين) ولأوسكار فيلد وغيره .

فالأديب (فريشمان) هو صاحب الفضل الأكبر على الترجمة إلى العبرية مما دفع كثيرين إلى السير فى طريقه وعن طريق هذه الترجمة نلمس التطور الخطير الذى سلكه الأسلوب العبرى واللغة العبرية وبخاصة فى المسرحيات بعد تشكيل الفرق المسرحية فضلا عن الانتقال من المسرحية المقروءة إلى الممثلة .

وأول هيئة عبرية مسرحية هى (هبيما) وقد تأسست فى موسكو ١٩١٦ — ١٩٢٥ ومعنى اللفظ (خشبة المسرح) وقد أسسها (ناعوم زيماخ Naum Zemach) عام ١٩١٦ وأسلوب هذا المسرح تغلب عليه الواقعية المتعددة الألوان وقد منحها هذه الصفة (فختنجوف Woehtangow) تلميذ (ستانيسلافسكى Stanislawski) ومن أشهر ممثلى هذا المسرح (بن حاييم وظبى فريدلند و ا . مسكين) والممثلة (روفينا Rowina) .

وقد عرضت هذه الفرقة مسرحياتها فى أوربا وأمريكا وقد اكتسبت شهرتها عن إخراجها مسرحية (انسكين) ألا وهى (ديبوك Dybbuk Anaskis) وإعداد بياليق وكذلك مسرحية (فارص : الليلة فى السوق القديم Perez, Die Nacht auf. d. alten Markt) ومسرحية

(جوتسكوف : أوريل أكوستا Gutzkows : Uriel Acosta) .
إلا أن عدداً من ممثلى هـذه الفرقة أقام فى أمريكا منذ عام ١٩٢٧ وذهب آخرون إلى فلسطين حيث نجد فرقة (هبيما) منذ عام ١٩٢٨ فى تل أبيب .

وقد ازداد الاهتمام بالمسارح عند ماشرع عدد من المؤلفين المسرحيين يغذون المسارح بإنتاجهم مثل (اجمـــون — بيستربتزكى — Agmon Bistritzki) الذى نشر عام ١٩٣١ مسرحية (شبتاى ظبى) الذى ولد عام ١٦٢٦ فى أزمير وتوفى فى ألبانيا عام ١٦٧٦ وقد ادعى انه المسيح المنتظر وكادت دعوته هذه تؤدى إلى فتنة عظمى لافى مصر وحدها أو الامبراطورية العثمانية بل بين سائر يهود العالم فقد طارده ربانيو سالونيك فلجأ إلى مصر ضيفاً على اليهودى المصرى الثرى يوسف شلبى وكان صراف باشى مصر وكان يوسف شلبى كثير الصوم والغسل ويطعم يومياً خمسين فقيراً فاستغل شبتاى طيبة قلب يوسف وحصل منه على مبلغ وفير من المال مدعياً رغبته فى مساعدة فقراء فلسطين وبالغ فى استغلال السذج من اليهود فآثر السلطان محمد الرابع زجه فى السجن فترك شبتاى اليهودية وأعلن اعتناقه الإسلام وتسمى باسم محمد أفندى ودخل معه الإسلام عدد كبير من أتباعه وفى عام ١٩٣٦ اعد (أجمون) هذه المسرحية لمسرح العمال المسمى (أوهيل) اعدادا جديداً كذلك مسرحية (ماريا ستيورت) ترجم مرتين عام ١٨٧٩ فى لتوانيا وعام ١٩١٠ فى أمريكا ثم أعدت أعداداً خاصا لعرضها فى مسرح الحجرة بتل أبيب وكان ذلك عام ١٩٦١ .

إن (مندله) و (فريشمان) كانا رائدين من رواد الأدب العبرى الحديث وكل منهما استخدم السلاح الذى يجيده فالأديب (مندله) كان مربياً ومن ثم انتقل إلى شاعر ينظم فى حياة الأبطال وبطولاتهم كما أن (فريشمان) ظل فى موقفه يدافع عن موقعه الخاص بالأخذ بأسباب الثقافة الأوربية ولو أنه

تمسك بأسلوب العهد القديم اللغوى مؤتماً بأمثال (بورخاردت) بخلاف الحال مع أمثال (جنيسين) و (فيربرج) اللذين قطعا صلتيهما بالماضى واشتقاقهما طريقاً جديداً لنشاطهما وتجديدهما فالقديم لايتفق وطبيعتيهما .

وهكذا نجد من هذه الفئة كثيرين يرون فى العبرية لغة قديمة ميتـــة كاللاتينية واليونانية مثلا فرفضوا العبرية ولجأوا إلى البيديش واتخذوها ترجماناً لهم .

كذلك ظهر شاعر البيديش الشعبي . يسحق ليبفيش فارص .

وقد ولد فى . زاموزا ببولنده عام ١٨٥٢ وتوفى فى وارسو عام ١٩١٥ وكان أيضاً قاصا هاما فى وصف البيئـــة وكان من اتباع المذهب الحسيديم الحديث وكان يكتب أحياناً فى العبرية وقد ترك كثيراً من القصص والأساطير والمقالات فنال إعجاب معاصريه . وكان محامياً فسحب منه الترخيص له بالعمل لنشاطه الاشتراكى واستغل نشاطه فى الجمعية اليهودية وازداد انتاجه فى البيديش والعبرية أكثر من ذى قبل . وقد بدأ نشاطه هذا وهو لم يتجاوز الخامسة عشر فنشر فى اللغة البولندية وبلغت مؤلفاته حوالى مائة قصة ومسرحية وكثيراً من القصائد وقد ترجم هو معظم مؤلفاته من البيديش إلى العبرية كما اهتم كثيراً بالكتابة عن الحسيديم بالرغم من اختفائها كحركة شعبية .وكان (فارص) شاعراً مثالياً طموحاً محباً لعقيدته الدينية والمؤمنين بها وأهل التصوف وكان بطبيعته مغرما بالمشاهدة وكان يسبح بخياله فى المدينة اليهودية التى يطمح فى ظهورها كما كان يمضى بعض وقته فى سماع الموسيقى اليهودية الصوفية لكى يخلو إلى نفسه ويناجى ربه وهذا النوع من الاهتمام كان يفضله (فارص) على مختلف أنواع العبادات الأخرى التى اعتاد الحاخاميون الدعوة لها ومباشرتها وكان يتصور حياة المرأة اليهودية داخل المعزل وأحلامها وآمالها لذلك يعتبر (فارص) اليهودى الواقعى الحقيقى ،

وفى النصف الثانى من حياته تحول إلى قاص للحسيدية ونشر بعض مذكراته وأصدر عام ١٨٩٤ ديواناً فى الشعر الغزلى الجميل فكان أول شاعر يهودى من شرق أوربا ينشر هذا النمط من الشعر . وقد ترجمت معظم مؤلفات الشاعر من اليديش إلى الألمانية ومن اشهرها (قصص من المعزل وأخرى موسيقية وثلاث مسرحيات وبعض قصص الحسيديم والمسرحية الصوفية) بيت الأبرار أو السلسلة الذهبية(١) .

---

1) Erzählungen aus dem Ghetto (deutsch von A. Eliasberg,l ausgewählt von Eliasberg, Winkler-Verlag, München 1961
Musikalische Novellen, Berlin 1920
Gleichnisse, Berlin 1920
Drei Dramen, in Nachdichtung von H. Zuckermann und S. Schmitz (Geleitwort; Martin Buber, Wien 1920
Chassidische Geschichten, deutsch von A. Eliasberg Wien 1917
Chassinische Erzählungen, deutsch von Ludwig Straub, Berlin 1936
Das Haus der Gerechten oder die Goldene Kette, sowie Die Nacht auf dem alten Market.

بياليق ومدرسته

حاييم نحمان بياليق (١٨٧٣ — ١٩٣٤)

أشعر شعراء الأدب العبرى الحديث منذ ألف عام ولد فى ٩ يناير ١٨٧٣ فى « رادى — فولهينين — وتوفى فى ٤ يوليه ١٩٣٤ فى فينا . وقد عاش فى أوديسا حتى عام ١٩٢١ وتل أبيب وكان كثيره من معاصريه من أبناء ملته فى روسيا والذين ينتمون إلى عصر النهضة أحد الذين درسوا فى ال « يشيبا » اعنى معهد الدراسات التلمودية حيث يجتمع أذكى شباب اليهود وأنجبهم من بين الأربعة ملايين يهودى روسى ويكرسون حياتهم لدراسة التلمود والتعمق فيه ليتخرج الدارس ملماً بالشريعة فيقضى بين أبناء ملته . وفى هذا العهد كان يجتمع الدارسون ويحيون حياة الرهبان فى جو خاص بهم وكانوا يحفظون هذا التراث الدينى ويتدار سو نه كما يعنون بقراءة التفاسير المختلفة لهذا التلمود الذى يرجع تاريخه إلى قرابة ألف عام . وفى المساء كان يدرس الطلاب اللغات الحية الأجنبية والأدب والتاريخ ليحققوا آ مالهم فى شق طريق جديد فى الحياة الدينية اليهودية .

أما فى ألمانيا والنمسا فكانت المعاهدة الدينية واليهودية تسلك منهجاً آخر فهى تهدف إلى العناية بالعلوم الحديثة ليستطيع الخريجون مواصلة الدراسات الجامعية الحديثة إلا أن المادة كانت تحول أحياناً بين الفقراء منهم وبين اتمام الدراسة لذلك كانوا يعملون مدرسين يدعون اليهود إلى وجوب العمل على العودة إلى صهيون . فعلى أكتاف هؤلاء نشأ الجيل الجديد الذى كان متعطشاً إلى العودة إلى صهيون فاهتموا بدراسة العبرية وما إليها ليفروا من الاضطهادات التى كانت تلاحقهم فى كل مكان .

وكان بياليق القنطرة التى تصل بين الماضى والحاضر وكان شأنه شأن

غيره يكافح من أجل تحقيق هذا الهدف مستخدماً مختلف الوسائل الأدبية نثرا أو شعراً فأصبح وبحق الشاعر القومى رمز الحياة اليهودية ووجودها .

لقد ولد بياليق كما سبقت الإشارة فى قرية فقيرة وقضى بهذه القرية الستة الأعوام الأولى من حياته فى الغابة والحقل حيث الطبيعة الحالمة الهادئة السافرة وقد أثرت فيه حتى صورها شعراً سهلا عذباً . وظل يقاسى عناء الحياة والتحصيل فى اليشيبا حتى الحرب العالمية الأولى . وكان يقيم فى أوديسا بين المؤلفين العبريين الذين كانوا يحيطون بأمثال « منديله » و « أحد هعم » كما نجد فى حلقات هذه النخبة المفكرة المؤرخين والنقاد أمثال « شمعون دبنوف Simon Dubnow » الذى ولد فى ١٨ سبتمبر ١٨٦٠ فى « مستيسلول Mstistawl » فى روسيا البيضاء وقد عمل هذا المؤرخ فى سان بطرسبرج وبرلين (١٩٢٢ — ١٩٣٣) و « ريجا » ومن أشهر مؤلفاته كتابه الذى يقع فى عشرة أجزاء فى تاريخ الشعب اليهودى (١٩٢٥ — ١٩٢٩) وتوفى عام ١٩٤١ فى معزل ريجا .

وغير «دبنوف» نجد «يوسف كلوزنر Josef Klausner» الذى ولد عام ١٨٧٤ فى أولكينيكى وعمل منذ عام ١٩٢٦ أستاذاً للأدب العبرى الحديث بالجامعة العبرية بالقدس وتوفى بها عام ١٩٥٨ ومن أشهر مؤلفاته يسوع الناصرى وتاريخ الأدب العبري الحديث .

ولم يكد بياليق يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى أخذت شهرته تذيع بفضل قصيدته (ال هصبور) أى إلى العصفور وفيها يتحدث عن الحنين إلى الوطن ومواطنيه . كما نظم الشاعر كثيراً من الأغانى الشعبية وبعض الأناشيد للأطفال وترجمة عبرية لبعض الأغانى الشعبية فى اليديش . هذا هو بياليق الذى يرتبط بالأرض الطبيعية والجبال حيث الثلج والشمس .

لكن بياليق الشاعر الذي تعشق الطبيعة والجمال لم تقف ملكته الشعرية

عند الوصف والمديح بل كان مبشراً ونذيراً فهو كما يرى كثيرون ويحق الوريث الحقيقي لابن الفلاح (عاموس) الذى هرب من المحراث إلى النبوة . كذلك كان بياليق ابن فلاح نشأ وترعرع فى الحقل والغابات يحرث حينا ويحتطب أحياناً . هذا هو بياليق الأسمر الذى كان شديد الغضب ثائراً على عمى بصيرة أبناء ملته على اليهود الثرثارين المتواكلين المجردين من وسائل الدفاع المتوفرة عند الآخرين القتلة المجرمين . وكان شديد الكره لأولئك الذين يتظاهرون بالتدين ويقنعون بالصلوات وما إليها فقط . وقد أتى غضب بياليق أكله إذ أخذت تظهر فى الشعب الرغبة فى المقاومة والوعى لمواجهة العدو . وإلى باليق أيضاً يرجع الفضل فى بعث الاهتمام بالثقافة لافى شرق أوربا فحسب بل فى فلسطين أيضا وامتد أثر بياليق حتى بلغ مختلف الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية إلا أن هذا الاهتمام لم يحقق الهدف المرجو منه . فغضب بياليق على الله باسم هذا الإنسان الشريف الذى يبذل كل جهده فى سبيل أحياء هذا الشعب الذى يؤمن بالله ويعبده وفى سبيل هذا الإيمان يضطهد ويقتل فى مختلف العصور والأقطار . أن بياليق كان أحد المفكرين الذين خاصموا الله وعبر بياليق عن هذه الخصومة فى عبارات قوية إذ غاص فى أعماق اللغة مستخرجاً أدق الألفاظ وأفصح العبارات العبرية .

وبياليق فى شعره وقصصه متأثر جدا ببيئته التى نشأ فيها وهو مخلص لهذه البيئة صادق التعبير عنها ومعظم قصائده الخالدة نظمها قبل عام ١٩١١ . وفى أواخر حياته عاد إلى ذكريات طفولته وصاغها شعرا فى نمط أدوار وتحت اسم (يتموت) أى (اليتم) وإذا علمنا موت الوالد والأم فى حالة الفقر المدقع وانتقال الطفل ابن سبعة أعوام إلى جده الرجل الصارم كى يحصل من هذا الشيخ العالم على الغذائين غذاء الروح وغذاء الجسد أدركنا أثر هذه الظروف فى نفسية الشاعر فشعره فى أواخر أيام حياته يقفل دائرة ،

كفاحه مثيراً ومباركا القوى التى كونته وصاغتـــه سواء كانت فى ظلال الزيزفون أو غيرها كما يصور هذا الشعر الوفاء والإخلاص للمعلم الفقير ودموع وابتسامات الأم والحزن العميق جداً على الوالد الذى صارع الفقر والجوع والعرى والمرض حتى انطفأت شمعة حياته .

ولم يكن بياليق بالشاعر المنطلق بل مقـــلا إذا ما قورن بالشعراء الآخرين الذين تخرجوا عليه فى مدرسته وذلك لأنه كان يؤثر توجيه غيره فينتج ويكتفى هو بالقليل . وعاصر الشاعر عام ١٩٠٣ فى جنوب روسيا تنكيلا حل باليهود وكان هو شاهد عيان فأثر هذا الحادث فى نفسه فرثى شهداءه . وعبر عن حزنه وألمه تعبيراً قوياً كان أشد أثرا فى قارئه من ويلات التعذيب واستشهاد الشهداء وأنين الجرحى وأشهر ماله فى هذه المأساة قصيدتان أولاهما « على شحيطاه » حول المذبحة والقصيدة الثانية (بعيرههريجاه) « بمدينة القتل » إلا أن الرقابة اضطرت الشاعر إلى تغيير بعض عباراتها لجعلها نبوة حول نميروف عوضاً عن « كشينيف » ، وأرجـــع تاريخ حوادثها إلى بوجروم (اضطهاد) القوزاق الذى وقع عام ١٦٤٨ حيث ذهبت ضحيته ستة آلاف يهودى من سكان هذه المدينة الأوكرانية وتكررت هذه المأساه مع الذين جاءوا بعدهم عام ١٩٤١ .

نلاحظ فى هاتين القصيدتين أن أسلوب الشاعر قاذف لهب فهو يشير فى الأولى بلفظ المتكلم إلى شعبه اليهودى الذى يقدم عنقه إلى السياف غير هياب ولا وجل لأن دمه سيفترس ويلتهم الأرض التى يجرى عليها . وفى القصيدة الثانية نجد لفظ الجلالة إلا أن الشاعر يتجاهله وحال بياليق هنا شبيه بحال حزقيئيل فى نبوءاته .

وقد نالت القصيدتان وغيرهما إعجاب كثيرين من زعماء الأدب الروسى وبخاصة « مكسيم جوركى » الذى عاون بياليق وبعض أصحابه على الهجرة

من روسيا عام ١٩٢١ وقد ترجم بعض قصائد بياليق إلى الروسية الصهيونى « فلاديمير جابوتنسكى » أحد مواليد مدينةأوديسا عام ١٨٨٠ ومؤسس الفيلق اليهودى وقائده إبان الحرب العالمية الأولى وقد مات فى أمريكا عام ١٩٤١ بعد جهاد صهيونى طويل . أما شعر بياليق الخاص بالبيئة فيدور حول البيئة الروسية كما عرض للصحراء رمزاً للسبى ومن أشهر قصائده الصحراوية قصيدته المسماة«ميتيه مدبر هاحرونيم » أى « آخر أموات الصحراء » كذلك له قصيدة أخرى تدعى « ميتيه مــــدبر » أى أموات الصحراء . والشاعر فى فى قصيدته الأولى يصف تسلل الإسرائيليين إلى فلسطين تحت زعامة يشوع بن نون وبأسلوب رمزى وقد نظمها عام ١٨٩٧ لما دعاه « تيودور هرتزل » إلى حركة الصهيونية . فهذه القصيدة وغيرها تعالج موضوع العودة والتردد والمنازعات الطائفية وقد أطنب فى الحديث عنها فى قصيدة جامعة نظمها عام ١٩٠٢ .

ومن المواضيع الأخرى التى عالجها بياليق فى شعره تلك التى تعنى بالأطفال والمدرسة والمدرسين والمكتبة وصلاة منتصف الليل التى يصليها الجد ثم قصيدة « همتميد » أى المثابر يعنى دارس التلمود وقد نظمها عام ١٨٩٥ وفيها يتحدث عن طلبة الدراسات التلمودية هذه الدراسة القاسية وما تتطلبه من حياة الرهبنة حتى أن بعضهم ينصرفون عنها بخلاف بياليق الطالب المثابر الذى لا يبالى بوسوسة الشيطان ويداوم دراسته التلمودية مقاوماإغراء الحياة الدنيا حياة اللهو والمرح وقد سجل هذه المشاعر وغيرها فى قصيدته « بركة » عام ١٩٠٥ وهى تستمد عناصرها من مداومة بياليق الاهتمام بالتلمود والقصص الشعبى وقد استطاع بفضل هذه الدراسات تأليف كثير من المؤلفات الرمزية التى تعتمد على الأساطير مثل كتابه الذى وضعه عام ١٩٠٥ واسمه « مجلة آيش » أى مجلة النار وهى تستمد عناصرها من ضياع أورشليم .

ومن أشهر الوسائل التربوية التى ابتدعها بياليق للتربية الشعبية كتابه « سيفر هجاداه » أى كتاب الأساطير وقد وضعه بالاشتراك مع العالم الناقد « ى . ك . رافنيتسكى J Ch . Rawnitzki » أحد مواليد عام ١٨٥٩ بأوديسا وتوفى فى تل أبيب عام ١٩٤٤ ويقدم هذا الكتاب المرتب حسب الموضوعات صورة هامة جداً للذين ينادون بوجوب العناية بالثقافة العبرية وقد استعان المؤلفان بكثير من المراجع الأدبية الآرامية وحورها المؤلفان لتتفق والاتجاه الجديد وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٠٨ وهو يعتبر من أهم المراجع التى يعتمد عليها تربوياً كذلك يدين الكتاب العبرى لبياليق وصديقه فقد أسسا داراً للنشر فى أوديسا تعرف باسم « الناشر موريا Morija Verlag » ثم نقلت هذه الدار فيما بعد إلى تل أبيب ومن ثم شرعت الدار فى إحياء ونشر التراث العبرى المعروف باسم « كنس » أى « مجموعة » كما تنشر الدار أيضاً الكتب العبرية سواء كانت مخطوطة أم يراد نشرها أو إعادة طبعها كما نشر بياليق قسماً من الشعر القديم الذى يرجع إلى العصور الوسطى كما أهتمت الدار أيضاً بترجمة الآثار الأدباء اليهود الذين كتبوا فى اللغات الأجنبية أو ترجموا إليها من العربية مثل أسرة تيبون التى نقلت كثيراً من التراث العربى إلى العبرية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر كذلك من الأعمال الهامة التى نهض بها بياليق وأفادت الصغار والكبار- القصص والمقالات ومن بينها أربع قصص تصور روسيا فى عصر طفولته وكذلك نشاط تجارة الخشب من اليهود كما أنه لا يفوته عند الحديث عن بيئته عن ذكر العناصر التى كونت طفولته وخلقت شعره كما نقرأ هذا له أيضاً فى بعض مقطوعاته الشعرية كما تتبع فى مقالاته الحياة الثقافية العبرية إبان عشرات السنين .

ولم يقف نشاط بياليق عند هذا بل اهتم كغيره من الشعراء والكتاب اليهود بالترجمة فقد أغنى العبرية ببعض المسرحيات كمسرحية وليم تل

ومختارات من يوليوس قيصر و « دون كويوت Don Quijote » فوقع الاختيار عليه عضوا فى الأكاديمية الأسبانية .

ولم يقف أثر بياليق عند مطبوعاته من كتب ومقالات بل شخصياً فى ندواته ومجالسه الخاصة مع الأفراد الذين يعنون بالعبرية سواء فى بولندا أو المانيا أو انجلترا أو أمريكا وفلسطين بصفة خاصة منذ أن رحل اليها واستوطنها عام ١٩٢٤ وبخاصة صادفته هناك صعوبات لغوية كثيرة تصل بنطق اللغة العبرية فيهود شرق أوربا والأشكيناز ينطقون عبرية بعيدة عن العبرية السامية بل وعن خصائص اللغات السامية عامة فالحروف الحلقية تكتب ولا تنطق وكذلك حروف الأطباق وغيرها فاليهودى الأورنى لايستطيع النطق بها فضلا عن أوجه الخلاف الكثيرة بين العبريين أنفسهم فى داخل فلسطين لجميع مسائل الخلاف هذه أوجدت كثيراً من المشاكل التى اضطرت كثيرين من رجال الفكر إلى الفصل فيها وقرر اليعازر بن يهودا أن النطق العبرى الفصيح يجب أن يكون النطق السفردى (الأسبانى) والفضل فى ذلك يرجع أن هذا النطق السفردى قد تكون مقتدياً بالعربية والعرب فالعرب هم الذين علموهم ما يجب أن يكون عليه نطق اللغة العبرية والأصوات العبرية فهى أصوات سامية وليست هذا الخليط من الصقلبية والجرمانية السكسونية التى اقتبسها اليهود من الأوربيين ولا سيما بعد أن نسى اليهود العبرية وماتت لغة حية أولاوتشريدهم ثانياً وبلبلة السنتهم ثالثاً فالعرب هم الذين بعثوا فى اليهود العناية بلغتهم ونطقها النطق الصحيح الفصيح فألفوا كتباً فى قواعدها وراعوا بديعها وبيانها ونحوها وصرفها ، وقد رفض بن يهودا نطق سائر اليهود الأوربيين وقد أدى هذا القرار الذى اتخذه بن يهودا إلى أحداث تغيير كبيرة فى العبرية كما تصورها ورطن بها يهود أوربا وهذا التغيير شمل النثر ونطق الحروف والحركات المزدوجة والنبر التى يضعها الأشكينازى على المقطع الواقع قبل الأخير بينما يختص بها السفردى المقطع

الأخير . وهذا التغيير فى النبرة أثر بدوره فى الشعر وموازينه وتقطيعه وجرسه ومما هو جدير بالذكر أن ياليق لما وفد على فلسطين عام ١٩٠٩ وأراد التلاميذ تكريمه أنشدوا له بعض أشعاره فلم يفهمها لاختلاف النطق والجرس وأدرك بياليق وغيره من الشعراء الذين كانوا يتخيلون أنهم يعرفون العبرية ويكتبون فيها النثر وينظمون الشعر أنهم يجهلون حتى النطق الأبجدى لها وبدأوا يصلحون خطاهم وشرعوا يتعلمون العبرية فى أرض كنعان حيث نشأت العبرية وترعرعت وازدهرت ثم أفلت ولم يأت القرن الثانى ق . م . إلا وكانت قد وريت التراب . ولما نجح بياليق وصحبه فى تعلم العبرية والنطق الصحيح بها أعادوا النظر ثانية فيما نظموه من شعر واضطر بياليق إلى استخدام عروض يونانى لنظم شعره وعجزه عن استخدام العروض العبرى أو أى عروض سامى سواء عربياً أو بابلياً أشورياً أو غيرهما .

ومن أشهر الشعراء اليهود الذين استخدموا العروض اليونانى هو « تشير نيخوفسكى Tschernichovski » شاؤل وقد ولد عام ١٨٧٥ فى « ميخائيلوفكا » بالقرم وكان يجيد الشعر العبرى الغنائى والقصصى كما ترجم « هومير » إلى العبرية إلا أنه عجز عن استخدام النطق السفردى العربى ونظم شعره نطقاً اشكينازياً مستخدماً العروض اليونانى « الهكساميتر Hexameter فلما تناول الطلبة شعره شوهوا إنشاده فحرفوا عروضه . وتنبه الشاعر الطبيب إلى هذا الخطأ الذى تردى فيه فجنى على الشعر والعروض .

وما وقع لشعر تشير نيخوفسكى وقع أيضاً لشعر بياليق إذ اضطر مدرسو اللغة العبرية فى فلسطين إلى تقطيع شعر هذا الشاعر تقطيعاً جديداً أتباعاً للنطق الصحيح للعبرية صوتاً وحركة ونبراً . فهذا الاضطراب أحدث نكسة أدبية شعرية عند الجيل الحديث وإلقاء نظرة على المطبوعات السابقة يطلعنا على الاضطراب والهلوسة والأخطاء التى وقع فيها اولئك الشعراء الأوربيون الذين لم يكن لديهم حتى الذوق الشعرى العبرى الصحيح وهذا ما دفع الجيل الجديد إلى النظم المنثور .

وشاءت الأقدار أن تجد مؤلفات بياليق طريقها إلى اللغات الأخرى فترجمه من اليديش أو العبرية (١).

وقد نشط بعض أصدقاء بياليق سواء فى فلسطين أو الخارج فنجد فى أوديسا وتل أبيب أمثال « فيشمان Fichmann » و « سمحا بن صيون Simha ben Zion » واسمه الأصلى س. ا. جوتمان S A. Guttmann وقد ولد فى بساريبا عام ١٨٧٠ وتوفى فى تل أبيب عام ١٩٣٢ وكان قد انتقل منذ عام ١٩٠٥ إلى فلسطين وعاش فيها وساهم بقسط وافر فى نشر التعليم وبخاصة فى تأليف كتب الأطفال كما ترجم بعض الكتب الأجنبية مثل هرمان ودوروتيا Hermann und Dorothea وكان يسير فى نفس الطريق الذى سار فيه من قبل « منديله » و « بياليق » و « فارص » .

ومن أشهر مؤلفات بن صيون قصته « نفيش رصوصة » أى النفس المنكسرة .

أما الكاتب والشاعر « يعقوب فيشمان » فقد ولد فى بساريبا عام ١٨٨١ وتوفى فى تل أبيب عام ١٩٥٨ وقد نزح إليها عام ١٩١٢ وقد اشتهر شاعراً غنائياً عظيماً ودرس على « فريشمان Frischmann » وقد عاش إبان

---

1) E. Müller : Ausgewählte Gedichte, 1911, 1935 Loewit Verlag Wien

Gedichte aus dem jidischen von L. Strauss, aus dem hebräischen von L. Weinberg, 2 Bande, Berlin 1921-22

Essays, übersetzt durch V. Kellner, Berlin 1925

Chajim Nachman Bialik, eine Einführung in sein Leben und Werk : von E. Simon (Bücherei des Schocken Verlags, Nr. 37 - 38, Berlin 1935

Bialik, Leben für ein Volk von Benjamin Klar, Wien 1936

الحرب العالمية الأولى فى المانيا ونشر كثيراً من الأشعار الغنائية التى طهرت تباعاً فى أجزاء عديدة منذ عام ١٩١١ ومنها « يوميه شميش » أى أيام الشمس عام ١٩٣٤ وكذلك « أبيب بشرمرون » أى الربيع فى سماريا عام ١٩٤٣ .

كذلك عرض لبعض شخصيات العهد القديم شعراً ونشرها باسم « دميوت كدوميم » أى شخصيات الزمن الغابر عام ١٩٤٨ كما نشر كتاباً عن بيالبق مع مقدمة عن الأدب العبرى منذ القرن الثامن عشر وذكريات عن الشعراء المعاصرين .

ومن أشهر المؤلفات التى ترجمها « هيرودوس ومريمنا :

Herodes und Mariamne von F. Hebbel

و Narziss und Goldmund von H Hesse

و Mongens vonJ, P. Jacobsen

ميكا يوسف بن جوريون (برديشفيسكى)

Micha Josef (Berdyczwski)Bin Gorion

اشتهر ميكا يوسف برديشفيسكى الذى ولد فى مشيبوس Medshibosh باوكرانيا عام ١٨٦٥ وتوفى فى برلين عام ١٩٢١؛ واتخذ له منذ عام ١٨٩٦ اسما عبريا الا وهو ميكا يوسف بن جوريون بحبه للبحث والنقد وجمع التراث العبرى القديم كما نشر كثيراً من القصص التى تصور حياة المعزل (١) والأساطير (٢) وكان مغرما جداً بالأبحاث التى تتصل بالأخلاق والجمال حتى أنه كتب رسالة حول هذا الموضوع فى نفس العام الذى اتخذ له فيه أسما عبريا (٣) ولعل هذا البحث يبين لنا التطور الذى أخذ يطرأ على حياة بن جوريون فقد خرج من مدرسة التلمود ومذهب الحسيديم الذى كان يعيش فيه غيره إلى الجامعات الأوربية فنقد العهد القديم والمجتمع الاسرائيلى قديما وحديثاً (٤) .

وهكذا أخذ يبتعد تدريجياً عن أمثال «أحدهعم» ومن نحا نحوه من حيث العمل على السيطرة الصهيونية على العقلية اليهودية وتمكينها من توجيه العقل اليهودى الوجهة السياسية التى تريدها وطالب بن جوريون بالنقد الذاتى

---

1) Ghettolebens (Hebr. Gesamtausgabe, 2o Bde.; jidd. Schriften, 6 Bde

2) Sagen der Juden zur Bibel, 1913 ff.; Der Born Judas, 1917/23

Der Born Judas˙. Legenden , Märchen und Erzählungen. Gesamn elt von Micha Joseph bin Gorion Herausgegeben und mit einem Nachwort von Enannel bin Gorion Die Geschichten sind übertragen von Rahel bin Gorion (1879 - 1955)

3) Uber den Zusammenhang zwischen Ethic und Asthetik. 1S96

4) Sinai und Garizim, I926

وتقويته وإطلاق صراح التفكير من عقال الصهيونية والنقد الذاتى هو الكفيل بتطوير الشخصية اليهودية لا عن طريق الاعلام والكتب بل عن طريق قنطرة تصله بالماضى روحيا وليس عن طريق الصهيونية وفى هذا الموضوع أصدر عام ١٩١٨ كتابة المشهور « جيلان » وكذلك رواية « مريم » التى تصور فتاة يهودية يتيمه شرقية تكافح من أجل تحصيل العلم (١) وانصرف كذلك إلى القصص القصيرة (٢) يصور فيها وفى غيرها حياة الكثيرين من من البشر التائهين فى الوجود وبخاصة أولئك الذين يتخبطون بين الشرق والغرب فلا هم شرقيون ولا غربيون . ثم نجد بن جوريون ينتهى إلى رأى آخر يرى فى مذهب الحسيديم أنه أصلا ثورة دينية لغير المتعلمين وهذه الثورة تهدف إلى تحرير اليهود من سلطان الكتاب الذى لا يصل دارسة إلى نهاية وذلك بسبب تعدد أراء الشراح وهـــذه الآراء لن تنتهى وهكذا يدرك بن جوريون وهو ابن حاخام أنه يجب على الباحث أن يرجع إلى الأصل وهكذا أخذ يفرق بين اليهودية الاسرائيلية واليهودية اليهودية . ونجح فى تكوين شيعة له حوالى عام ١٩٤٠ وظلت قائمة حتى حوالى عام ١٩٦٠ وكانت تطلق على نفسها اسم « الكنعانيين » ثم أخذ بن جوريون يتعهد هذا المذهب حتى تحول إلى مدرسة لها أثرها فى توجيه اليهودية حتى اليوم .

أما لغة بن جوريون العبرية فضعيفة ركيكة بخلاف أسلوب ولغة معلمه « فريشمان » وواقعية وفن « أحد هعم » .

أما مؤلفاته فقد ظهرت فى الألمانية أيضا وذلك بفضل زوجه « راحيل رمبرج » التى كانت طبيبة ومن ثم هجرت الطب وأخذت تشارك زوجها

I) Zwci Generationan : Mirjam.

(٢) « يستمر رعم » = سر الرعد و « بيت تبنى » = شيد بيتا و جار رحوب = جار

فى تحقيق رسالته . ومؤلفات بن جوريون تكون نبعا متدفقاً للقصة الأسطورية العبرية حتى أن « توماس مان » تأثر بها فى قصة يوسف التى خرجت غنية بكثير من العناصر التى لا توجد فى العهد القديم ومستمدة من الأساطير اليهودية القديمة .

ونشر بن جوريون كذلك كثيراً من الأساطير التى تتعارض مع مؤلفى العهد القديم كما تتبين هـــذا من كتابه : (أساطير اليهود والعهد القديم Sagen der Juden zur Bibel, 1913/27,35) وقد قسم كتابه هذا إلى خمسة فصول ، فصل تحدث فيه عن العصور الأولى وثانى عن الآباء الأولين أو البطاركة وثالث البطون الإسرائيلية ورابع عن موسى وخامس حول مملكتى يهوذا وإسرائيل .

كما أن كتابه (دير بورن يوداز Der Born Judas) أى أصل يهوذا عبارة عن قصص وسير عالج فيها الحب والإخلاص والصراط المستقيم والخرافات والحكمة والغباء وقصصا صوفية .

أما قصة يوسف وأخوته فقد وصفها بن جوريون فى أسلوب الكتاب الشعبى الذى يرجع إلى العصور الوسطى والمعروف باسم (سيفر هيشر) أى كتاب الصديقين .

وبعد وفاته تولت زوجه وابنه الكاتب « عمانوئيل بن جوريون » إصدار هذه الكتب مترجمة وعليها تعليقات ومقدمات .

شاؤل تشير نيخوفسكى

Saul Tsehernichowski

ولد فى (ميخائيلوفكا) بالقرم عام (١٨٧٣) وتوفى فى تل أبيب عام ١٩٤٣ وكان شاعرا بدأ كتابة شعره فى الروسية ودرس الطب فاهتم كثيرا بالوصف الدقيق للنبات والحيوان وفى جانب نظمه الشعر كان أيضا قاصاً وقد درس فى ألمانيا وسويسرا ولما أتم دراسة الطب عين طبيباً مدنياً وعسكرياً فى الجيش الروسى فاهتم شاؤل أولا بتاريخ حياته وصور هذه الأحداث التى وقعت له حتى تلك التى عاشها فى تل أبيب منذ أن انتقل إليها عام ١٩٣٢ وبعد الحرب العالمية الأولى عاش كغيره من اليهود الذين يكتبون فى العبرية ، فى روسيا أصلا ، فى ألمانيا .

ومن الأمور التى اهتم بها شاؤل أيضا تسجيل وتخليد أعمال الشهداء من اليهود لا فى عصره فحسب بل فى العصور الوسطى وبألمانيا بصفة خاصة مثل قصة الشهيد (باروخ ميماجنزا) أى (باروخ من مينز) وقد نشر هذه القصة عام ١٩٠٥ وقد أدرك فى أواخر سنى حياته عصر القمع والاضطهاد النازى وتحقق ماتنبأ به هو وأمثاله أمثال ياليق وسلمان شنعور لذلك اتخذ شاؤل من المعتقلات النازية ، مادة لإنتاجه كما هو الحال مع سائر الشعراء العبريين فى تلك الفترة وبخاصة منهم من قاسى من ويلات الاضطهاد والتعذيب كما تصوره لنا قصة (كازتنيك Kazetnik) ومراثى شهداء (برجين بيلزن Bergen—Belsen—Lieder) الشاعر ا . ى . كيست J Jaes Kest) أما وصـــف الويلات التى لاقاها اليهود خلف الستار الحديدى فقد عرض لها أديب متنكر ونال كتابه جائزة إسرائيل التقديرية لعام ١٩٥٩ .

أما قصائد شاؤل تشير نيخوفسكي فتتغنى للطبيعة وأثرها في الإنسان كما أن الشاعر يحرص على تحبيب الهجرة إلى بني ملته إلى فلسطين واستعمارها بالرغم من أنه يعيش بعيداً عنها فأدبه أدب طموح وقد أقبل الشبان عليه لحفظوه وحرص الشاعر على تطعيم أدبه بالأدب الغربي الحديث والقديم . ويعتبر شاؤل أول شاعر عبري حديث نظم شعرا مقفى سونيت (Sonette) ومثل قصيدة (عل هشمش) أي فوق الشمس وكذلك (كريم) و (على هدم) أي على الدم . وفي جميع هذه القصائد لم يلتزم الشاعر مثلا يهودية بل أخرى أجنبية وهو يهدف من ورائها إلى أن تحرر الإنسان لن يأتي فقط عن طريق المثل العليا بل عن طريق الفن والجمال وتقديسه .

أما قصيدته (حزيونوت نبيء هسكر) أي رؤى الأنبياء الكذابين والتي نظمها إبان وقت دراسته في جامعة هيدلبرج وفيها يذكر أن الكاهن الوحيد من بين كهنة بعل والذي نجا من مذبحة الكهنة على جبل الكرمل تنبأ بتشريد الإسرائيليين بين الشعوب لأنهم آمنوا بالدعاة الكاذبين وتستمر حال الإسرائيليين كذلك حتى يؤمن العائدون الإيمان الصحيح بعقيدتهم ، هكذا أمر (بعل) إله الخصوبة والأرض .

فالشاعر حريص جداً على التمسك بالعقيدة لأنها تراث الشعب وجوهره والتمسك بالعقيدة يستتبع ولا شك الثورة ضد الظلم والاضطهاد مهما كان نوعه . وهذه الظاهرة هي الغالبة على إنتاج الشاعر لذلك ترجم الملحمة الفنلندية (كاليفالا Kalevala) والبابلية الآشورية (جلجمش) كذلك الملاحم الهوميرية كما نقل عن اليونانية أيضاً مسرحيات أمثال (ثيوكريت Theokrit) و (سوفوكليس Sophokles) وترجم لموليير (مرضى الأوهام Molières, Malade Imaginaire) ونقل عن (جوته — رينيكه فوكس Goethe Reineke Fuchs,) كما وضع كثيرا من الكتب والقصص للأطفال . ومن أشهر مسرحياته (بار كوكبة) وهو الزعيم الثوري الذي ثار ضد الاستبداد والاستعباد الروماني .

أما إنتاج الشاعر (تشير نيخوفسكى) والذى نشر فى برلين عام ١٩٣٢ فيقع فى عشرة أجزاء كما ظهرت بعد ذلك أجزاء أخرى وكان كثير الإنتاج بالرغم من عمله فى تل أبيب كطبيب فى مدارسها وظل ينظم ويكتب ويترجم حتى صرعه السرطان .

ويكاد يجمع نقاد الأدب العبرى الحديث على أن (تشير نيخوفسكى) يختلف عن بياليق مثلا فى كثير من الاتجاهات الأدبية فهذا الشاعر هو الشاعر القومى إلا أنه بالرغم من ذلك يمثل العواطف والطبائع الإنسانية عامة فهو الأديب الإنسان وإن اتفق معه بياليق فى هـــذه الصفة أحياناً وذلك لأن كليهما يشعران أن السبى والنفى والمهجر والدهما وأن أحداً منهما لم ير فلسطين الشطر الأعظم من حياته لذلك لم يعرض أحدهما لها لأنه من الجرأة أن يعرض أديب لموضوع يجهل مادته وطبيعته ولا يشعر فى داخليته بشىء من العاطفة القوية نحوه . وكما قدرت تل أبيب بياليق فخلدته بجوائزها التقديرية تمنحها للنابهين من الأدباء العبريين كذلك الحـال مع (تشير نيخوفسكى) أيضاً .

هكذا نشأ الأدب العبرى الحديث فى شرق أوربا أعنى الاتحاد السوفيتى والبلاد الأخرى التى تربطه بهـا صلات مختلفة ولعل أشهر مراكز إشعاع الأدب العبرى الحديث فى هذا الجزء من المعمورة (أوديسا) و (وارسو) و (فيلنا) هذا مع ملاحظة العلاقات التى تكون التيارات الأدبية المتنوعة والتى تنشأ عادة استجابة للمراكز الثقافية المتعارضة فهناك مثلا فريق يؤيد البيديش ويأبى إلا أن يجعلها لغة التفكير والتأليف ويعارضه فريق آخر يرى وجوب ترجمة الإنتاج البيديش إلى العبرية . كذلك نجد خلافاً يقوم بين هذه الطوائف المختلفة حسب مواطن الهجرة وهذه مسألة هامة جداً فعـدد اليهود الروس فى منتصف القرن التاسع عشر جاوز الملايين وأغلبية اليهود فى أمريكا أما فلسطين فمأوى المتزمتين ويعرفون باسم المهاجرين الأولين (١٨٨٢-١٩٠٥)

فعند التأليف أو النشر يجب أن تؤخذ هذه المسائل بعين الاعتبار وخاصة عملا بمبدأ الاحتفاظ بالجنس اليهودى نقياً فأخذت تظهر فى فلسطين مراكز متعصبة للعبرية وأخذت تحل تدريجياً محـــل نظيراتها فى شرق أوربا وعن فلسطين أخذت أمريكا الشمالية التعصب للعبرية على حساب اليديش ثم تأتى الهجرة الثانية أو كما تعرف باسم (عليا) الثانية (١٩٠٥ — ١٩١٨) وكان من أفرادها الشعراء والكتاب والطلبـــة إلا أن المستوى الثقافى ظل فى هذه الولاية العثمانية متخلفاً كما أن لغة المهاجرين السائدة هى الفرنسية وذلك لأن معظم النازحين كانوا من الجماعة المعروفة باسم أصدقاء الإنسانية (فيلنتروب) وكانوا يزاولون فى فلسطين الزراعة والتدريس فى المدارس التى أنشأوها وكان أبناء المستعمرات الأولى فى (ريشون لصهيون) و (فتح تقوه) أى طريق الأمل و (زكرون يعقوب)وغيرها من المستعمرات يقصدون فرنسا للدراسة وبالرغم من ذلك كان توجد بين الخمسين ألف يهودى الذين يقيمون فى فلسطين عام ١٩٠٠ بعض اليهود الذين يحرصون على العبرية ويرعون التقاليد الثقافية العبرية ومع مرور الزمن اتسعت حركة إنشاء المدارس فظهر اطفال لم يهتموا إلا بالعبرية أو أن العبرية كانت لغتهم الأولى وهكذا تحقق حلم (بن يهودا) .

وهكذا نجد هؤلاء النازحين يكافحون فى سبيل تمكين اليهودية فى فلسطين كما جاهد الرواد (حلوصيم) فى مكافحة الفقر والعوز ومكنوا الكثيرين من امتلاك الأرض فى فلسطين لأن الملكية هى القومية والوطنية .

وسايرت العبرية آدابها الحديثـــة وفى مختلف فنونها معبرة عن الحياة اليومية أصدق تعبير وقد استتبع هذا التطور التغيير الكبير فى المراكز الرئيسية للحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى فى روسيا وبولندة وأمريكا حيث ازداد الاهتمام بالعبرية الحديثة مسايرة للوضع الجديد فى فلسطين

حيث تخرج فيها عدد كبير من الأدباء غير أولئك الذين وفدوا عليها من الخارج فظهرت مراكز ثقافية أخرى أخلصت لرسالتها واهتمت بفنون أدبية عبرية مختلفة يتصل معظمها بالقصة العبرية وأشهر هـــذه المدارس القصصية هدفت إلى :

١ — تنوير يهود شرق أوربا عقلياً وقومياً وعقائدياً فظهرت الحركة المعروفة فى الأدب العبرى الحديث باسم (الحسيدية الجديدة) .

ومن أشهر أدبائها (فارص) و (أجنون) و (شالوم آش) .

٢ — تثقيف اليهود السذج الأميين وخير من تولى تهذيبهم (بياليق) و (شنعور) .

٣ — تعليم الطبقة ذات الثقافة المحدودة وقد تولاها أمثال (بيرشادسكى) و (برينر) و (جنيسين) و (بن جوريون) .

٤ — الطبقة المتوسطة من يهود شرق أوربا حيث يعيش أفرادها فى عزلة عن المجتمع ويهددهم الزوال وتولى تهذيبهم أمثال (برش) و (حسس) و (كبسك) .

٥ — القصص الحربى ومن رواده القصصى (همثيرى)

٦ — القصص التاريخى ومن زعمائه (تفيرسكى) و (بار يوسف)

٧ — المجتمع اليهودى الأمريكى ومن الذين عنو بدراسته (برقوفيتس) و (هلكين) .

اليهود وروسيا بعد ثورة ١٩١٧

لا شك فى أن اليهود لاقوا كثيراً من الاضطهاد فى روسيا القيصرية وهذا الاضطهاد (بوجروم) ترك جرحا عميقاً فى قلب اليهود عامة والروس خاصة وفكر اليهود فى الانتقام لأنفسهم بقلب نظام الحكم والتخلص من القومية والإطاحة بالدين ودعوة (كارل مركس) اليهودى الجنس تحقق هذه الأهداف مجتمعة فتحزب للماركسية اليهود الروس واستولوا على مقاليد الحكم فى الاتحاد السوفيتى فحرروا أنفسهم وحققوا أمانيهم ولما كانت لغة الكثرة المطلقة من اليهود الروس هى اليديش فقد استقر الرأى بينهم على أن تقنع العبرية بالمعبد واليديش للحياة والصحافة والأدب واعتبرت العبرية عقب ١٩١٩ اللغة الرجعية المعارضة للثورة .

وفى الفترة الممتدة من عام ١٩١٧ حتى خريف ١٩١٩ أى من الثورتين الديموقراطية والبولشفية ازدهرت الآداب العبرية فى الاتحاد السوفيتى بالرغم من قيود الحرب التى فرضت على البلاد فقد نشرت كتب مدرسية فى جميع المدارس العبرية التى قامت فى تلك الفترة كما نجد عدداً من الأسر التى أخذت على عاتقها رعاية مصالح اليهود واليهودية مثـــل أسرة (ستيبل Stybel) و سلاتوبولسكى — بيرزيتس Slatopolski - Persitz) كما صدرت فى موسكو صحيفة عبرية يومية كانت توزع حوالى عشرين ألف نسخة .

وفى أواخر عام ١٩٦١ صدرت فى القدس أول مفهرسة عبرية تقع فى ٥٠٢ صفحة أصدرتها (الجمعية التاريخية الإسرائلية Historical Society of Israel) . وهذه المفهرسة تعنى بجميع المطبوعات اليهودية فى الاتحاد السوفيتى فيما بين ١٩١٧ — ١٩٦٠ فى العبرية واليديش والروسية . كما تلقى

ضوءاً قوياً على الحياة الفكرية اليهودية ونشاطها فى الاتحاد السوفيتى إذ صدر خمسة وثمانون كتاباً فى التربية وواحدة وثلاثون مجلة وثمانية وعشرون كتاباً فى مختلف الفنون وخمسة عشر كتاباً دينياً وتسعة وعشرون كتاباً ورسالة فى الأدب والنقد .

والظاهرة الجديرة بالتسجيل هنا أن الطباعة العبرية تعرضت لكثير من المشاكل فقد صدر قانون بتحريمها فابتدع اليهود نمطاً جديداً للحروف العبرية لا يزال مستعملا حتى اليوم وبخاصة فى العمل الفنى لـ (مارك شاجال Marc Chagall) وأول ما استعمل هذا النمط الجديد من الحروف فى المؤلفات العبرية واليديش فى الاتحاد السوفيتى ثم أخذ هذا النمط يتنقل إلى الخارج فتصور إلى صور وصور لأحداث العهد القديم وقد بلغ أوج عظمته فى الزجاج الملون المستخدم فى النوافذ بمعبد فى القدس شيد عام ١٩٦٢ .

أما المسرح العبرى (هبيما) فقد احتضنته الدولة السوفيتية وقام بنشاطه فى موسكو ومن ثم أخذ الممثلون يتجولون عام ١٩٢٥ وقد علم كثيرون من اليهود أبناءهم العبرية وصدر أمر من القوميسارية السوفيتية العليا بطبع كتاب عبرى خاص بالجغرافية عام ١٩٢٠ لتعليم يهود بخارى فى تركستان الذين كانوا يستخدمون العبرية لغة للثقافة ولا يفهمون اليديش أو الروسية لكن بالرغم من هـــذا التطور الخطير الذى طرأ على حياة اليهود فإن الشاعرة (يحبت بت مريم) تركت الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٩ وكذلك فعل عام ١٩٣٤ الكاتب اليهودى الشهير (ابراهام قريب) .

وإبان الحرب العالمية الثانية اعترفت البلاد التى بها جاليات يهودية كبرى بمساواة اليهود بسائر المواطنين الأصليين وأخذ المؤلفون الذين يكتبون اليديش يعالجون المسائل القومية متسترين وراء الماضى إلا أن هـذا الاتجاه قد تغير عام ١٩٤٨ لما قامت دولة إسرائيل بمساندة دول الستار الحديدى والاعتراف بها

وقد تنبأ بهذا التطور عام ١٩٢٠ أقدم مؤلف عبرى روسى واسمه « يهودا لب لفين = يهلل » (١٨٤٤ — ١٩٢٥) وكان معاصراً للأديب العبرى « يواد ليب جوردون » (١٨٣٠ — ١٨٩٢) وإحداث التطور فى الوعى القومى اليهودى والإدراك الاشتراكى و « حبت صهيون » فلا عجب إذا اعتنق هو المذهب الاشتراكى . وقد نظم بعض القصائد الغرامية كما عرض لبعض شخصيات العهد القديم الذين ساهموا فى توحيد صفوف الشعب وجمع شتاته كما تتبين هـــذا من رسالته « دانيال بجب هاريوت » أى (دانيال بجب الأسد) ١٨٩٨ .

ولما انتهت ثورة أكتوبر احتفل بها اعتقاداً منه أن هذه الثورة حررت سائر اليهود الروس وتساووا مع سائر شعوب الاتحاد السوفيتى فى الحقوق والواجبات ثم وقع اضطهاد اليهود فى أوكرانيا وعاش الشاعر أحداثها سواء عام ١٨٨١ أو ١٩٠٣ واتهم (يهلل) الله بالظلم إذ كيف يستبيح الناس دماء الأبرياء منهم وكيف يفسدون فى الأرض هذا الإفساد الشنيع لذلك وهنت العزائم وفقد القـــوم الثقة فى العدالة الإلهية ولو تخيل بعض الشبان أن الأمور ستتغير .

ولعل أشهر ديوان شعر عبرى نشر فى الاتحاد السوفيتى هو ذلك الذى صدر عام ١٩٢٣ مخلداً انتصارات العمال والثورة التى حررت الجماهير كما صدر ديوان شعر آخر فى ذكرى الثورة وتحريرها للطبقات الكادحة واسمه (برشيت) أى فى البدأ وقد صدر فى برلين عام ١٩٢٦ . ومن بين السبعة عشر الذين تعاونوا معاً لم يصل منهم إلى فلسطين إلا القليلون أما الآخرون فقد نفوا أو اختفوا .

وأشهر هؤلاء المؤلفين « ز . بريجرسون Z. Prejgerson » وهو من مواليد عام ١٨٩٩ وقد اهتم كثيراً بالثقافة اليهودية القديمة موضحاً عظمتها وقدم

عرض لها فى كتابه (رحلات بنيامين الرابع Reisen Binjamins des Vierten وقد عالج الكاتب (م.حيوج M Chajug نفس الموضوع فى قصصه.أما الكاتب الشاعر (اليشع رودين ElischaRudin (١٨٨٨ — ١٩٤٧) فالوحيد الذى أصر على التأليف بالعبرية لذلك نفى إلى سيبريا . ثم الشاعر (يوسيفون Jossifon فقد ولد عام ١٩٠٧ وهو يعيش منــــذ سنوات طويلة فى تل أبيب ومن مؤلفاته كتابه (الفرس فى الاتحاد السوفيتى Die Mähre in der USSR) وهو عبارة عن قصة هى امتداد لقصة (الفرس) للمؤلف (مندله) .

أما الشعراء الغنائيون فأشهرهم فى العبرية هو (حاييم لنسكى Chajim Lenski وقد ولد فى لتوانيا عام ١٩٠٥ ونفى عام ١٩٣٥ إلى سيبريا وتوفى فيما يرجح حوالى عام ١٩٤٢ :

وغير هؤلاء نجد أيضاً (ابراهام فريمان Avraham Freiman (١٨٨٦ — ١٩٥٣) وقد وصف فى روايته (١٩١٩) نقراً وسائل الدفاع التى استخدمها يهود أوكرانيا إبان الثورة وقد صدرت فى جزئين عام ١٩٣٠ فى برلين وأعيد نشرها فى تل أبيب عام ١٩٣٩ .

وفى تل أبيب نجد الصحفى (دان بينيس Dan Pines) (١٩٠٠ — ١٩٦١) وكان قد هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٠ أما أشعار (لنسكى) فقـد صدرت فى القدس عام ١٩٦٠ وعنوانها (معبر لنهر ليته) كما صدرت مختارات من شعره وشعر (رودين عام١٩٥٤) .

وتعيش إلى اليوم فى بلادالكتلة الشرقية جماعات من اليهود تنتمى إلى هذا الجيل يكتبون العبرية ويخلصون للاتحاد السوفيتى كما يؤمنون بوحدة الشعب اليهودى وقوميته والصهيونية وقد لاقى بعض أولئك اليهود الجزاء وقد كان النفى إلى سيبريا .

وهناك نفر من الكتاب اليهود الشبان الذين انحدروا من يهود الاتحاد السوفيتى أمثال (كوفنير Kovner) و (تومور Tomor) و (بجيس Pagis) . أما (أبا كوفنير) فقد ولد عام ١٩١٨ فى سبستيون وعاش مدة فى (فلنا Wilna) وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٤٦ حيث عاش فى (قبوص) وقد وضع بعض الروايات ونظم شعراً فى حرب ١٩٤٨ كما ساهم فى إصدار (كتاب الرفاق اليهود Buch der jüdischen Partisanen) عام ١٩٥٩ .

أما (بن صهيون تومير Ben Zion Tomer فقد ولد فى بولندة عام ١٩٢٨ وقد نظم الشعر وترجم عن الروسية وقضى زمن طفولته فى سيبريا وجاء إلى فلسطين مع مجموعة من الأطفال اليهود وهو ابن خمسة عشر عاماً .

ثم نجد (دان بجيس) وقد ولد فى رومانيا عام ١٩٣٠ وعقب الحرب العالمية الثانية هاجر إلى فلسطين .

أما عقلية أبناء ذلك الجيل فمتأثرة جداً بأهوال التعذيب والتشريد التى قاسوا منها الكثير لذلك يختلفون فى مشاعرهم عن أولئك الذين نشأوا فى الشرق العربى أحراراً فتفكيرهم خليط من تفكير يهود النفى والتشريد ويهود الشرق العربى الأحرار شأنهم شأن الشعب الذى يعيش تحت نير حكم الفرد المستبد ، كما هو ملاحظ فى شعر (ت كرمى) الذى ولد فى نيويورك عام ١٩٢٥ وأصدر ديواناً عام ١٩٥٨ عنوانه (أين ييرحيم شيحوريم) أى (لا توجد زهور سوداء) وفيه يصور طفولته وما قاساه فى التشريد وتعذيب النازية .

بولنــــدة

وكانت النتيجة المحتومة لموقف حكومة روسيا من اليهود الروس ونشاطهم أن انتقل هذا النشاط إلى « وارسو » مركز إصدار بعض الصحف العبرية إلى جانب دار النشر التى أسسها وتعهدها (دافيد فريشمان David Frischmann الذى شجع النشر والتأليف والترجمة لتزويد بعض يهود فلسطين الذين يهتمون بالعبرية وإحيائها بالمؤلفات والدوريات الا أن ماوقع للعبرية فى روسيا وقع فى بولندة أيضاً وبعد فترة وجيزة من انتعاشها لذلك اضطر عدد من المؤلفين إلى الهجرة إلى الخارج كما كان مصـــير الذين بقوا فى المعزل فى (وارسو) وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت فى بولنده نهضة شعرية عبرية جديدة حيث نجد أمثال «اورى ظبى جرينبرج Uri Zwi Grynberg و ه. زيتلين H Zeitlin و م. شوحم M. Schoham و ى.ز.ريمون J. Z Rimon.

أما أورى ظبى جرينبرج أحد مواليد عام ١٨٩٤ فقد نشر حتى العشرين من عمره بعض القصص كما نظم بعض الأشعار فى اليديش والعبرية وبعد هجرته إلى فلسطين ظهرت فى أشعاره النعرة السياسية والمشاكل العالمية وتنكر هو لمؤلفاته السابقة ومن بينها كتابه « انكريون على قطب عصبون » أى « انكريون على قطب الحزن » عام ١٩٢٨ . وفى شعره السياسى نجده ثائراً منددا بالشعوب التى اضطهدت اليهود وبخاصة الفلاحين الروس الذين أمعنوا فى اضطهاد اليهود المتدينين وقد جمع هذه الأشعار فى ديوانه «رحوبوت هنهر» أى طرق النهر وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٥١ .

أما « يوسف ظبى ريمون Jossef Zwi Rimon (١٨٨٩ — ١٩٥٨) فقد ظل متمسكا بالشعر الدينى مؤمناً بالوحدة بين الله والشريعة وإسرائيل وقد هاجر إلى فلسطين شاباً وانضم إلى جماعة المتصوفين اليهود .

واهتم بالشعر الدينى أيضاً (إبراهام يسحق هكوهين كوك Abraham

Jizchak Hakohen Kuk) الذى ولد فى سوريا عام ١٨٦٥ وتوفى فى القدس عام ١٩٣٥ وكان قد هاجر إليها عام ١٩٠٤ وأصبح عام ١٩٢١ الحاخام الأكبر ليهود فلسطين ونشر كثيراً من المؤلفات الدينية كما نظم بعض الأشعار الدينية التى اثرت فى عدد كبير من اليهود المتدينين الشعراء ومن بينهم « يعقوب ريمون » ابن « ريمون » .

ويمتاز « كوك » بالدور الهام الذى قام به فى التصوف اليهودى فقد خرجه تخريجاً جديداً إذ رجع به إلى العودة إلى صهيون روحياً وهو يرى أن روح الصهيونية شبيهة بروح الفرد فى القبالا القديمة والتى ترمى إلى تحرير النفس. وهكذا نجد كوك يقفز من تحرير النفس إلى تحرير الشعب اليهودى كما أن الأمة ماهى إلا صورة للإنسانية عامة بما فيها إسرائيل وإن لم تشعر بها فإسرائيل تعلو وتهبط لأنها الفضاء الذى تتمثل فيه الأبعاد الإلهية .

وهذا الاتجاه سلكه أيضاً (هيليل زيتلين Hillel Zeitlin) والذى ولد فى روسيا عام ١٨٧٢ فقد اهتم بالصوفية منذ شبابه إلا أن الاضطهاد الذى انقض على اليهود عام ١٩٠٣ فى كيشينيف Kischinev دفعه إلى التصوف دفعاً قوياً يتجلى لنا فى أشعاره وقد لقى حتفه مع سكان معزل وارسو .

أما ابنه (اهارون زيتلين Aharon Zeitlin والذى ولد عام ١٨٨٩ فيعيش منذ عام ١٨٨٩ فيعيش منذ عام ١٩٣٩ فى الولايات المتحدة مؤلفاً للشعر والمسرحيات التى تستمد عناصرها من العهد القديم وتعاليم الحسيديم وهو يكتب فى العبرية والييديش كما ألف بعض الأبحاث فى النقد وغيره وهو يعتبر من أشهر كتاب العبرية فى أمريكا .

ومن الشعراء البارزين أيضاً (متياهو شولام) وقد ولد فى (بوليكيفيش Poliakewicz عام ١٨٩٣ وتوفى فى وارسو عام ١٩٣٧ ويمتاز إنتاجه

بتأثره الشديد بالعهد القديم ويدعو إلى تفضيل العقل على القـــوة وهو يعنى بالعقل هنا إسرائيل والقوة سائر الشعوب، وقد خطط تخطيطاً ثلاثياً لتجسيد اليهودية وهو يعنى بالتخطيط الثلاثى الآباء الأولين والأنبياء والمسيح وآخر مسرحية له (المسيح ومريم Jesus und Maria وقد ضاعت مع الطائفة اليهودية فى وارسو . وعقب استيلاء (هتـــلر) على الحكم وضع مسرحية عنوانها (الوهى برزل لو تعسى) أى (لا تصنع لك آلهة من الحديد) عام ١٩٣٥ .

أما مسرحية (شوحم) فقـد وضعها المؤلف فى الثلاثينات من القرن العشرين فى العبرية وهى تنذر بقيام حرب عالميـة تحاول القضاء على اليهود نهائياً . وجميع هذه النبوءات قد عرضها المؤلفون محتذين أسلوب العهدالقديم وبخاصة قصائد (تشير نيخنفسكى Tschernichovski) الخاصة باضطهاد اليهود فى العصور الوسطى مثل قصيدة (هروجه تيرمونيا) أى شهداء دورتمند عام ١٩٣٧ . وكذلك قصة طليطله لمؤلفها (بارش Barasch) .

أما مسرحية الأنبياء فى التخطيط الثلاثى فقد صدرت عام ١٩٣٣ وتعرف باسم (صورو أورشليم) وهى تصور كسائر مؤلفاته النزاع الموجود بين الثقافات المختلفة . أما شخصيتا اليصابات والياس فيعبران عن الحياة المستقبلة لما تتحقق المطامع اليهودية من ناحية وفرحة النصر على غير اليهود من ناحية أخرى .

ومن مؤلفات (شوحم) أيضا كتاباه (يريحو Jericho اريحا و (بلعـام) ففى اريحا يصور الكفاح بين الثقافتين الكنعانية الراقية جداً والثقافة الإسرائيلية البدائية الخشنة للقبائل الإسرائيلية الصحراوية ابان حياة (يشوع) . أما فى كتاب بلعام فيعرض للمفارقات بين اثنـين من الأنبياء أعنى بين موسى والشخصية التى اخترعها المؤلف الشاعر وهى شخصية صديق قديم لموسى ألا وهو بلعام يتنبأ باللغة .

فى هذه المسرحيات تتبين قدرة الشاعر الشعرية وكيف يغوص على المعانى ويكسوها الثوب اللائق بها وهذه الملكة التى يتميز بها الشاعر نلمسها أيضاً فى مقالاته وبموته فى عنفوان قوته افتقدت العبرية دعامة من أقوى دعائمها .

ومن بين نجوم المجتمع الثقافى العبرى فى وارسو « يسحق كتسينلزون Jizchak Kazenelson وقد ولد فى روسيا حوالى عام ١٨٨٥ ولقى حتفه فى معتقل (أوشفيتس Auschwitz حوالى عام ١٩٤٤ وكان معلماً شاعراً ومؤلفاً مسرحياً . وقد نشر كثيراً من الأشعار المحببة إلى الشباب والشيب كما أسس فى وارسو مسرحاً عبرياً ومن أشهر مسرحياته يوسف وأخوته .

وبعد احتلال بولنده وجه اهتمامه إلى اليديش حتى يستطيع الاتصال بأكبر عدد ممكن من اليهود وكان من بين الذين دافعوا عن المعزل فى وارسو ووضع ابان الحرب العالمية الثانية مسرحيات مثل مسرحية أيوب ولما نقل إلى جنوب فرنسا للعمل فى معسكر هناك خبأ مخطوطات مؤلفاته هناك وقد اكتشف بعد وفاته وترجم بعضها إلى العبرية ونشر منها (حنيبعل Hanibal) و أركان الحرب Generalstab و أنشودة الشعب اليهودى المهزوم Das Lied vom erschlagenen judischen Volk و يوميات Tagebuch وجميعها وثائق هامة تصور ذلك العهد القاسى الذى مر به اليهود .

كذلك من الشعراء النابهين فى العبرية فى بولنده الشاعر الكاتب يعقوب كهن وقد ولد فى روسيا عام ١٨٨١ ومات فى فلسطين عام ١٩٦٠ وقد اهتم بالعبرية فى بولنده منذ عام ١٩١٠ حتى هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٤ وقد أتم دراسته فى جامعة (برن) ويمتاز شعره بالقومية كما تضم مؤلفاته عشر مجلدات وقد نشرت فى تل أبيب ١٩٤٨ / ١٩٥١ . ومن أشهر مسرحياته

(دافيد ملك يسرائيل) وقد وضعها عام ١٩٢١ وله مسرحيات أخرى نثرية تعرض الإنسان المعاصر مثل (تروفه شل بن آذر) أى (علاج بن آذر) ١٩٣٩.

وقد ألف (كهن) ثمان وعشرين مسرحية بعضها مستمد من العهد القديم مثـــل (هوشيع عام ١٩٥٦ وبعضها يطلق عليها (السيمفونيات التمثيلية Dramatische Symphonien مثل (لكرت همشيح) أى (إلى المسيح) و (هزعيقه هشليشيت) الصيحة الثالثة و (هقودشيم) أى الشهداء .

ومن أشهر مسرحياته التاريخيه (جراتسيا مينديس فى البندقية) وهى تدور حول السيدة التى تظاهرت باعتناق المسيحية وهذه السيدة حرم صاحب مصرف واسمها (دوناجراتسيا ناسيمنديس Dona Grazia Nassimendes (حوالى ١٥١٠ — ١٥٦٩) وقد سجنت عام ١٥٤٩ فى البندقية لأنها كانت تعتنق اليهودية سراً واستطاع حفيدها اخراجها من السجن بعد عامين واسم الحفيد (نكسوس) دون يوسف ناسى Don Jossef Nassai (Nayos) وقد ترجم لجوته (افيجينا من توروس Jphigenie auf Taurus و(توركواتو تسو Torquato Tasso . فاوست الأول Faust 1

أمريكا

وإذا انتقلنا من العالم القديم إلى الجديد أعنى أمريكا وجدنا الجالية اليهودية الروسية التى نزحت تحت ضغط الاضطهاد الروسى فى العصور المختلفة تقوم بدور هام جداً فى بعث الحياة الأدبية العبرية سواء عن طريق الكتب أو الدوريات والمدارس ثم أخذ يظهر فن جديد من الآداب الرفيعة فى العبرية إذ أخذ الأدباء اليهود يطرقون مواضيع جديدة غريبة عن الحياة اليهودية المألوفة فأصبحنا نجد كثيراً من الآراء والأفكار الأوربية التى تهتم بالفرد وحقوق الإنسان فى المجتمع فأخذ اليهودى يتنبه إلى كيانه والعمل على المحافظة على هذا الكيان الذى يعيش فيه حتى لا يندمج فى المجتمع الأجنبى ويضيع فيه لكن ليس معنى هذا أن الأدب اليهودى وقف على هامش الحياة الأمريكية هذه الحياة التى تغذيها بيئات مختلفة جغرافياً وجنسياً وثقافيا ففى أمريكا الشمالية نجد إلى جانب ثقافة الهنود الحمر أخرى أفريقية وثالثة أوربية آسيوية فكل هذا المزيج أثر ولا شك فى الأدباء اليهود وأنتجوا أدبا لا أستطيع أن أسميه أدباً يهوديا لأنه مزيج من كل آداب العالم الذى تموج به الولايات المتحدة فأمريكا تكاد تكون معرضا لكل الأجناس البشرية ولو أن اليهود الأمريكيين يأتون فى المرتبة الثانية بعد أدباء فلسطين وذلك بفضل المعاهد اليهودية الأمريكية الكبرى فى نيويورك وسينسيناتى Cincinnati وغيرهما من المعاهد التى أخذت تواصل القيام برسالة المعاهد اليهودية الأوربية التى قضت عليها الحروب .

ولعل خير مثال يساق لهذا المزيج من العناصر والذى يكون الأدب اليهودى الملحمة المعروفة باسم مول وهيل تمورا « أى مقابل خيام تمورا » ففيها نرى الأثر الأمريكى الهندى الأحمر الذى تأثر به مؤلفها «بنيامين ناحوم

سلكنر Binjamin Nachum Silkener » . وهو من مواليد لتوانيا عام ١٨٨٢ وقد مات فى نيويورك عام ١٩٣٢ وقد كان فى شبابه من جماعة « احد هعم » و « بياليق » فى أوديسا ومن ثم هاجر إلى أمريكا فعاون على الأخذ بيد الآداب العبرية اليهودية وقد نشر شعره عام ١٩٢٧ فى تل أبيب .

أما « افرايم ليستزكى Efraim Lisitzky فقد ولد عام١٨٨٦ وتوفى فى نيو أورليانز عام١٩٦٢ وهو يعرض لحياة الهنود الحمر فى ملحمته المعروفة (مدوروت دشوت = خمدت النار) كذلك اقتبس هذا الأديب الكثير من أدب زنوج الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة فى كتابه (باهوله كوش) أى فى خيام الكوشيين .

أما (هليل بافلى Hillel Bavli وهو من مواليد ١٨٩٣ فقد نشر ديوانه المعروف باسم (ادرت هشنيم) أعنى (معطف السنين) أو المعطف القرمزى) عام ١٩٥٥ كما ترجم كثيراً عن الانجليزية واهتم بنشر بعض المقالات .

ومن الأدباء اليهود أيضا الذين عنوا بدراسة الأدب الزنجى واستفادة منهم (اسحق زلبرشلاج Jizchak Silberschlag كما ترجم بعض التمثيليات اليونانية القديمة .

أما حامل لواء الشعر اليهودى الحديث فهو (جبرئيل بريل Gabriel Preil الذى ولد فى ايسلنده عام ١٩١١ وهو يعيش فى أمريكا منذ عام ١٩٢٢ وهو يهتم فى شعره بوصف الطبيعة والبشر فى شعر لا يلتزم فيه أسلوب الشعر العبرى القديم فلا يلتزم وزنا ولا قافية ولا قاعدة .

ونجد أيضاً فى أمريكا الأديب (روبين جروسمان Reuven (Avinoam) Grossman وقد ولد فى شيكاجو عام ١٩٠٣ وقد عمل مدرساً فى تل أبيب منذ عام ١٩٢٩ وقد ترجم بعض أشعار ميلتون عن

الإنجليزية عام ١٩٥٠ كما ألف بعض القصائد الغنائية وقد ظهر له ديوان عام ١٩٥٠ ومنذ أن افتقد ابنه (نوعم) فى حرب ١٩٤٨ عند القدس غير اسمه وتسمى باسم (روئبين أبى نوعم) كما كرس حياته لنشر التراث الأدبى الذى تركه الجنود الذين قتلوا .

أما ابراهام ريجيلسون Abraham Regelson) فقد ولد فى روسيا البيضاء عام ١٨٩٥ وهاجر إلى أمريكا عام ١٩٠٩ وتوفى بها عام ١٩٤٩ وقد قضى فترة من حياته فى فلسطين ومن إنتاجه كثير من القصص التى ألفها خصيصاً للأطفال كما ترجم ونشر كثيراً من المقالات ونظم شعراً فلسفيا حول قابيل وهابيل عام ١٩٣٢ .

ونجد كذلك (اسرائيل افرات) أو (أفروس) وقد ولد فى أوكرانيا عام ١٨٩١ وعمل منذ عام ١٩١٧ فى الجامعات الأمريكية وأصبح منذ عام ١٩٥٥ مديراً لجامعة تل أبيب ويعنى هذا الشاعر فى شعره بالقصة وبعض المواضيع الأمريكية كما هو واضح فى مؤلفه (فيجفاميم شتقيم) أى خيام الهنود الحمر — فيجفام — الصامتة . وقد نشره عام ١٩٣٣ وكذلك (ذهب) أى الذهب وتعنى هذه القصة بوصف حمى الذهب فى كاليفورنيا عام ١٩٤٢ كما تحدث فى شعره عن بعض المسائل السياسية الإسرائيلية .

ومن بين مشاهير هذه الجماعة الأدبية فى فلسطين « شمعون هلكين Schimon Halkin » وقد ولد فى روسيا عام ١٨٩٩ وهو مثل الشعراء الأمريكيين يحتذى الأسلوب الشعرى الإنجليزى القديم كما أنه متأثر فيما نظم أو كتب فى التصوف بالأثر الروسى الذى يعنى بالتعمق والفناء فى الذات الإلهية وقد نشر ديواناً شعرياً تحت اسم « عل هائى » أى على الجزيرة عام ١٩٤٦ كما عالج فى روايته (يحيئل هاهجرى) أى يحيئل الهاجرى عام١٩٢٩.

موضوع التطوف فى المدينة الكبرى ثم عاود الاهتمام بهذا الموضوع فى قصته (عد مشبر) أى عند الأزمة عام ١٩٤٥ .

وقد ترجم (هلكين) للسرح تمثيلية (Maeterlincks Blauen Vogel) الطائر الأزرق للمؤلف مترلينك (١٩٢٨ و ١٩٥٣) وترجم لشكسبير (تاجر البندقية) ١٩٢٩ والملك يوحنا عام ١٩٤٧ ، وعن السويدية ترجم (جوستا برلينج للأديبـــة السويدية سلمى لاجيرلوف (Selma Lagerlof:Gösta Berling

وأشهـــر ما ترجمه للأديب ولت هويتمان (جراسهلمه Walt Whitman.Grashalme) أى (عشب الصحراء) عام ١٩٥٢ .

ومنذ عام ١٩٤٩ خلف (هلكين) الأستاذ .ى. كاوزنير J klausner أستاذاً للأدب العبرى فى جامعة القدس .

وغير (هلكين) نجد عدداً من القصاص اليهود الأمريكيين مثل (تفيرسكى Tverski) و (شموئيل ليب بلنك Schmuel Lejb Blank) وقد ولد (بلنك) عام ١٨٩٣ وقد اهتم بصفة خاصة فى قصصه بوصف الفلاحين اليهود فى وطنه بسارابيا ومن أشهر رواياته (عربه) أى الصحراء عام١٩٢٦ و (موشبه) أى نجع عام ١٩٣٦ ثم عرض أيضاً لحياة اليهود المهاجرين فى الولايات المتحدة فى روايته (هائى دمعوت) أى جزيرة الدموع عام ١٩٤١

أما يوحنان تفيرسكى فقد ولد عام ١٩٠٤ من أسرة أوكرانية ووالده حاخام حسيدى . وقد عاش (تفيرسكى) فترة فى ألمانيا وأمريكا ومنذ عام ١٩٤٨ فى فلسطين وهو من أشهر المؤلفين العبريين للروايات التاريخية سواء منها ما يتصل بالتاريخ القديم أو الوسيط أو الحديث مثل (روم وتهوم) أى صعود وهبوط وقد صدرت عام ١٩٥١ وهى تعرض تاريخ وأحداث عصر المعبد الثانى أعنى القرن السادس قبل الميلاد . ثم كتابه عن (راشى) وقد

صدر عام ١٩٤٦ وهو يتحدث عن المفسر اليهودى الفرنسى المسمى بهذا الاسم وقد عاش فى القرن الحادى عشر . ثم له أيضاً (أوريل أكوستا Acosta Uriel) وهو يقع فى ثلاثة أجزاء من ١٩٣٣ — ١٩٣٧ وهو خاص بالفيلسوف السابق لشبينوزا) والذى عاش فى أمستردام ١٥٨٥ — ١٦٤٠ واسمه الحقيقى ليس (أوريل أكوستا) بل (جبرئيل دا كوستا Gabriel da Costa) وقد ولد حوالى عام ١٥٨٥ فى أوبورتو وتوفى فى أمستردام عام ١٩٤٠ وهو فيلسوف فى الأديان وقد كان قد اعتنق المسيحية تقية ثم كشف أمره فحكم عليه بالإعدام فانتحر وقد اختصه (جوتسكوف Gutzkow) بمسرحية عام ١٨٤٦ كما أصدر (تفيرسكى) مؤلفا عن (الفريد دريفوس Alfred Dreyfuss) عام ١٩٤٤ .

ولم يقتصر اهتمام (تفيرسكى) بالقصص التاريخية بل عنى أيضا بالمواضيع الخاصة بالحسيديم مثل روايته المعروفة باسم (بحصير هفنيميت) أى فى داخل الفناء وقد صدرت عام ١٩٥٤ .

وكذلك رواية (هبيتولامى لود مير) أى (بتول لودمير) عام ١٩٥٠ وهى السيدة الوحيدة التى صارت زعيمة لفرقة حسيدية كذلك لنفس المؤلف قصة (مى عولام لى عولام) أى من عالم لعالم عام ١٩٤٨ وهى قصة تهتم بتاريخ حياته .

وقد اشتهر فى أمريكا منذ عام ١٩١٠ الأديب روئبين برينين Brainin Reuven) وقد ولد فى روسيا البيضاء عام ١٨٦٢ وتوفى فى نيويورك فى عام ١٩٣٢ وقد اشتهر مؤلفا وناقدا ومترجما وانصرف فى كتاباته إلى اللغة اليديش .

ومن أشهر كتاب هذه اللغة أعنى اليديش هو الأديب (ى ى شفارتس I. J.Schwartz) وقد ولد فى لتوانيا عام ١٨٨٥ وترجمة ملحمة هجرته المعروفة باسم (كنتوكى Kentcky) إلى العبرية عام ١٩٦٢ .

فلسطين (١٩٠٠ — ١٩٦١)

من « برينر Brenner » حتى « كرنى Karni »

كثيراً ما يتساءل كتاب شرق أوربا وأمريكا وفلسطين اليهود الذين يكتبون بالعبرية : لمن أتعب نفسى ؟ فهؤلاء الكتاب المعذبون كثيراً ما تصدمهم الهموم وتستولى عليهم خيبة الأمل وتعضهم الحاجة وتخيب آمالهم الفاقة ومما يزيد الطين بلة اعتقادهم أن عدد قرائهم فى تناقص مستمر . لكن بالرغم من هذه الحالة النفسية مازال الكتاب يكتبون والقراء يقرأون تجاوبا مع الرغبة الملحة عليهم ألا وهى قيام إسرائيل ولعل خير مثال يساق لإثبات صحة ما ذهبت إليه حياة الأديب العالم « يوسف حاييم برينر Jossef Chajim Brenner » الذى ولد فى أوكرانيا عام ١٨٨١ ودرس فى معاهد التلمود وتصادق هناك مع (جنيسين Gnessin) واهتم مثله بالتعمق فى الآداب الروسية ووجد مثله العليا تتجسد فى أمثال (تولستوى Tolstoi) و (دوستويفسكى Dostojewski) وفى عام ١٩٠٠ ظهرت له أول مجموعة قصصية وعنوانها (بعيمق أحور) أى فى الوادى المغطى بالضباب (وتحدث هذه القصص عن الحياة التعسة التى يحياها اليهود الروس وقضى عاما فى الجيش فوصف حياة المعسكر فى قصته (شنه) أى (سنة) ثم رحل إلى انجلترا حيث مضى هناك أربعة أعوام أسس فيها مجلة عبرية آمل أن يسد الفراغ الذى أوجدته الثورة الروسية عام ١٩٠٥ إلا أنه فشل فى مشروعه هذا فاضطر إلى إيقاف إصدارها بعد عام من صدورها ثم التحق بعمل فى الطباعة وأصدر بين الحين والحين قصة ومن أشهرها تلك المعروفة باسم (بحورف) أى فى الشتاء حيث صور حياته طفلا وشاباً فى بيئته الفقيرة ، والقصة الثانية تعرف باسم (مسبيب لنقوده) أى حول النقطة حيث عرض للشبان الذين يضيعون وقتهم هباء بدون أى عمل وهو يعنى

بالعمل هذا العمل فى أرض فلسطين (حلوص) أى رائد كما ألف مسرحية تسمى(معيبر لجبوليم) أى عبر الحدود وذلك بسبب الحركة المعادية لليهودية التى ظهرت فى انجلترا .

وفى عام ١٩٠٩ هاجر إلى تل أبيب التى أسست وقت ذاك وأخـذ يواصل نشاطه فى إصدار المطبوعات العمالية وبالرغم من لسانه النقاد فقد كان محبوبا جداً لزاهته وإخلاصه لمبادئه فكان كل عام يزداد عدد أنصاره الذين أخذوا يرون جمال الحياة الفلسطينية والعمل فيها بالرغم من مظاهر التقشف وأخذت دعايته تنتشر فى بلاد كثيرة خارج حدود فلسطين فأقبلت جماعات أقامت فى القبوصيم .

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فأخذ الشك يساوره فى تحقيق آماله ويتجلى لنا هذا الشك فى كثير من قصصه التى صدرت إبان الحرب العالمية الأولى مثل قصة (ميقام وميقام) أى من هنا وهناك وكذلك قصة (شكول وكشالون) أى الضياع والنكسة فى هاتين القصتين نجد (برينر) أكثر الكتاب العبريين تشاؤما .

وفى عام ١٩٢١ قتله العرب ومعه الشاعر العبرى الآخر (ظبى شتز Zwi Schatz أحد مواليد أوكرانيا عام ١٨٩٠ . وفى الفترة الممتدة بين عام ١٩١٠ و ١٩١٣ ظهرت أشهر مؤلفات (برينر) مثـل (النساجون Die Weber) و (ميخائيل كرامر Michael Kramer) أناس وحيدون Einsame Menschen) و (سائق عربة النقل هينشل Fuhrmann Henschel)ثم طرق الأدباء العبريون طريقاً آخر ألا وهو الاتجاه إلى الطبيعة والبعد عن المدينة وضوضائها ومصانعها القاتلة وقد قوى هذا الاتجاه الأدباء الروس الاشتراكيون بزعامة تولستوى Tolstoi) وفى أمريكا بزعامة (هنرى دافيد تورو Henry David Thoreau) (١٨١٧ — ١٨٦٢) .

فهذا الاتجاه الأدبى الجديد انتشر بين جماعات يهودية فى مختلف البلاد خارج فلسطين ، وقد عاون على نشره الأديب اليهودى (أهارون دافيد جوردون Aharon David Gordon) وقد ولد فى (بودولين Podolien) عام ١٨٥٦ وتوفى فى دجانيا بفلسطين عام ١٩٢٢ . وقد تلقى تعليمه كغيره من يهود شرق أوربا كما درس الروسية والألمانية والفرنسية وانضم إلى جماعة « حوببيه صهيون » أى أصدقاء صهيون وكان يهوى العمل فى الأرض لذلك عمل كاتبا فى ضيعة ثم هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٤ وقد قارب الخمسين من عمره ورفض أن يعمل موظفا وقد أخذ يقلد الزعيم الهندى الراحل مهاتما غاندى فى حياته الخاصة إلا أن صحته لم تقو على القيام بالأعمال اليدوية الشاقة وبخاصة تجفيف المستنقعات والتعرض لمرض الملاريا وقد نجحت إسرائيل فى مكافحة هذا الوباء فأعلن العالم (ظبى ساليترنيك Zwi Saliternik) عام ١٩٦٢ القضاء نهائيا على هذا الوباء فى جميع أنحاء فلسطين .

وأخذ « جوردون » يوالى اهتمامه بنشر حب العمل بين اليهود حتى لقب القوم تعاليمه هذه (دين العمل) . ومنذ عام ١٩١٩ أخذ ينشر فى صحف العمال مقالات وأبحاثا وقد نشرت مجموعة فى خمسة مجلدات بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ كما ظهرت الطبعة الثانية فيما بين عامى ١٩٥١ و ١٩٥٣ كما ظهرت مختارات منها مترجمة إلى الألمانية وقدم لها المترجم (ف.كلنر V. Kellner ونبذة من تاريخ حياته تحت عنوان : (الخـــلاص عن طريق العمل Erlösung durch Arbeit Berlin 1929)

وتعتمد تعاليم (جوردون) على العهد القديم والتلمود وهو من دعاة حب الأقربين لذلك تكونت جماعات من الشباب فى بولنده وأمريكا تقدس العمل كما اتخذت هذه الرغبة شعارا لها تهدف من ورائه إلى تضامن الشعوب عملا

بقول (جوردون) أن لفظ (فولك Volk) أى (شعب) تشير فى الواقع إلى معنى آخر ألا وهو (عم آدم) أى (إنسان شعب) وهـذه الجماعات التى شعارها تضامن الشعوب أو التضامن الشعبي الإنســـانى تطلق على نفسها (جوردونيا Gordonia) .

ويتفق مع جوردون فى هذه النظرة الفلسفية الإنسانية الفيلسوف اليهودى (مارتين بوبر) وفى رواية الأديب (ى . يارى) واسمها (كاوريهل) أى كشعاع المنارة نجده يصور (جوردون) وكأنه رائد الشباب الذين هاجروا من روسيا عقب الاضطهاد الروسى الأوكرانى وحاولوا استغلال الحرب العالمية الأولى لتحقيق أهدافهم . هكذا الحال أيضاً مع ملحمة (مسادا) أى الأساس للمؤلف (لمدان Lamdan فهذه الملحمة التى صدرت عام ١٩٢٦ نحت هذا النحو حتى أصبحت كتابا مقدسا لشباب ذلك الجيل . وقد ولد (اسحق لمدان Jizechak Lamdan) فى فولهينين Wolhynien) عام ١٨٩٩ وتوفى فى فلسطين عام ١٩٥٤ وكان قد هاجر إليها عام ١٩٢٠ وهو أحد الطائفة التى تتكون منها الهجرة الثالثة إلى فلسطين مثله فى ذلك مثل الشاعرة (راحيل) وغيرها من التقدميين اليهود .

وفى عام ١٩٤٤ نشر (لمدان) ديوانه المسمى (بمعله عقربيم) أى (على مرتفع العقارب) وفى هذا الديوان يعرض ويصور القضاء على اليهود الأوربيين .

ويعتبر (جوردون) وبحق اللحمة التى تربط بين الرواد اليهود إلى فلسطين المختلفى المشارب والمبادىء وقـــد عرض له فى هذه الناحية القصصى (ن . بيستريتسكى N Bistritzki) (أجمود Agmon) فى قصته (يميم وليلوت) أى (أيام وليالى) كما ألف (ى . بار يوسف) فيه تمثيلية (هزقين) أى (الشيخ) عام ١٩٥٢ .

وقد سار فى طريق (جوردون) جيل من الكتاب العبريين الذين اتخذوا مثله الأعلى فى العمل شعارا لهم فعملوا وكدحوا ليتحرروا من استعباد المدينة وسيطرتها ومن أشهر هؤلاء الأدباء الشاعرة (راحيل سيلا بلوفشتين Rachel Ssela Bluwstein) (١٨٩٠ — ١٩٣١) وقد لجأت وهى فى التاسعة عشرة من عمرها فى رفاق من اليهود الروس المثقفين إلى فلسطين ليحققوا فكرة العمل فى الأرض وقد درست الشاعرة فيما بعد علم الزراعة وبعد الحرب العالمية الأولى التى قضتها فى روسيا عملت مدرسة فى مخيم بفلسطين. وفى أول شبابها نظمت شعرا روسيا ومن ثم أخذت تتعلم العبرية وقد صدر ديوانها عام ١٩٣٥ كما نشرت روت أوليندورف Ruth Ollendorff) عام ١٩٣٦ فى برلين مختارات من شعرها مترجمة إلى الألمانية .

ومن الشعراء الآخرين الذين انصرفوا إلى الزراعة والعمل الشاعر اليهودى الروسى (يشوع ربينوف Jehoschua Rabinow) وقد ولد فى روسيا البيضاء عام ١٩٠٥ ويعتبر (يشوع) هذا شاعر القبوص .

ونظيره أيضا شاعر روسى آخر ألا وهو (ليفى بن اميتاى Levi ben Amitai) وقد ولد فى روسيا البيضاء عام ١٩٠١ ورحل إلى فلسطين عام ١٩٢٠ وشعره الصوفى اللون يتغنى بالعمل وهو دينه والاتصال بالأرض الطيبة فهو اللاوى لاوى الحرث والزرع وهكذا يؤدى فرائض الله فى العمل فالعمل لديه هو الفريضة الدينية الأولى التى فرضها الله على بنى آدم .

ومن هذا النمط أيضا الشاعر (بنيامين تينه Binjamin Tene) أو (تيننبوم Tennenbaum) وقد ولد فى بولندة عام ١٩١٦ وهو المثل الصادق لابن القرية .

أما الشاعر الكاتب (فصح جينسبرج Pissach Ginsburg) فقد

ولد فى (فولهينين Wolhynien) عام ١٨٩٤ وتوفى فى تل أبيب سنة ١٩٤٧ وقد نظم ديوانا خاصا فى شعر العمل يعرف باسم (شيرت عمل ، أى شعر العمل . وكان ذلك عام ١٩٤٧ .

ثم ظهر نوع آخر من الشعر الغنائى القوى بين جماعة يعجز أفرادها عن التعبير عن مشاعرهم وهم يشتهرون باسم (زبريم) أى الشبان الذين ولدوا فى فلسطين واستطاعوا فى الأعوام الأخيرة فقط الدراسة والإلمام ببعض نواحى الثقافة الأوربية .

ومن شعراء الطبيعة والأرض أيضا غير (رحيل) نجد الشاعرة الفلاحة (حيا فريد Chaja Vered) وقد ولدت عام ١٩٢٢ .

أدباء القصة

من أشهر أدباء القصة فى العصر الطليعى الأول (موسى سميلنسكى Mosche Smilanski) وقد ولد فى أوكرانيا عام ١٨٧٤ وتوفى فى فلسطين عام ١٩٥٢ وقد اشتهر باسمه العربى (الخواجا موسى) وقد بدأ حياته عام ١٨٩٠ عاملا ثم فلاحا فى فلسطين وكتب عددا من القصص التى تصور القرى اليهودية وحياة الفلاحين للعرب وقيمة (سميلنسكى) التاريخيـة تعتمد على أنه أول من صور هذه الحياة تصويراً جميلا .

أما قصص (يهودا يارى) الذى ولد فى غاليسيا عام ١٩٠٠ والذى أخذ يعمل فى أرض فلسطين منذ عام ١٩٢٠ فقد صور الحياة فى القبوص كأحد مؤسسيه فهو الذى أطلق على هذا النوع من الجمعات لفظ (قبوص) وهو يشير إلى هـذا المجتمع الحر الاختيارى الذى يحيى فيـه الإنسان حياة حرة اشتراكية ، وقصص (يهودا) هـــذا تمتاز بالدقة والأمانة كما أنها متأثرة بالمذهب الحسيدى وقصص الحسيديم كما يعتقد أنه انحدر من أحد معتنقى هذا المذهب . ومن قصصه الشهيرة أيضا قصته المعروفة باسم (شورش على مايم) أى جذور فى الينابيع وقد وضعها بعد عام ١٩٤٨ وهناك قصتان من قصصه فى ترجمة ألمانية قام بها (اش شوليم) الأولى تسمى (العهد Der Bund) وقد ظهرت فى برلين عام ١٩٣٥ والقصة الثـانية اسمهـا (الصياد وكلبـــه Der Schäfer und sein Hund

وقد صـــدرت ضمن المجموعة المعروفة باسم (فى خيمة داود In Davids Laube) عام ١٩٥٩ .

أما الأديب (دافيد ماليز David Malez) فقـد ولد فى بولندة عام ١٩٠٠ ومن ثم التحق عام ١٩٢٠ بقبوص وقد أولع بوصف الحيـاة فى

القبوص من الناحية الاجتماعية فى روايته (معجلوت) أى الدائرة وقد صدرت عام ١٩٤٥ .

إلا أن هذا الاتجاه فى حياة المؤلف أخذ مع مرور الزمن يتزايد وذلك بسبب العناصر الأخرى التى جدت مثل تشكيل العصابات الإرهابية إبان حكومة الانتداب وكثرة النازحين من أوربا ومن البلاد العربية ثم التطور الطبيعى فى الحياة عامة من شعور بالفوارق بين حياة القبوص وحياة المدن والعزلة متى قامت بين أولئك وهؤلاء . كما أن حياة المهاجرين منذ خمسة عشر عاما قبل قيام دولة إسرائيل وجدت من يخلدها شعرا مثل (دافيد شمعونى) سابقا (شيمونوفيتس Schimonowitz) وقد ولد فى روسيا البيضاء عام ١٨٨٦ ومات فى فلسطين عام ١٩٥٦ فتسجيل حياة هؤلاء المهاجرين وتخليدها وهذا هو أول فن من نوعه فى الأدب العبرى فتح عيون الشباب الناشىء فى فلسطين على جمال البلاد وطبيعتها . فهذا الشاعر هو أحد الشعراء الذين نظموا الشعر وقطعوه عروضا سفرديا . فهو يصور حياة اليهودى الذى قدم بعد التشريد غير مستقر ومن ثم تحول إلى جندى وفلاح فى فلسطين فشعره عبارة عن معهد يعلم القومية ويثبت أصولها وقد جمع شعره فى ديوان أطلق عليه (سيفر هفوئموت) أى (سفر الأشعار) وقد نشره عام ١٩٥٢ : ومن أشهر أشعاره قصيدته المعروفة باسم (بيعر بحديره) أى فى غابة حديرة) وهى أول غابة غرست لتجفيف المستنقعات حيث يعمل قطاع الأشجار ومن بينهم الشيخ الكبير وأحد شبان الدون قوزاق . ومن قصائده الشهيرة أيضا قصيدته المعروفة باسم (يوبيل هعجلونيم) أى (يوبيل سائقى سيارات النقل) وفيها يصف النزاع الداخلى والذى يرمى إلى الابتعاد عن الأراضى الشمالية وقد ظلت هذه العلاقة متصلة بالأراضى الشمالية حتى تبين المهاجرون جمال الجنوب وسحره ، وقد عالج هذا الموضوع أيضا الشاعر (هلكين) فى مرثيته التى أطلق عليها اسم (طرشيشا) أى إلى (طرشيش) .

وعنى الأدباء أيضا بموضوع مواجهة العرب للمستعمرات اليهودية وقد قال فى هذه الحوادث كثيرون من الشعراء شعرا يشبه ذلك النوع المعروف باسم (رسيسه ليله) أى (ندى ليلى) .

أما أشعار (شيمونى) فقد نشرت فى أربعة أجزاء (١٩٤٥ و ١٩٤٩ — ١٩٥٤) وقد نظم هذا الشعر فى أسلوب قصصى مثل (بشبيله هبير) أى (على طريق حديقة الحيوان) وقد صدر عام ١٩٤٦ وقد ضمن هذا الشعر نقدا للمجتمع .

واهتم هذا الشاعر أيضا بترجمة بعض الآثار الأدبية الروسية . والحقيقة الجديرة بالذكر أن معظم المؤلفين الذين هاجروا إلى فلسطين فى الربع الأول من القرن العشرين عملوا مدرسين أو صحفيين وفى إنتاجهم يتجلى أثر المذهب الدينى المعروف باسم حسيديم . وهذه الحسيدية التى تطورت لديهم إلى فكرة تدعيم عقيدة مجىء المسيح المنتظر لدى الشباب اليهودى كما هو الحال عند (أورى ظبى جرينبرج Uri zwi Grynberg) و (شبيرا شلوم Schapira Schalom) الذى ولد عام ١٩٠٥ وكان شاعرا مجيدا فترجم بعض آثار شكسبير كما ألف بعض القصص والمسرحيات ومن أشعاره الجيدة التى تهتم بالتاريخ قصيدته (أون بن فيل) ١٩٤٠ وفيها يصور القاص كيف يقف إبان الثورة العربية عام ١٩٣٩ على برج حراسة مستعرضا حياته تمر أمامه فقد قضى طفولته فى بولندة وشبابه فى الحرب العالمية الأولى فى فينا ثم هجرته إلى فلسطين ويقوم بعمل طلائعى فى وادى يزرعئيل ثم يعرض لبعض المناظر من القدس . كذلك مسرحيته (دان هشومير) أى (دان الحارس) وتعتبر هذه المسرحية التى مثلت بمرافقة موسيقى من وضع (مارك لافرى

Mark Lavri) الذى ولد عام ١٩٠٣ أول أوبرا تتم بموضـوع إسرائيل .

كذلك نجد الشاعر الحزين (يهودا قرنى) واسمه الأصلى (ولولسكى Wolwelsky) وقد ولد فى روسيا عام ١٨٨٤ وتوفى فى فلسطين عام ١٩٤٩ وكان أيضا كاتبا ناقدا وان كانت أشعاره وبخاصة تلك التى تعرض للقدس حزينة جدا كما أن الجزء الأخير من ديوانه الذى صدر عام ١٩٤٤ يدعى وبحق (شير ودمعة) أى شعر ودموع .

سلمان شنئور

وهذا نوع آخر من الأدباء اليهود يمتاز بفنه موضوعا وأسلوبا وقد ولد في شكلوف Schklow) بروسيا البيضاء عام ١٨٨٧ وتوفى فى فلسطين سنة ١٩٥٩ وقد ساهم بقسط وافر فى تغذية الحركة الأدبية العبرية بين يهود دول أوربا الشرقية وبخاصة فى أوديسا و (فلنا) و (وارسو) ثم رحل عام ١٩٠٦ إلى سويسرا ومن ثم انتقل إلى ألمانيا وفرنسا حيث درس فى السربون . وإبان الحرب الثانية هرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أقام فى نيويورك ومنها إلى فلسطين حيث بقى بها حتى مات .

أما إنتاجه الأدبى ففى اللغتين العبرية واليديش كما ترجم بعض رواياته فى اليديش إلى العبرية وكان فى شعره لا يفتأ يذكر الإسرائيليين وتاريخهم ولو فى قصائده الغزلية كقصيدته الشهيرة (عم صليل همندولينا) أى (على نغم المندولين) وقد نظمها عام ١٩١٢ .

وقد اهتم الشاعر بالجمع بين الوحوش الضارية والإنسان المثقف فسجل هذه الرابطة فى أشعاره فقد وضع مسرحية حول الإنسان الأول وفيها تجد الحيوان والآدميين والملائكة يتكلمون ، وفى آخر كتاب له وهو عبارة عن ملحمة الغابة (بعل هفرو) أى صاحب الفروة وقد صدر عام ١٩٥٨ وفيه يصور مختلف أنواع الحيوان كما أن حوادثه تدور حول المعركة التى التى نشبت بين رعاة قرية يهودية روسية وبين الدببة ويتفنن الشاعر فى تصوير الدببة وحياتها وتناسلها حفظا لنقائها وجنسها كما يتحدث عن غفلة أصحاب القطعان ونومهم بعد الظهيرة .

وقبل تأليف هذه الملحمة نجد (شنئور) يتبين أن العوامل الدافعة إلى عمل الخير وخلف ثقافة رفيعة حقا .

وهذه النظرة الفاحصة للشاعر عبر عنها فى نبوءة شعرية نشرها عام١٩١٢ وقد أطلق عليها (يمه هينيتيم متقريبم) أى (العصور الوسطى تقترب) . والشاعر يعنى بالعصور الوسطى (التنين الخطير يقترب مهددا وهو يبدو كما لو أنه مقيد ولو أنه قد غير اسمه فقط .

أما قصص (شنئور) فتمتاز بالدفء وإجادة التصوير وبراعة العرض مثل قصة (بندرا هجبور) أى (بندرا الجبار) وقد صدرت فى اليديش عام ١٩٣٨ وفى الألمانية (نوح بندرا Noah Pandre) ترجمة جريتا فيشر Grete Fischer و ى . لفتفيش J. Leftwich .

وعرض الشاعر للمدينة التى نشأ فيها أعنى « شكلوف » فوضع فيها قصة « انشى شكلوف » أعنى سكان شكلوف وقد ظهرت فى اليديش الطبعة الأولى عام ١٩٢٩ والثانية عام ١٩٤٤ وله أيضاً قصة أخرى تاريخية عنوانها « هجاون وهارب » أى الجاون والحاخام . وقد اختارها من كتاب فى اليديش ظهر عام ١٩٤٤ . أما هذه القصة فقد ظهرت عام ١٩٥٣ وتدور أحداثها فى أواخر القرن الثامن عشر . فالجاون كان مخلصاً جداً لقيصر روسيا واسم هذا الجاون « اليا فيلنا » وقد ولد عام ١٧٢٠ وتوفى عام١٧٩٧ وكان يمثل اليهودية المحافظة ويناصر المدرسة العالمة وكان أكبر معارض للمذهب الحسيدى وقد جاء به من بولنده إلى روسيا الحاخام . ومن الناحية العلمية كان يقارع العلامة « شنئور سلمان » من « لادى Ladi » (١٧٤٦ — ١٨١٣) ومؤلف القصة هو أحد أحفاده .

وقد أدرك « اليا فيلنا » أن خطراً يهدد اليهودية بسبب قيام الحسيديم والدور الذى يدعونه أنهم وسطاء بين المؤمنين والله ، وإلا فكيف تعلل أن الحاخام أصبح مناصراً ومعاوناً لنابوليون . ونحن نتبين آراء (شنئور) فى مقالاته عن الكتاب ، وقد جمعت هذه المقالات ونشرت فى مجلدين وهى تدور

حول (بيالق) ومعاصريه وكذلك (دافيد فريشمان David Frischman) وآخرين . وقد ظهرت هـــذه المقالات فى عشرة مجلدات عام ١٩٥٨ فى تل أبيب .

وقد أغنى (شنئور) الصحافة العبرية واليديش فى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بفضل قوة شخصيته ، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يوفق فى خلق مدرسة له أو معجبين به من بين الشبان العبريين بخلاف غيره من الأدباء أمثال جنيسين Gnessin و برينر Brenner وشوفان Schofmann فهؤلاء الأدباء وغيرهم هم الذين تركوا أثراً بعيداً فى الأدب العبرى فى القرن العشرين وبخاصة فى الفترة المعروفة فى التاريخ اليهودى باسم (فترة الخوف) فالكاتب (جيرشون شوفان Gerschon Schofman) هو أحد مواليد روسيا لعام ١٨٨٠ ثم عاش فى النمسا منذ عام ١٩٠٥ وفى فلسطين منذ عام ١٩٣٨ وقد اشتهر أسلوبه بالجمل القصيرة وهو يستوحى الأحداث فى كتاباته لأنه يعتبر الأحداث مرآة تنعكس عليها الروح الإنسانية ويرى فى المحاورة وسيلة تكشف الإنسان للقارئ، فمثل الكاتب عندما يعرض نفسه أو شخصياته مثل الذى يستعين بالخط لمعرفة شخصية كاتبه فالأديب (شوفان) يشبه كثيراً فى فنه الأدبى الشاعر اليهودى النمساوى (بيتر التينبرج Peter Altenberg (١٨٥٨ — ١٩١٩) . وقد ترجم شومان بعض مؤلفاته إلى العبرية كما ترجم أيضاً عن الروسية بعض الآثار الأدبية لمكسيم جوركى و (تشيخوف Tschechow) كما عنى فى مؤلفاته التى صدرت بعد عام ١٩٣٣ بموضوع اليهود فى أوربا .

وهناك أدباء آخرون نهجوا فى القصة منهج كتاب القصة من الأوربيين وبخاصة عند معالجتهم القصة الأوربية القديمة ومن أمثال هؤلاء الأدباء اليهود (تيفرسكى Tverski و برش Barasch وكابك Kabek .

أما آثار الأديب بر أشيرش Ascher Barasch الذى ولد فى غاليسيا عام ١٨٨٩ وتوفى فى تل أبيب عام ١٩٥٢ فتمتاز بعنايتها بالناحية الإنسانية عامة وبخاصة بعدما نزح إلى فلسطين واستقر بها وشتان بين حياة المواطن المستقر وبين الشخص المقلقل . وكان الأديب مؤمناً بالشباب إيماناً قوياً ولا سيما إذا كان الشخص طموحاً . وقد يضل الفرد وينحرف حسب تكوينه واستعداده والإنسانية ملتزمة بمقدراتها وقد تتلاشى الاسر إلا أن المبادىء السامية يجب أن تتفتح ثانية من الإنسانية هكذا كان يدعو (برش) مربياً وكاتباً ومؤلفاً فى تل أبيب عام ١٩١٤ .

هذا هو مذهبه فى قصصه ورواياته وهو يتفق فى هذا الاتجاه مع تيودور شتورم Theodor Storm نثراً وشعراً كما تبـــين ذلك فى ديوانه « الموسوم أشمو ل» أى « الأمس » والذى صدر عام ١٩١٥ وديوانه الآخر المعروف باسم « صل صهرايم » أى « ظل الظهيرة » عام ١٩٤٩ . ومن أشهر مؤلفاته (تمونت مبيت بشيل هشكر) أى (صور من بيت عمل المسكر) عام ١٩٢٨ وهى قصة يصور فيها حياة أسرة فى غاليسيا وقصة أخرى تسمى (فرقيم محيه يعقوب رودلفر) أى (فصول من حياة يعقوب رودلفر) عام ١٩٢٨ وهى تعرض مغامرات طالب يهودى متجول فى بولندة . وللمؤلف قصة أخرى ألا وهى (أحبا سارا) أى (حب ممنوع) عام ١٩٣٩ وهى وصف للعلاقات بين اليهود والمسيحيين فى بولندة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . وكذلك كتاب (بصل أنوشيم طوبيم) أى فى ظل الناس الأخيار ١٩٤٩ .

وألف (برش) أيضاً قصصاً تاريخية مثل (هنشر بيتوليدو) أى (ضياع طليطلة) وهى تعرض طرد اليهود من أسبانيا ومن بين اليهود الذين عرض لهم المؤلف وصور ما لاقوه من تعذيب (دون يوسى دليجو Don Jose Delamigo) . ثم يبين المؤلف كيف أن العمل السىء لا يحيق إلا بأهله

كذلك قصة (مول شعر هشامايم) أمام باب السماء . وفيها يعرض اضطهاد القوازق لليهود فى منتصف القرن الثامن عشر .

وألف (برش) أيضاً كتباً كثيرة للأطفال كما ترجم بعض الكتب الصهيونية التى صدرت فى الييديش أو الألمانية أو الإنجليزية مثل كتاب (تيودور هرزل) : الدولة اليهودية إلى العبرية .

ومن أشهر كتاب القصة أيضاً (أهرون ابراهام كابك Aharon Avraham Kabak وقد ولد فى ليتوانيا عام ١٨٨٠ وتوفى فى فلسطين

عام ١٩٤٤ وقد هاجر إليها عام ١٩١١ ومن قصصه (نصاحون) أى النصر وقد صدرت عام ١٩٢٣ كما اهتم بالموضوع الذى يشغل اليهود كثيراً ألا وهو مجىء المسيح المنتظر فألف رواية فى ثلاثة أجزاء (١٩١٣ — ١٩٢٧) متحدثاً عن الشخص المعروف باسم (شلومو مولخو) الذى نادى بمجىء المسيح كما تحدث عن الرغبة الصهيونية الجامحة التى كانت قوية جداً فى القرن السادس عشر وقادها بطل القصة المسمى (ديجو بيريز Diego Pirez) اليهودى الذى تظاهر باعتناق المسيحية وأصبح أحد موظفى البلاط الملكى البرتغالى ومن ثم ارتد إلى اليهودية مدعياً أنه المسيح المنتظر بعد أن تسمى باسم يهودى ألا وهو (شلومو ملخو) وادعى أنه إنما جاء مبشراً بقرب ظهور المسيح .

وقد حرص (شلومو ملخو) هذا على الاهتمام بالاتصال بالهيئات المتصوفة فى تركيا والجليل وذلك ألم بعلامات نهاية العالم وربط بين هذه المعلومات واستيلاء (كارل) الخامس على روما عام ١٥٢٩ . كما نجد (شلومو) هذا يتفق مع يهودى شرقى يدعى أنه أمير ويسمى (دافيد هربينى) وقد توصلا إلى البابا (كليمنس السابع) الذى طلب إعدامهما عندما علم أنهما حرضا القيصر على إعلان حرب ضد السلطان لتحرير الأرض المقدسة .

وقد انضم عدد كبير من اليهود إلى صفوف جيش (كارل) الخامس وشاركوا في هذه الحرب .

وقد عرض لهذا الموضوع الكاتب اليهودى (مكس برود Max Brod) الذى ولد عام ١٨٨٤ فى روايته (روبينى أمير اليهود Reubini,Furst der Juden 1925 عام ١٥٢٥ وقد ترجمت هذه الرواية إلى العبرية ومثلت عام ١٩٥٠ على مسرح (هبيما) .

وفى عام ١٩٣٧ ظهرت رواية (كابك) المعروفة حول يسوع وفى جزئين واسمها (بمشعول صير) أى (على الطريق الضيق) وهى خير رواية تصف المسيح اليهودى ابن الجليل فعرض الحياة اليهودية فى ذلك العصر معتمداً على أقوال المسيح النبى وقد حرص المؤلف على إخراج التاريخ اليهودى إخراجا عصرياً مجسداً فوضع قصة عرضت أربعة أجيال ظهرت فى ثلاثة كتب هى (بحلل هرق) أى فى حفرة خالية عام ١٩٤٣ و بصل عص هتلوى أى فى ظل خشب الصليب ١٩٤٤ و سبور بلى جبوريم أى قصة بلا أبطال ١٩٤٥ كذلك ترجم بعض الآثار الأدبية مثل أحمر واسود Rot und Schwarz للمؤلف ستينهال Stenhal وغيرها .

آجنون

شموئيل يوسف اجنون (ششكيس)

Schmuel Jossef Agnon

ولد فى إحدى مدن غاليسيا المعروفة باسم مدينة (بوشاس Buczács) عام ١٨٨٨ وقد عنى فى قصصه ورواياته وأساطيره بتصوير حياة اليهود فى غاليسيا وألمانيا وفلسطين والمؤلف متأثر فى قصصه بعناصر قصص الحسيديم من حيث عدم تغليب العنصر عليه . ففى قصة (هنيدح) أى (الطريد) نجد المؤلف متأثراً جداً بالسحر وبخاصة اللعنة وهذه الظاهرة نلمسها أيضاً فى بعض قصصه الأخرى مثل «تهله» التى تصور حياة امرأة عجوز فى القدس وقد بهرتها العقيدة . وعرض المؤلف أيضاً لموقف بعض الصالحين المصلحين من الحسيديم فى بولنده كما نشاهده فى قصته المسماه (هحنست كلا) أى البحث عن العريس وتعرض هذه القصة ليهودى من شرق أوربا فى القرن التاسع عشر واسمه (رب يودل Reb Judel) الذى يطوف فى بولنده باحثاً عن أزواج لبناته الثلاث والمؤلف متأثر هنا بالمقامات العربية إذ يضمنها بعض القصائد والأبيات الشعرية كما ينحو بها أحياناً نحو القصص الشعبى وفى قصة (اتمول وشيلشوم) أى البارحة وقبل البارحة ، يصور حياة الصهيونيين اسحق كومر Jizchak Kummer ويميل نقاد الأدب إلى المقابلة بين أجنون و وتوماس مان أو كفكا Kafka فـ(أجنون) يتفق مع توماس مان Thomas Mann فى الاهتمام بالطبقات الشعبية وعرض هذه الطبقات فى أسلوب تهكمى لاذع ، كما تغلب على أسلوبهما الدقة فى عرض حياة الفرد واستعداده ومهنته

أما وجه الشبه بينه وبين (كفكا) فالاتفاق فى المظاهر الخارجية مع بعض

الفوارق وذلك لأن « كفكا » كان يعيش فى بيئة كلها خوف فضلا عن المرض الذى أودى بحياته وكثرة إنتاجه الذى عاون المرض على التعجيل بوفاته . أما « أجنون » فكان يعتمد فى إنتاجه على ثقة الناس به وثقته بهم . ويتفق (أجنون) مع (مندلة) و (شالوم عليكم) من حيث الاهتمام بيهود شرق أوربا بحسناتهم وسيئاتهم وغزارة الإنتاج . وقد أصدر (ى . يريس) خمسة أجزاء من مجموعة مؤلفات (أجنون) ونشرت فى برلين كما ظهرت فى فلسطين أجزاء أخرى لهذه المجموعة . وفى عام ١٩٥٠ ظهرت طبعة جديدة كما نشر عدد من قصصه فى الملحق الأدبى لصحيفة (هارص) كما ظهرت أخرى فى (المناخ) واهتم (أجنون) أيضا بالآداب الشعبية اليهودية لذلك جمع الكثير منها وبخاصة ما يتعلق منها بالأعياد .

وقد أصدر الناشر (شوكن Schocken) أيضاً عدداً من مؤلفات (أجنون) المترجمة إلى الألمانية ومنها كتابه (والمعوج سيستقيم Und das Krumme Wird gerade) وقد نقلها إلى الألمانية (م . شتروس Strauss) وقد صدرت الطبعة الأولى عام ١٩١٨ والثانية ١٩٣٤ وكذلك (تلمود جدى Das Schass meines Grossvaters) عام ١٩٢٥ وكذلك (قصة ناسخ التوراة Die Erzählung von Tora) وقد نقلها إلى الألمانية أيضا (م . شتروس) عام ١٩٢٣ وأيضا مجموعة من ست قصص قصيرة اسمها (فى مجمع الأبرار Gemeinschaft der Frommen) وقد ترجمها إلى الألمانية (ن . ن كلتزر N· N. Glatzer) و (ج . شوليم G Sholem) ١٩٣٣ والطريد Der Verstossene) عام ١٩٢٣ ومجموعة (فى كرمة داود Davids Laube) عام ١٩٥٩ .

هساس Hasas ورجال الأدب الشعبي

نمط آخر من الأدباء هو الكاتب القصصي (حايم هساس) فهو يختلف اختلافا مباينا عن (أجنون) وقد ولد (هساس) فى أوكرانيا عام ١٨٩٧ وقد اهتم كذلك بعرض بيئة يهود شرق أوربا وبخاصة يهود جنوب روسيا وأولئك الذين فروا إلى تركيا وفلسطين وكذلك اليمنيين. ومن أشهر رواياته التى تعالج عدم استقرار اليهود فى أوربا تلك المسماة (بيشوف شل يعر) أى (كفر بغابة) برلين ١٩٣٠ وألف عددا من القصص القصيرة وقد جمعت فى كتاب يعرف باسم (رحيم شبريم) أى الرحى المكسورة وقد صدر هذا الكتاب فى تل أبيب عام ١٩٤٢ وله أيضا (دلتوت نحشت) أى (الأبواب النحاسية ١٩٥٦ .

ومن أشهر رواياته رواية (هيوشيفيت بجنيم) أى (الذين يسكنون الحدائق) ١٩٤٤ والرواية الثانية (يايش) عام ١٩٤٧ وهى تعرض الحياة فى اليمن ، وهنا نجد (يائيس) يرحل إلى فلسطين لتحقيق أحلامه وآماله . فمؤلفات هذا الأديب هامة جـــدا لأنها تعتبر وثائق هامة تتعلق باليهود اليمنيين وقد تركت فى اليمنيين أنفسهم الذين استوطنوا فلسطين أثرا بعيدا إذ أخذوا يتأقلمون تدريجيا حتى ظهر من بينهم أحد مواليد فلسطين عام ١٩١٤ ألا وهو (مردوخاى تبيب) فقد نهج نهج (هساس) وألف قصصا تهتم بالحياة اليهودية اليمنية كما هو مشاهد فى قصة (كعسب هساده) أى(كعشب المرج) ١٩٤٨ وكذلك الحال فى قصته القصيرة (درخ شل عفار) أى الطريق العفار ١٩٥٤ . كذلك ألف الأديب رواية تعرض لمختلف الأجناس اليهودية والعلاقات بينهم ولغاتهم وعاداتهم واسم هـــذه الرواية (كرعر بعربة) أى كالعرعر فى الصحراء ١٩٥٧ ،

ومن مؤلفات « هساس » أيضاً مسرحية « بقص هياميم » أى فى آخر الأيام ١٩٣٤ ثم أعدت عام ١٩٥٠ لمسرح « هبيما » وهى تعرض للاعتقاد فى المسيح الكذاب المعروف باسم « شبتاى ظبى » .

والكثرة المطلقة من المؤلفين المعاصرين فى الأدب الشعبى من طائفة الاشكيناز فالكاتب (هساس) قد يطلق عليه الكاتب الذى اختار اليمنية بنيا (تبيب) يمنى أصيل لذلك يستحب كثيراً قراءة مؤلفات اليهود غير الاشكيناز الذين هم أصدق من الاشكيناز فى تصوير الحياة اليمنية أو غيرها تصويراً أقرب إلى الواقع من غيرهم .

وقد ظهر من بين السفرديم عدد من الشعراء والكتاب ومن أشهرهم الشاعر البلغارى (روفائيل الياس) وقد ولد عام ١٩٠٥ ويعيش منذ عام ١٩٢٣ فى فلسطين ويعتبر من الشعراء العصريين فى تل أبيب وشعره بدائى شعبى وقد جمع فى ديوان يقع فى جزئين اسمه (شمس بدركيم) أى (شمس فى الطرق) وقد صدر عام ١٩٣٩ و (أهباه بمدبر) أى (حب فى الصحراء) وقد صدر عام ١٩٤٦ ، ثم نجد الشاعر يطور أسلوبه فينتقى الألفاظ ويحسن التعبير عند ترجمة بعض المسرحيات مثل (روميو وجولييت) و (ريتشرد الثالث) وغيرهما .

وقد امتاز هذا الشاعر السفردى على غيره من الشعراء الاشكيناز بإتقانه للغة اليهودية السفردية أعنى (اللادينو) أو (الاسبنيولية) فنقل عن الأسبانية بعض التراث الأدبى المعاصر فجمع الشاعر بين القديم والحديث أو الشعبى والرفيع فهو أول من ترجم عن الأسبانية المسرحية الشهيرة (فوينته أوفينه Fuente Ovejuna) أعنى (نبع الشاه) للشاعر الأسبانى العظيم (لوبه ده فيجا Lope de Vega الذى عاش فى القرن السابع عشر وقد ترجمها (الياس) عام ١٩٥١ .

وفى السنوات الأخيرة تكونت جماعة من اليهـــود السفرديم وعنيت بتسجيل الأغانى المتواترة فىاللادينو ومختلف القصص الشعبية وذلك بتسجيلها فى شرائط حفظاً لها من الضياع .

كذلك الحال مع أغانى وأساطير اليهود الأكراد والفرس والعراق ومن أشهر كتاب القصص السفردى (يهودا بورلا Jehuda Burla وقد ولد من أسرة حاخاميين فى القدس عام ١٨٨٦ ودرس التلمود فى معهد بالقدس عرف تلاميذه بجهلهم بكل ما يجرى من دراسات تلمودية فى شرق أوربا حيث كان الاهتمام موجهاً إلى خلق ما يعرف باسم الأدب العبرى ونشر اللغة العبرية وإحيائها وسبب انصراف يهود معهد القدس عن التعرف على ما يجرى فى معهد شرق أوربا اعتقادهم أن هذا الاتجاه الشائع فى شرق أوربا خطيئة كبرى لا تقل فى خطرها عن إقامة الاشكيناز إلى جوارهم .

ثم نجد (بورلا) ينتقل إلى معهد حديث لتخريج المدرسين وكان قد تأسس عام ١٩١٣ حيث تعرف على عدد من المدرسين من بينهم (دافيد يللين David Jellin) وقرروا أن تكون اللغة العبرية هى لغة التدريس بالرغم من أن المعهد افتتح على أن تكون اللغة الرسمية للتدريس هى الألمانية ، كذلك تعرف فى هذا المعهد على عدد من كتاب القصة من يهود شرق أوربا أمثال (فارص Perez) و (منداه Mendele) وآخرين ثم أخذ (بورلا) عام ١٩١٩ يهتم بالقصص المتعلقة بيهود ، فكانت أولى أعماله الأدبية قصصه الخاصة بالصحراء وقد ترجمت منها قصة إلى الألمانية وهى المعروفة باسم (بلى كوكب) أى فى النجوم — مكتوب — وقد نقلها إلى الألمانية (يوسف بن جوريون) عام ١٩٣٧ ، وقد نسج على منوال (بورلا) كاتب مثل (اسحق شامى Jizchaq Schami) وقد عاش فى حبرون حيث ولد عام ١٨٩٩ وتوفى عام ١٩٤٩ وكذلك (يعقوب جورجين Jakov Churgin) وقد ولد فى يافا عام ١٨٩٩ .

ومن الروايات المشهورة للكاتب (بورلا) رواية (اشتو هشنوه) أى زوجه البغيضة وقد ظهرت عام ١٩٢٨ حيث عرض للمصائب التى تتعرض لها المرأة الجاهلة . وفى قصة (بقدوشه) أى (المتزوجة) التى صدرت عام ١٩٣٥ يتحدث المؤلف عن مأساة المرأة بسبب تعدد الزوجات عند اليهود الشرقيين أما قصة (نفتولا آدم) أى كفاح الإنسان فيستعرض فيها قصة يهودى أحب عربية ويؤدى هذا الحب إلى عمى الرجل وجنون المرأة . ومن أشهر كتبه أيضاً (اليلوت أكافيا) أى مغامرات أكافيا وقد صدر عام ١٩٤٧ وهو سيرة شاب يهودى سفردى ترك عمل حداداً متجولا وهو يرى الله فى جمال الطبيعة . ويهتم (بورلا) كذلك بالعنصر التاريخى فى مؤلفاته وبخاصة تلك المتصلة بالمجتمع إلى جانب اعتماده على الأسلوب القصصى وتتجلى هذه العناصر واضحة فى كتابه (بافقه) أى فى الأفق وهو يصور نشاط الحاخام (يهودا شلومو الكالاى) (١٧٩٨ — ١٨٧٨) وهو من أوائل الداعين إلى الصهيونية الذى نشر عقب حادثة القتل العقائدى التى وقعت فى دمشق عام ١٨٤٠ رسالة يدعو فيها إلى جمع كلمة اليهود وعودتهم إلى فلسطين .

وإبان الفترة التى قضاها (الكالاى) حاخاماً فى (سرايفو) قرر جعل تعليم اللغة العبرية إجبارياً على التلاميذ ولكى يصل إلى السفرديم كتب إلى جانب العبرية اللغة اللادينو أيضاً وكان يقول (إن التحرر الطبيعى يأتى عن طريق الاستقلال الذى يجب أن يسبق التحرر والذى يأتى عن طريق انتظار المسيح وهكذا خلق الفكرة الصهيونية الدينية وتبعه الحاخام (كوك) .

أما الحياة فى القدس فقد عرض لها القاص (عزرا همناحيم) الذى ولد فى البوسنة عام ١٩٠٧ كما عنى بالقدس وصفد أيضاً الكاتب الساخر (يهوشوع بر يوسف) وقد ولد فى صفد عام ١٩١٢ وهو ينتمى إلى أسرة اشكينازية وقد نحا نحوه الكاتب (يسحق شنهر) واسمه الأصلى (شينبرج Schönberg وقد ولد فى أوكرانيا عام ١٩٠٧ وتوفى فى القدس عام ١٩٥٧ وقد ألف

كثيرا من القصص التى نشرت فيما بين عامى ١٩٤١—١٩٥٤ كما ألف بعض كتب للأطفال كما تحولت بعض أشعاره إلى أغانى شعبية وترجم بعض الآثار الأدبية الروسية والانجليزية والفرنسية والألمانية .

المسرحية

منذ أن انتقلت فرقة (هبيما) من موسكو إلى تل أبيب أخـــذ المسرح العبرى يتطور كما أصبحت (هبيما — خشبة المسرح) منـــذ عام ١٩٥٨ المسرح الحكومى الرسمى الذى يعرض إلى جانب التمثيليات القديمة المترجمة أخرى حديثة ومن بينها عبرية أصيلة .

وفى عام ١٩٤٤ تأسس أيضا المسرح المعروف باسم (كمر تيـاتر Kammertheater) أى مسرح الغرفة وهو يعنى خاصة بالتمثيليـات الهزلية والاجتماعية . وهناك مسرح آخر تأسس عام ١٩٢٥ يعرف باسم (مسرح أوهيل) أى الخيمة ويعنى هـذا المسرح بتثقيف العمال . وغير هذه المسارح توجد فى فلسطين أخرى تعنى بالنقد . والهدف الأساسى لهذه النهضة المسرحية خلق شعب يتكلم العبرية وتحقيق هـذه الفكرة هو الدعامة الأساسية التى تقوم عليها المسارح وزوارها ، وحتى اليوم لم تتحقق هـذه الأمنية بخلاف الحال فى دول أوربا الشرقية حيث يستخدم اليهود اليديش فالمسرح فى ازدهار وتقدم لا فى شرق أوربا فحسب بل فى أمريكا الشمالية أيضا .

أما التمثيليات التى وضعت للقراءة فقط ولم تمثل فقـد ظهرت فى العبرية قبل أن تظهر الفرق التمثيلية فنجدها فى عصر إحياء العلوم فى إيطاليا وهولنده وفى اللغتين الاسبانية والبرتغالية ومترجمة عن لغات أخرى أجنبية. وفى عام ١٩٥٦ نشر (ا. يارى) مفهرسة تضم نحو ألف وأربعمائة اسم لتمثيلية من

بينها مسرحية مثل (ڤاوست) و (دون كارلوس) و هملت وغيرها .
Faust, Don Carlos, Hamlet

ومن أشهر مؤلفي المسرح أو مترجمي المسرحيات الشاعر « ابراهام شلونسكي » .

ومن أشهر مسرحياته: (أوبرا ثلاثة قروش Dreigroschenoper) و « ناثان الترمان Nathan Altermann » وأهم المواضيع التي تهم مؤلفي المسرح اضطهاد اليهود في روسيا وألمانيا وثورة معزل وارسو والهجرة الشرعية وغير الشرعية لفلسطين كما أن هناك حوالي مائة وخمسين مسرحية تهتم بالحياة في فلسطين عربية ويهودية وانجليزية إبان الاحتلال البريطاني .

وهناك المسرحية البحرية المعروفة باسم « اني راب هاحبل » أنا القبطان وقد ألفها « ى . هليفي » عام ١٩٤٣ كما جاءتنا مسرحية « بعلي همنيستر » أي زوجي الوزير للكاتب ى . بر يوسف وأصدرها عام ١٩٥٠ .

كذلك اهتم الأدباء بتسجيل البطولات مثل تلك القصة التي خلدت بطولة إحدى مجندات سلاح المظلات ألا وهي « حنة زينيش Hanna Szenesch » وقد قبض عليها البوليس السري الألماني أي الجيستابو وأعدمت في المجر عام ١٩٤٤ وقد نشرت حياتها وبطولاتها في مسرحيتين واحدة من تأليف (أهرون ميجد Aharon Meged » واسمها « هسنه هبوئر » أي العليقة المقدة وقد صدرت عام ١٩٥٥ والمسرحية الأخرى من تأليف (أ . همئيري) واسمها « أشره هجفرور » أعني ما أسعد الكبريت وأطيبه » وهذه التسمية مقتبسة من قصيدة للبطلة حنه زينيس » .

ومن المؤلفين الحديثين للمسرح العبرى نغر من الذين شاركوا فى الحرب الفلسطينية العربية وقد حرصوا على تخليد بعض أعمال البطولات التى ظهرت فى تلك المعارك ومن أشهر هؤلاء المؤلفين «يجئل موسينسون» صاحب مسرحية «بعربوت هنيجيب» أى فى صحراء النقب وقد وضعها عام ١٩٤٩ كما عرضها مسرح «هبيما». كذلك نجد الشاعر «ناثان شحم» مؤلف مسرحية «هم يجيئوا محر» أى غدا يأتون وقد صدرت عام ١٩٤٩ .

ومن بين هؤلاء المؤلفين الحديثين من عنوا بالعهد الجديد من الكتاب المقدس مثل (ن. بيستريتسكى — أجنون — N. Bistrizki Agnon) الذى ألف يهودا ايش فريوت» أى يهودا الاسخربوطى[1] وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٠ وكذلك للمؤلف أيضاً كتاب (يشوع منصرت) أى يسوع الناصرى ١٩٥١ .

ومن بين أشهر اليهود الأمريكيين الذين سبقوا غيرهم فى الدعوة إلى قيام الدولة اليهودية ومناصرتها (م ، ى . نوح M E Noah) (١٧٧٥-١٨٥١) وهو بطل مسرحية الكاتب اليهودى الأمريكى (ز. ه. زكلر Z H. Sackler) والذى ولد عام ١٨٨٣ ويعتبر من أشهر مؤلفى المسرح .

أما أشهر كتاب القصص والمسرحيات وأشهر من مثلت له تمثيليات فى ترجمة عبرية هو (شالوم عليكم) الذى كان يكتب عادة فى اليديش واسمه الأصلى (شالوم رابينوفيتش Schalom Rabinowitz) وقد ولد فى أوكرانيا ومات فى نيويورك عام ١٩١٦ إلا أننا نجد زوج ابنته (ى . د . بركوفيتس J d Berkowitz) يشرع منذ عام ١٩١٠ فى جمع إنتاجه الأدبى ونشره فى الفترة الممتدة بين ١٩٣٩ — ١٩٥٤ فى خمسة عشر مجلدا

---

(١) ايش قريوت : انسان القرية

وهى عبارة عن مسرحيات وقصص ويتميز إنتاجه القصصى والمسرحى بأبطاله الذين هم غالباً من الأطفال وبعض أفراد الشعب .

ومن أشهر مؤلفاته مسرحية (طوبيا هحوليب) أى طوبيا بائع اللبن وهو يصوره الرجل الساذج التقى الورع كذلك مسرحية (عمّك) أى شعبك . وفى البيديش نجد له مسرحية (ورقة اليانصيب الرابحة كثيرا das groisse Gewins) وكذلك مسرحية (كشى لهيوت يهودى Kasché lihjot jehudi) أى من الصعب أن تكون يهوديا ، وغيرها . وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى اللغات الأخرى كما أعيد طبع مؤلفاته فى الاتحاد السوفيتى وصدر تخليدا لذكراه طابع بريدى تذكارى عام ١٩٥٩ .

كذلك نجد(يسحق دون بيركوفيتس Jezchak Don Berkowitz) وقد ولد فى روسيا البيضاء عام ١٨٨٥ وهو مشهور بسخريته ومن أشهر مؤلفاته مجموعة تقع فى خمسة مجلدات واسمها (هريشونيم كبنى آدم) أى قبلنا كان أناس (١٩٥٣ — ١٩٥٤) .

وفى الفترة الممتدة من ١٩١٤ — ١٩٢٧ كان « بيركوفيتس » محور الدراسات اليهودية العبرية الأمريكية وتصور قصصه التى نشرها فى تلك الفترة فقراء يهود شرق أوروبا الذين هاجروا إلى نيويورك ومنذ أربعين عاماً يعيش فى فلسطين ويصور الحياة فيها بأسلوبه الساخر سواء فى قصصه أو روايتيه ، أولاهما : « مناحيم مندل بأرض يسرائيل » عام ١٩٣٦ أى مناحم مندل بفلسطين . وثانيتهما : « يموت همشيح » أى عصر المسيح عام ١٩٥٣ ففى الرواية الأولى يصور حياة زوجه فى نيويورك وفى الرواية الثانية يعرض مجموعة من الأمريكيين المهاجرين ليقابل بين الطائفتين وألف أيضاً تمثيلية «اوتو وات بنو » أى إياه وابنه وتدور أحداثها فى قرية بروسيا البيضاء إبان الثورة وقد نشرت عام ١٩٢٨ وأعيد نشرها عام ١٩٥٢ كما مثلتها فرقة « هبيما » .

الشعر الغنائى

رأينا كيف استخدم (جنيسين Gnessin) أسلوباً نثرياً ليس من العبرية أو السامية فى شىء أنه أسلوب غربى أوربى لذلك لايعبر شعره الغنائى عن حقيقة النفس السامية عبرية كانت أو غير عبرية بخلاف الحال مع الشاعر (إبراهام بن يسحق)(الدكتور ا .زونه A· Sonne) الذى ولد فى غاليسيا عام ١٨٨٣ وتوفى فى فلسطين عام ١٩٥٠ وقد عاش فى فينا حتى عام ١٩٣٨ وقد نظم فى الفترة فيما بين ١٩٠٨ — ١٩١٨ بعض القصائد التى نشرها فى المجلات ، وبعد وفاته عام١٩٥٢ نشرت القصائد الأخرى التى خلفها. وأشهر تلميذ له هو(دافيد فوجيل) وقد ولد فى (بودولين Podolien) عام١٨٩١ وقتل فى معتقلات النازية عام١٩٤٣ ؟ وكانت حياة هذا الشاعر كلها شقاء وبؤس فتنقل بين فينا وباريس إلا أن الفقر كان يلازمه وله قصة تعرف باسم « بيبيت همرفه » أى فى المستشفى وقد نشرها عام ١٩٢٨ وتدور حوادثها فى مستشفى الأمراض الصدرية كما وضع عام١٩٢٩رواية تتصل بعلم النفس واسمها «حيي نسوئيم » أى الحياة الزوجية عرض فيها لحياة يهودى ألمانى أى خليط من العنصرين اليهودى والألمانى .

وبعد الحرب العالمية الأولى تكونت فى تل أبيب جماعة من الأدباء المجددين والنقاد تحت زعامة (ابراهام شلونسكى Avraham Schlonski الذى ولد فى روسيا عام ١٩٠٠ وهو من أحسن كتاب ومترجمى اليهود فى فلسطين كما أنه من مؤسسى دار النشر للعمال (سفريوت بوعليم) وقد اهتم فى أشعاره التى تقع فى عشر مجلدات بمختلف المواضيع وبخاصة وصف فظائع الثورة الروسية التى عاصرها وقد ترجمت بعض آثاره الأدبية إلى بعض اللغات الأجنبية(١) .

1) Nicolas M. Lazar : Poètes israeliens d'aujourdhui. Paris 1960

ومن مؤلفاته أيضا كتابه (لابا واما) أى لأب وأم وقد صدر عام ١٩٢٧ وكذلك قصة (ابنيه بوهو) أى حجر التيه عام ١٩٣٤ و (ال ميلت) الامتلاء عام ١٩٤٧ و (ابنه جبل) أى حجر محدد الأركان .

وترجم المؤلف أكثر من خمسين كتابا من الروسية والانجليزية والفرنسية والهولندية ومن بينها بعض مؤلفات « بوشكين Puschkin » و «جوركى Gorki» و «بلوك Blok» وكذلك «شلوخوف Scholochow » و «ر. رولند R Roland» و «د. كوستر de Coster» كما نقل للمسرح للمؤلف «بريشت Brecht : Dreigroschen Oper » أوبرا الثلاثة قروش عام ١٩٣٣ كما ترجم للأديب « جوجول Gogol » مسرحية (Revisor) عام ١٩٣٥ ولشكسبير (همليت Hamlet) عام ١٩٤٦ و (كينج لير King Lear ١٩٥٥ وأخرى .

ومن بين أفراد هذا الفريق من الأدباء نجد « أفيجدور همئيرى » وكان يسمى أصلا «فوير شتين Feuerstein» وقد ولد فى المجر عام ١٨٩٠ وكان ضابطا فى الجيش لذلك اهتم بتصوير الحياة فى الجيش فأصدر مذكراته : « هشيجعون هجدول » الجنون الكبير ، عام ١٩٢٠ وقصصا مثل « تحت شمايم أدوميم » أى تحت السموات الحمراء عام ١٩٢٥ وغيرها

كذلك نجـــد أيضا « ناثان الترمان Natan Altermann » تلميذ « شلونسكى Schlonski » وقد ولد فى وارسو عام ١٩١٠ ورحل إلى فلسطين عام ١٩٢٥ وأصبح شاعرا مجددا من طراز « شلونسكى » ويمتاز « الترمان » على « شلونسكى » بتأثره القوى بالأدب الروسى وبخاصة أدب « ماجوكوفسكى Majakovski » فالترمان شاعر غنائى مكثر نشر مجلدات من الشعر تحت اسم « كوكبيم بحوص » أى كواكب فى الخارج عام ١٩٣٨ و « سمحت عنيم » أى فرح الفقراء عام ١٩٤٤ أو أغانى الميت إلى زوجه

ثم له قصائد عشر تعرف باسم « مكوت مصرايم » أى المصائب المصرية عام ١٩٤٤ وهى تعالج الجريمة والعقاب . كذلك نشر كثيراً من الأغانى فى المجلة العمالية « دبر » وجمعت هـــذه الأغانى فى مجلدين ١٩٤٨/١٩٥٤ وله أيضاً مجموعة أخرى من الشعر تعرف باسم « هتور هشبيعى » أى العمود السابع وفى هذه القصائد يجيب على المسائل التى شغلت اليهود إبان حكومة الانتداب وبعد حرب ١٩٤٨ كما اهتم بتسجيل الأحزان والآلام التى لحقت باليهود الأوربيين أيام هتلر ، ومن أشهر قصائده تلك التى ضمنها المجلد المسمى « عير هيونا » وهى تسمية تعبر عن معنيين إما « مدينة الحمامة » أو « المدينة القوية » .

كذلك ترجم هذا الشاعر بعض الإنتاج الأدبى الأجنبى مثل « عطيل » ١٩٥٠ و « فيدرا » والأخيرة للشاعر الفرنسى « راسين » ١٩٤٥ . وفى عام ١٩٦٢ ظهرت أول مسرحية له واسمها « كينرت كينرت » أى بحيرة طبرية وهى مسرحية تهكمية حول حياة الهجرة الثانية التى نسجت حولها خرافات بطولية عديدة .

الشاعرات العبريات الحديثات

ليا جولدبرج Lea Goldberg

ولدت فى ليتوانيا عام ١٩١١ ومن ثم هاجرت عام ١٩٣٥ إلى فلسطين وحصلت على اجازة الدكتوراه فى اللغات الشرقية من جامعة « بون » وهى تعتبر أشهر شاعرة عبرية وقصائدها تعبر عن نغمة الأغنية الشعبية العبرية وقد ظهر المجلد الأول من ديوانها المسمى «طبعت عاسان» أى حلقات الدخان عام ١٩٣٠ و بعد هذا الجزء من ديوانها ظهرت أجزاء أخرى ومختارات من أشعارها تعرف باسم « برق بيوقير » أى برق فى الصباح عام ١٩٥٦ وقد ظهرت لها عام ١٩٥٥ مسرحية تعرف باسم « بعلت هارمون » أى سيدة القصر وقد مثلها مسرح الغرفة « Kammertheater » ولم تهمل الشاعرة الأطفال بل اختصتهم فى ديوانها الخاص بهم والمعروف باسم « ماصوت هايلوت » أى ماذا تصنع الأيائل ؟

ولم يقف مجهود هذه الشاعرة عند الخلق والإبداع فقط بل اهتمت بالترجمة فنقلت الكثير من الأدب الروسى وبخاصة ما يتصل بالحرب والسلم كذلك ترجمت عن الإيطالية ما يتفق واستعدادها كما ترجمت للمسرح عام ١٩٣٥ « بير جينت Peer Gynt » .

وتجلت عبقريتها اللغوية الأدبية فيما نشرته من بحوث ومقالات أو فى التدريس عندما عينت مدرسة بجامعة القدس العبرية عام ١٩٥٢ لتدريس الآداب الأوربية خليفة للشاعر « لودفيج شتروس Ludwig Strauss » الذى ولد فى آخن « أكس لاشبيل » عام ١٨٩٢ وتوفى فى القدس عام ١٩٥٣ .

و « ليا جولدبيرج » ليست الشاعرة الوحيدة أو الكاتبة اللامعة التى عرفتها العبرية الحديثة بل هناك شاعرات وكاتبات أخريات مثل « راحيل » و « اليشبع » (اليصابات) واسمها الكامل « اليصابات يركوفا بيشوفسكى Elisaveta Jirkowa-Biehowski » (١٨٨٨ — ١٩٤٩) وهذه الشاعرة روسية مسيحية إلا أنها اعتنقت اليهودية وهاجرت مع زوجها عام ١٩٢٥ إلى تل أبيب ويمتاز شعرها ونثرها بالطابع الحزين واهتمت بالكتابة عن الشعراء العبريين والأوربيين وبخاصة « بلوك Blok » .

أما الشاعرة « استير راب » فقد ولدت عام ١٨٩٩ فى فلسطين وهى تعتبر أول شاعرة ولدت هناك ويمتاز شعرها بالرقة والغزارة ويقع ديوانها فى عدة مجلدات . أما شعرها فى الأعوام الأخيرة فتغلب عليه النغمة الحزينة والبأس والخوف وذلك بسبب محاولة البشر غزو الفضاء فالإنسان لم يعرف الأرض بعد ويحلق فى الفضاء .

أما الشاعرة « يوحبت بت مريم » واسمها الأصلى « شليسنياك Schelesniak » فهى من روسيا البيضاء وقد ولدت عام ١٩٠١ وهاجرت إلى فلسطين عام ١٩٢٩ وهى من بين مجموعة الشعراء الذين أبدوا اهتماماً عظيما فى الفترة الممتدة بين ١٩١٧ — ١٩١٩ فى روسيا بنظم الشعر العبرى .

ومن بين أفراد هذه العصبة الشاعرة « بت حاما » أو « ملكا ششتمان Malka Schechtmann » وهى متأثرة جداً بوطنها الروسى حيث كثيراً ما تذكر فى شعرها الحياة الدينية التى تحياها فى بيت والديها وجمال الطبيعة الروسية : وفى عام ١٩٤٣ ظهر لها مجلد من شعرها اسمه « شيريم ليجيتو » أى شعر المعزل .

أما الشاعرة « أندا أمير » (بينكرفيلد Pinkerfeld) فقد ولدت فى غاليسيا عام ١٩٠٢ وبعد أن هاجرت شرعت تكتب فى العبرية وتنظم

فنشرت فيما بين ١٩٢٩ — ١٩٥٧ ثمانية أجزاء من ديوانها وهى تنظم إلى جانب شعرها الغنائى شعراً قصصياً أبطاله من النساء اللواتى يستجبن فى فى حياتهن لغرائزهن كما اهتمت أيضاً بالكتابة للشباب فدبجت المقالات ونظمت الشعر وخاصة الأغانى للأطفال والتى سرعان ما انتشرت على ألسنة الشعب وأصبحت أغانى شعبية كما حرصت على أن تنقل للأطفال نماذج من الآداب الأجنبية تهذيباً لأذواقهم وتنويعاً لثقافتهم .

أما الشاعرة « مريم يلان شتيكليس Mirjam Jlan Stekelis » فقد ولدت فى جنوب روسيا عام ١٩٠٠ وهى تعيش منذ عام ١٩٢٠ فى فلسطين .

وإلى جيل أحدث من هذا الجيل من الأدباء الشاعرة القصاصة «يهوديت هندل Jehudit Haendel» وقد ولدت فى وارسو عام ١٩٢٥ وقد نشرت عام ١٩٥٤ روايتها الشهيرة « رحوب همدرجوت » أى (الحارة ذات الدرج) وهى تصف فيها المشاكل التى تقوم بين الشباب المختلف الأجناس .

أما الشاعرة (ناعومى فرنكل Naomi Fraenkel) فقد ولدت فى ألمانيا ووضعت رواية عن الأطفال والشباب الألمانى قبل عام ١٩٣٣ (أى مجىء هتلر إلى الحكم) وقد أطلقت على هـــذه الروايه اسم (شاؤل ويوحنا)وهى تقع فى مجلدين الأول صدر عام ١٩٥٨ والثانى ١٩٦٣ .

النقــاد

فى مقدمة النقاد العصريين « ى.كلوزنير J.Klausner » و « يروحم فتشل لحوفر Jerucham Fischel Lachover » (١٨٨٣—١٩٤٧) ويرى « كلوزنير » أن الأدب العبرى الحديث يجب أن يصدر عن شخصية وحياة الأديب بينما يخالفه « لحوفر » الذى يرى أن الإنتاج الأدبى كل" وهو بعيد عن البيئة والأحداث الزمنية .

وغير هذين الناقدين نجـد (شلومو صماغ Schlomo Zemach) الذى ولد فى بولنده عام ١٨٨٦ واهتم بالزراعة وإليه يرجع الفضل فى التخطيط الزراعى الحديث فى فلسطين . وإلى جانب هذا النشاط الزراعى نشر كثيراً من القصص والروايات كما كان من النقاد الإنسانيين البنائين .

ومن بين النقاد أيضاً (يشيرون كيشيت Jeschurun Keschet) فى الأصل (يعقوب كوبلوفيتس Jaakob Koplewitz) وقـد ولد فى بولنده عام ١٨٩٣ وهو يعيش فى فلسطين منـذ عام ١٩١١ وقد نظم كثيراً من الشعر الغنائى ونشر ديواناً من مجلدين أولهما ظهر عام ١٩٣٢ وثانيهما عام ١٩٤٤ وهو صاحب كتاب تاريخ حياة (برديتزفسكى Berdiczevsky) الذى نشره عام ١٩٥٨ كما أن له الـكثير من المؤلفات الفلسفية والتاريخية وقد ترجما عن الألمانية والإنجليزية والفرنسية لأمثال (ر. رولاند R Roland) و (ج. كيلر G.Keller) و (توماس مان Thomas Mann) .

وأقرب الـكتاب الألمان إلى قلب الأدباء العبريين (توماس مان) الذى لاقى كثيراً من الاضطهاد إبان الحكم النازى كما جردته الحـكومة النازية حتى من جنسيته وألقابه الجامعية لذلك نجد الشاعر والكاتب العبرى (مردوخاى

أبى شاؤل) الذى ولد فى المجر عام ١٨٩٨ ينقل الكثير من إنتاج توماس مان إلى العبرية كما ألف كتاباً عام ١٩٥٣ حول (ماركس والفن)(١) .

ومن النقاد أيضاً (باروح بنيديكت كورزفيل Baruch Benedikt Kurzweil) وقد ولد فى (ميرين Mahren) عام ١٩٠٧ ونشر كثيراً من البحوث فى اللغتين التشيكية والألمانية كما درس فى السنوات الأخيرة فى جامعة (بار ألان Bar Ilan) المحافظة والواقعة فى (رامات جان) .

أما (هلكين Halkin) فيهتم بدقة التعبير والأسلوب الاشتراكى عند عرض النصوص الأدبية وهذا يتجلى لنا واضحاً فى كتابه الذى وضعه فى اللغة الانجليزية حول « الأدب العبرى الحديث ، اتجاهاته وقيمه — نيويورك ١٩٥٠(٢) وقد ظهرت لهذا الكتاب طبعة أخرى أضيفت إليها بعض الزيادات فى الطبعة الفرنسية التى ظهرت عام ١٩٥٥ .

ولعل أغور الأدباء العبريين علماً وأسلوباً (دوف سدان Dov Sdan) — أصلا شتوك Stock — وقد ولد فى غاليسيا عام ١٩٠٢ وهو يعيش فى فلسطين منذ عام ١٩٢٥ ومن مؤلفاته ما يتصل بالمرح والمزاح وقد نشر هذا الضرب من الأدب عام ١٩٠٥ و ١٩٥٣ ، كما ظهر له عام ١٩٢١ ديوان يضم أشعار الشباب ، ونشر قصصاً عام ١٩٤٢ ومذكرات عام ١٩٤٦ كما ترجم الكثير عن الألمانية والبولندية والييديش وهو يدرس منذ عام ١٩٥١ اللغة الييديش فى الجامعة العبرية فى القدس . أما بحوثه اللغوية فقد جمعت فى مجلد خاص عام ١٩٥٦ كما نشر الكثير من مقالاته فى الصحيفة العمالية (دبار Davar) .

---

1) Mordochai Avi Schaul : Marx und die Kunst.

2) S. Halkin : Modern Hebrew Literature. Trends and Valuest New York 1950

الأدباء الصاعدون

لا شك فى أن البون شاسع بين الأدباء العبريين الذين نشأوا فى فلسطين و الشرق عامة وبين أولئك الذين ولدوا وترعرعوا فى البلاد الأوروبية حيث تعرضوا لمختلف وسائل العنف والتهديد فاهتزت شخصيتهم ووهنت عزائمهم لذلك لا عجب، إذا ظهرت فى فلسطين جماعة الشبان الذين عرفوا باسم (الكنعانيين) أو (العبريين الصغار) (كنعنيم ، عبريم ، صعيريم) وكانوا يؤمنون بما ذهب إليه أمثال « ى . ل . جوردون J L.Gordon » و (ى.بن هـــودا E Ben-Jehuda) و (فريشمان Frischmann) و (بن جـــوريون Bin Gorion) وكذلك (تشيرنيخوفسكى Tschernichovski) وغيرهم الذين كانوا يقولون أن أيدلوجيتهم تختلف كل الاختلاف عن أيديولوجية أولئك اليهود الذين نشأوا خارج الشرق العربى أن الأيديولوجية العبرية الحديثة هى فى الواقع امتداد لهذه العبرية الأندلسية التى نشأت فى أحضان العروبة هـــذه العبرية السامية لا العبرية الحديثة المذبذبة والتى ليست شرقية أو غربية بل هى كالساقط بين الفراشين.

وقد أيد هـذا الرأى ونادى به أيضاً الأديب العبرى « دافيد يلين David Jellin » (القدس ١٨٦٤ — ١٩٤١) فقـد أدرك بثاقب رأيه العلاقة القوية بين الأدب العربى والعبرى والعربى الأندلسى واقتنع بتبعية العبرية للعربية لغة وأدباً وسامية كما تبين العلاقة بين العقيدتين اليهودية والإسلام .

فجميع عوامل القربى والصلة بين العبرية والعربية لفتت أيضاً نظر العالم اليهودى « يوسف يوئيل ريفلين Jossef Joel Rivlin» والذى ولد عام ١٨٩٠ فتعصب له وقال أن التراث العبرى القديم يستمد أصوله أيضاً من

الكنعانية لذلك نجد جماعة الكنعانيين الذين يدعون إلى العودة إلى السامية الأولى إلى السامية الأم ولا يعترفون بما جاءتهم به اليهودية الأوربية الغربية ويقول الكنعانيون أيضاً أن الشاعر العبرى الحديث « يوناثان راتوش » Jonatan Ratosch الذى ولد فى روسيا عام ١٩٠٨ ونظم شعراً هو امتداد لشعر «بعل وعشترت» وإن كان لغوياً يكتب فى العبرية إلا أنه يحرص على تجسد اللغة العبرية القديمة كما جاءت فى العهد القديم وعلى التفكير العبرى السامى الأصيل ويرفض استخدام الدخيل لغــــة ونحواً وأسلوباً ومن هنا أصبح هذا الشاعر وكأنه امتداد للعنصر العبرى السامى الأصيل .

ومن أشهر انتاج هـذا الشاعر ديوانه المعروف باسم « حفه شحور » أى البلدشين الأسود وقد صدر عام ١٩٤١ وكذلك «صلع» أى ضلع١٩٥٩. وقد ترجم نحو ثلاثين كتاباً من بينها قصص (لافونتين Lafontaine) و (بجماليون Pigmalion) لبرنارد شو B. Shaw وبعض مؤلفات (بلزاك Balzac) و (شتيندال Stendhal) و (كاموس Camus) وغيرهم .

واهتم بالترجمة أيضاً تلميذ « راتوش » الا وهو « اهرون أمير Ahron Amir » وقد ولد عام ١٩٢٣ ونظم الشعر ونشر ديوانا من جزئين فى عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٦ كما ألف بعض القصص التى لنشرها عام١٩٥٢ ووضع رواية حربية عام ١٩٥٥ عنوانها « ولو تيهى لموت مشلا » أى لن تقوم للموت دولة .

ومن أهم الآثار التى ترجمها مذكرات تشرشل ودجول وبعض مؤلفات همينجواى Hemingway و (هواود سبرينج Howard Spring) و (ميكا ولترى Mika Waltari) وغيرهم .

وظهر فى فلسطين نمط آخر من الكتاب والشعراء لا يجمع بينهم هدف أو وحدة فنية تخلق منهم مدرسة أدبية خاصة ومن هؤلاء الأدباء (بنحاس ساده Pinchas Ssade وهو من مواليد ١٩٢٩ وقد نشر بعض أشعاره عام ١٩٥١ وهى تحتوى على كثير من النبوءات كما نشر تاريخ حياته (هاحييم همشل) أى الحياة قصة عام ١٩٥٨ . وينهج هذا الشاعر نهجاً شاذاً مخالفاً للذوق الأدبى العام فهو يكاد يشبه الوجوديين فى فرنسا Existenzialisten وفى أمريكا يقابل (بياتنيك) والذى تزعم هذا الاتجاه الشاذ فى الأدب العبرى (ابوت يشورون Avot Jeschurun)وقد ولد فى أوكرانيا عام ١٩٠٤ واسمه الأصلى (يحيئيل بيرلموتر Jechiel Perlmutter)وقد نشر ديوانه عامى١٩٤٢ و١٩٦١ وهو ينحو فى شعره نحو الأدب غير المعقول فيخلط بين ما قبل التاريخ والبداوة والوجودية .

وفى فلسطين نفر آخر من هؤلاء المنتسبين إلى الأدب والأدباء والشعر والشعراء ومن بينهم (حاييم جورى) شاعر الأغانى وقد ولد عام ١٩٢٣ ونشر فيما بين ١٩٤٩ و١٩٦١ ديواناً من أربعة أجزاء تهتم كثيراً بالنزاعات الإسرائيلية العربية كما يلمح القارىء فيها الأثر الفرنسى الحديث . وأشهر المؤلفين الذين ظهروا فى السنوات العشر الأخيرة (موشى شمير) الذى ولد عام ١٩٢١ وهو من أبناء الجليل وقد قضى فترة طويلة فى (قبوص) ثم جندياً وهو اليوم ينشر زيزملف وقد صدر له عام ١٩٤٨ كتابه المعروف باسم (هو هلخ بسادوت) أى (ذهب فى البرارى) والكاتب دقيق جداً فى تصوير الطبيعة لذلك اكتسب اعجاب القراء وبخاصة فى أعماله المسرحية وفى مذكراته يخلد صديقه إليك Elik وقد قتل فى الحرب وتعرف هذه المذكرات باسم (فرقه اليك) وقد صدرت عام ١٩٥١ . ومن اشهر مؤلفاته روايته التاريخية الرواية المعروفة باسم «ملك بسر ودم» أى ملك من لحم ودم وقد ظهرت عام ١٩٥٤ وفيها يعرض أكبر ملوك أسرة الحشمونايم (الكسندر ينای ١٠٣ — ٧٦ق.م.)

ومن ناحية تاريخ الأدب فهذه الرواية هى الأولى منذ مائة سنة حيث نجد رواية « مبو » أحبت صيون . وتعتبر رواية « موشى شمير » الرواية التاريخية الأولى التى تعالج فى العبرية التاريخ اليهودى القديم كذلك الحال مع القصة التاريخية المعروفة باسم « كبست هريش » أى شاه الفقير وقد نشرت عام ١٩٥٧ وفيها يتحدث عن « أوريا » واغتصاب داود لزوجته بت شبع وتدبير داود قتله والتخلص منه ليخلو له الجو وتخلص له زوجه بت شبع أم سليمان ولم يحاول المؤلف تخريج هذا الحادث تخريجا يتفق ورجال العهد القديم وعرض الملك داود رجلا كغيره من الرجال . ومن أشهر مسرحيات هذا المؤلف أيضاً تلك المعروفة باسم « كيلومتر ٥٦ » وقد نشرت عام ١٩٤٩ حول حرب ١٩٤٨ كما أنه وضع مسرحية خاصة بالقبوص والحياة فيها اسمها « بيت هلل عام ١٩٥١ وكذلك « ملحمت بنى أور » أى ملحمة أبناء النور وقد نشرت عام ١٩٥٦ وهى ترجع إلى عصر الاسكندر ينائى .

وبعد كشف مخطوطات البحر الميت اتجه الاهتمام إلى القرن الأول قبل الميلاد حيث نجد حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام كما نجد المؤرخ الإسرائيلى (أ . شاليت A Schalit) يعرض الملك هيرودوس عرضاً جديداً عام ١٩٥٩ .

وثانى اثنين معاصرين (س . يسهر) وأصلا يسهر سملنيكى J Smilanski وقد ولد فى رحبوت عام ١٩١٦ وهو عضو الكنيست عن حزب العمال وهو يعنى بعرض الحياة فى القبوص ومتأثر فى أسلوبه

بأسلوب (جنيسين) و (برينر) ومنـــذ ظهور قصته الأولى عام ١٩٣٩ اعتبر أشهر كتاب القصة وبعد أن نشر عدداً كبيراً من الكتب حول القبوص والحرب عام (١٩٤٥ — ١٩٥٠) ظهرت له قصة من جزئين عام ١٩٥٨ واسمها (يمى زيكلاج) اى (أيام زيكلاج) وقد وصف أسبوعاً من أسابيع فصل الخريف فى حرب ١٩٤٨ — ١٩٤٩ وهو يشيد هنا ببعض أعمال البطولة التى تجلت فى تلك الحرب والتى أبداها شبان تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والعشرين وقد شبهها المؤلف بحرب داود ومدينة زيكلاج (شموئيل الأول ص ٢٧) وهو يدعو إلى السلام ويبغض الحرب .



مارتن بوبر

Martin Buber

أحد مشاهير المتصوفين اليهود الحسيديم (فرقة يهودية) فى دول أوربا الشرقية ، وقد ولد فى (فينا) عام ١٨٧٨ م وعين أستاذا للديانة اليهودية فى جامعة فرنكفورت على نهر الماين فى الفترة الممتدة بين عامى ١٩٢٤-١٩٣٣ م وبعد ذلك نجده عام ١٩٣٨ أستاذا للفلسفة الاشتراكية وعلم الاجتماع فى الجامعة العبرية بالقدس .

وقد نشر (مارتين بوبر) كثيراً من المؤلفات الفلسفية والدواوين الشعرية(١) حتى لقب بلقب (أحاد هاعم) اليهود الألمان وكان (بوبر) كغيره من مفكرى الحركة الصهيونية زعيما روحيا حتى أن كثيرين يعتبرونه زعيم النهضة اليهودية القومية فى غرب أوربا ونال تقدير كثيرين من علماء اليهود أمثال (هنز كوهين Hans Kohn) و (هوجو برجمان Hugo Bergmann) و (مكس برود Max Brod) .

ولم يقف اهتمام (بوبر) بالدين عند اليهودية بل زحف هذا الاهتمام إلى العقائد الأخرى فأخذ يدعو إلى اتجاه جديد روحى فى الحياة لذلك لفت نظر كثيرين من علماء الأديان فى العالم حتى أن الكاتب المسيحى (فلهلم ميشيل Wilhelm Michel) كتب عنه يقول : فى مارتين بوبر تتجلى

---

1) Die Erzählungen der Chassidim
Zwei Glaubensweisen
Dialogisches Leben
Gog und Magog
Pfade in Utopia
Die Geschichten Von Rabbi Nachman

الرسالة الألمانية فى عالم اليوم(١) فالفيلسوف اليهودى يرى أن الحياة الحقيقية توجد حيث يتجاوب الفرد مع البيئة التى يعيش فيها وهو يرى أن محور الحياة هو الحب فالحياة ليست فى الإنسان بل الإنسان فى الحياة لذلك من الجهل أن ينصرف الإنسان إلى العمل لذاته وذاته فقط فهو يفقد كل شىء وهو ميت ، ولو اعتقد أنه حى . وذلك لأن الحياة هى من أعضاء البيئة والأشياء وليست فيهم أو منهم . والتلمود يقرر أن الأشقياء أموات إبان حياتهم والذين يبتعدون عن الحب يحكمون على أنفسهم بالعقم وعدم الحقيقة ومثل هذا الشخص مثل من يريد أن يحتجز القمر فى برميل . وشعار مارتين بوبر « لا أبحث عن حسناتك بل أبحث عنك أنت فقط I seek not thy goods, but thee alone وليس كغيره ينادى بالشعار « ساعدنى للحصول على هذا أو ذاك Help me to get this or that »

وأول حركة سياسية أولع بها (مارتين بوبر) هى الصهيونية مثله مثل أى شاب يهودى فى القرن التاسع عشر وذلك لأنه شعر أنه شرقى غربى ويشك عما إذا كان من الممكن أن يلتقى الشرق بالغرب . وقد أدرك أن البشرية لا تريد أن تعترف بسائر البشر أنهم بشر ضمن الجماعة الإنسانية ولهم نفس الحقوق والواجبات . كذلك فكر (بوبر) فى المجتمع الذى ينتمى إليه أعنى اليهودية وأخذ يعمل مع الصهيونية بزعامة (تيودور هرزل) لأن الصهيونية هى التى تحل هذا اللغز وهذه المشكلة . فالصهيونية هى الركيزة التى قد يعتمد عليها وتستقر بفضلها نفسه فهو من هذا الشعب وشرع ينصرف إلى دراسة شعبه وفهمه .

إن الصهيونية فى رأيه حركة وليست حزباً سياسياً ويجب على كل

---

(1) Wilhelm Michel. Martin Buber In die Wirklichkeit Frankfurt 1926

يهودى أن يكون صهيونياً فانضم « مارتين بوبر » إلى الشعبة الصهيونية التى تزعمها (أحاد هاعم) الذى وجد فى الصهيونية فرصة لبعث روحى . وهجرة عدد من اليهود إلى فلسطين تجديد للنفسية اليهودية وذاتيتها وللقومية اليهودية . والقومية فقط هى الدافع إلى الخلق والإنشاء وذلك لأن القومية هى تغلغل المواطن فى وجوده واكتشاف نفسه وكسبها عن طريق القومية وبواسطة القومية يكتشف الفرد الإنسانية والخلق .

وهكذا أخذ يسير « مارتين بوبر » فى طريق أحاد هاعم الذى كان يقول أن الصهيونية تهدف إلى بعث القوى الحيوية فى الأمة . إن الصهيونى لا يركن إلى الإغراق فى الدين اليهودى كما يقول أحاد هاعم .

ويرى الشاعر « ريتشارد بير هوفمان Richard Beer Hoffman » أن القومية كامنة فينا فمن منا يشعر أنه وحيـــد ؟ أنت حياتها وحياتها حياتك(١) .

وعبر نفس الشاعر عن هـــذه الفكرة فى مسرحيته « حلم يعقوب Yaaakob's Traum » بقوله « لن يستطيع أن يصغى إلى العقل إلا أنه يجب أن يستمع إلى صوت أسلافه الذى يجرى فى شرايينه(٢) » .

والمؤثر الثانى الذى أثر فى حياة « مارتين بوبر » غير الصهيونية هو مذهب الحسيديم كما تبين هذا من مقاله « طريقى إلى الحسيديم Mein Weg Zum Chassidismus » ويعتمد هذا المذهب على :

---

1) In uns sind alle, wer fühlt sich allein ? Du bist ihr Leben, ihr Leben ist dein.

2) " He cannot listen to reason but must hearken to the voice of his ancestors which comes through his veins "

أولا — يقيم حياة جماعية تعتمد على تقديس عقيدة دينية مشتركة بينهم. فالمذهب الحسيدى يتجه إلى محور حى ألا وهو « صديق » الذى هو على اتصال خاص بكل فرد.

ثانياً — الله يرى فى كل شىء ويصل إليه الإنسان بكل وسيلة .

ثالثاً — عبادة الله تقوم على جلب السرور للآخرين والعمل على كسب صداقة الآخرين والتآخى بين الناس .

رابعاً — انتظار المخلص وكل عمل طيب يقرب مجيئه .

* * * * *

آش شالوم

Ash Schalom

ولد فى ١ اكتوبر ١٨٨١م فى (كولنو Kulno) ببولنده

كاتب قصصى ومؤلف مسرحى وكان يعيش فى أمريكا وله كثير من الروايات التاريخية والقصص اليهودية الحديثة وغيرها(١) ومن أشهر مؤلفاته (قدوش هشيم Kiddush Ha-Shem) وهى ملحمة ترجع عناصرها إلى عام ١٦٤٨ وقد ترجمت إلى الانجليزية ونشرتها جمعية النشر اليهودية فى أمريكا عام ١٩٤٣ م .

ويعرض المؤلف فى كتابه هذا إلى المصائب التى تعرض لها اليهود فى روسيا فى العصر القيصرى مع العناية بتصوير الحياة الاجتماعية اليهودية الروسية ...

ففى الفصل الأول يحدث القارىء عن الأحداث التى تقع فى مروج (زلوخوف Zlochov) التى تقع فى مراعى (بودوليا Podolya) التابعة لاقليم (شرنين كونيتس بولسكى Chernin, Konitz-Polski) حيث يقيم اليهودى الوحيد (منديل Mendel) وكان يدير ماخورا ويشرف على كنيسة رومية ارثوذكسية بالقرب من زابوروشيس قوزاقيس Zaporouhe

1) Ein Glaubensmartyrium
Motke Gannew
Trost des Volkes
Gott der Rache
Sabbatai Zwi

Cossacks وكان يتاجر معهم وكثيراً ما كان يعبر نهر الدنيبر حيث يتجمع القوزاق للتشاور فى محاربة الترك مثلا . وقد اعتاد «منديل» أن يبيع للقوزاق الجلود التى يحصل عليها من يهود « فولهينيا Volhynia » وكذلك الشيلان الكتانية والصوف المصبوغ وبعض الخمـــور والحلوى اليهودية التى تصنعها امرأته . وقلما يعود من رحلته التجارية هذه دون أن يلحق به بعض الأذى وإن انتفخت حقيبته بالنقود النحاسية أو العملة البولندية والفضة التركية . وأحياناً كان يستبدل بضاعته ببنادق تركية وسيوف مزينة مقابضها المصنوعة من السن ببعض الأحجار الكريمة أو السجاد التترى أو القوزاقى أو فراء الثعالب .

واعتاد « منديل » أن يبيع هذه البضائع القوزاقية فى أسواق « شيهيرين Chihiren » و « لوبنو Lubno » حيث يقيم البـارون « فيشنيفيتسكى Vishnewetzki » . الذى كان يعطف على اليهود وأباح لهم الإقامة فى بلده والاتجار فيها .

ولعل السر فى وحدة « منديل » فى هذه البـلدة خلوها من معبد ومقابر لليهود مما جعل أبنـاء طائفته ينفرون من استيطانها وكان « منديل » يضطر إلى الانتقال إلى جهة أخرى بها معبد يهودى لإقامة شعائر دينه .

وحدث أن النبيل الروسى « كونيتس بولسكى Konitz Polski » وفد على مدينـة « زلوخوف » للصيد وقرر إقامة حفلات راقصة لضيوفه فى أملاكه الخاصة ابان موسم الصيد . وكان اليهودى « منديل » حريصاً على استغلال مثل هذه الفرصة فكان يقوم بصناعة القفازات للضيوف سيدات ورجالا للبسها عند الرقص ، وجرت العادة أن الشخص لا يرقص بالقفاز إلا رقصة واحدة ثم يلقى بالقفاز ويشترى غيره من اليهودى « ميندل» الذى كان نشيطاً جداً فى بيع ماالديه بينما يدور ابنه الوحيد «شلوميله Shlomele»

ويجمع القفازات التى ألقى بها الضيوف فى حفلة الرقص لإعادة كيها وبيعها ثانية وثالثة .

إلا أن اليهودى « منديل » كان لايضيع فرصة تتيح له لعنة الجوييم (غير اليهود) إلا انتهزها فقد كان إذا مافرغ من بيع قفازاته اندفع فى لعن الجوييم راجياً لهم الفناء . فهم كفار لايعبدون « يهوه » وهم يرفضون السماح لليهود بتشييد معبد لهم . « ألم يحن الوقت يا « يهوه » لتشييد معبدك المقدس ؟ أعتقد أن الوقت لم يحن بعد لتكن مشيئتك يا « يهوه » .

وهنا يبصره النبيل الروسى وهو يتمتم بلعناته فيحذره من صلاته الشيطانية وأن اليهودى يطلب للجوييم اللعنات ، ويحاول (منديل) الاعتذار ويدعى حقارة شأنه ، فمن هو حتى يستنزل اللعنات على الجوييم وهو الذى عرف والد النبيل الروسى السيد المهذب الوقور . ما ألطفه وأرقه نبيلا مهذباً ثم يقول فى العبرية « هكذا يفنى سائر الخطاة » .

ويعترضه النبيل الروسى المسيحى قائلا : ما هذه اللعنات التى تفوهت بها فى لغة الشيطان (العبرية) سأعاقبك حياً لو عدت ولعنت والدى فى قبره .

إلا أن اليهودى يلح فى الادعاء إنما هو يطلب فى اللغـــة العبرية الرحمة لوالده ولا سيما فاللغة العبرية لغة مقدسة اتجهت بها إلى الإله (يهوه) راجياً إياه أن يسكنه جنة اليهود الجميلة .

ويدور حوار بين النبيـل المسيحى الروسى وبين اليهودى نقرأ فى هذا الحوار خصائص وأخلاق اليهودى وكيف يتمنى الشر للجوييم مهما أحسنوا إلى اليهود وهكذا يعرض موقف اليهودية من أصحاب العقائد الأخرى ولا

يرى المؤلف أنه مخطىء فى عرضه لأنه يشير بذلك إلى تمسك اليهودى بتعاليم دينه بالرغم من حياة البؤس والشقاء التى يحياها .

ثم نقرأ كيف رغب النبيل الروسى إلى اليهودى أن يعد حفلة ترفيهية لضيوفه يغنى فيها اليهودى بعض أغانيه وغنى اليهودى فطلب إليه النبيل أن يتمنى أمنية جـــزاء غنائه فتمنى اليهودى أن يسمح النبيل لليهود بإقامة معبد ومقبرة فاجابه النبيل إلى طلبه على أن يحنى اليهودى رأسه ثلاث مرات أمام نصب المسيح ويبارك العذراء ثلاثاً فإن فعل اليهودى هذا أجيب إلى طلبه فامتنع اليهودى نخيره النبيل بين تقديس المسيح وأمه وبين أن يقدم لعبة متنكراً فى فراء وفضل اليهودى القيام باللعبة التنكرية فمنحه النبيل الاذن بإقامة المعبد والمقبرة ففرح اليهودى فرحاً شديداً وزف البشرى إلى كثيرين من اليهود وإلى ابنه وزوجه .

وانتشر خبر الشروع فى إقامة المعبد والمقبرة فى جهات كثيرة فسارع اليهود إلى الهجرة إلى مدينة « زلوخوف » لمركزها التجارى الهام وبخاصة مع القوزاق .

وبعد عامين تم تشييد المعبد الحصن لأن المعبد اليهودى ليس بيتا للعبادة فقط بل حصناً يتحصن فيه اليهود إذا ماداهمهم خطر كما أنه قاعدة للهجوم على الآخرين .

ولما كان (منديل) هو المواطن اليهودى الأول فى (زلوخوف) فقد عين رئيسا على الجماعة اليهودية الجديدة وتعزيزا لمركز المدينة اختار (منديل) حاخاما متضلعا فى الشريعة وله مكانة مرموقة بين اليهود فوقع الاختيار على حاخام يلقب بلقب (بوابة العدل) وأغدق عليه المال كما منح زوجه حق احتكار بيع الشمع فى المدينة وأبرم العقد بين الطرفين .

وتوطيدا لأواصر القرابة مع الحاخام قرر (منديل) عقد قران ابنه (شلوميل) على ابنة الحاخام واسمها (دبوره) وتقرر أن يعقد قرانهما يوم تدشين المعبد كما جرت عادة اليهود عند تدشين المعابد إذ كان يعقد قران بين أكبر أسرتين فى المدينة .

ويذهب المؤلف بعيدا فيصور لنا حياة المجتمع اليهودى وقتذاك بما فيه من حسنات ومساوىء والاضطهادات التى تعرض لها من الجوييم .

فرنس كفكا

FRANZ KAFKA

٣ يوليه ١٨٨٣ براج وتوفى فى ٣ يونيه ١٩٢٤ « كيرليج » فينا — النمسا

زار كفكا حديقة الأسماك ببرلين ووقف أمام بيت من بيوتها الزجاجية يرقب الأسماك فى غدوها ورواحها ففرح لإقبالها عليه وخاطبها قائلا : لك أن تأنسى إلى فلن آكلك لقد حرمتك على نفسى كما حرمت سائر الذبائح « كثيرها وطريفها » لقد قاسيت طويلا من غلظة قلب الإنسان ووحشيته إننى حلم فى هذا الوجود أكره الموت ولا أستطيع رؤية الدم لذلك حرمت على نفسى اللحوم واكتفيت بالنباتات وكما أن نفورى من القتل والذبح صيرنى نباتياً كذلك قسوة الإنسان وظلمه لأخيه الإنسان بغضت إلىّ الاطمئنان إلى بنى آدم لقد قاسيت كثيراً من قسوة والدى وجفوته وكم ضايقنى بصياحه وبذاءته ولن أنسى ألفاظ السباب التى وجهها إلى أحد عمال متجره وكان شاباً فقيراً مريضاً بذات الرئة فنهره والدى قائلا اذهب إلى غير رجعة أيها الكلب العليل وكم مرة كان يخاطب موظفيه قائلا عجباً عجباً آجركم وأنتم الأعداء ؟ فهذه الخصال أوغرت صدرى على والدى وجعلتنى أخافه وأخشاه وإنى لأذكر أن العمال مرة قرروا ترك العمل فتدخلت والدتى ورجتهم العفو عما بدر منه فقلت لها إن مثلك مثل كلب الصيد الذى يطارد الصيد ليصطاده الصياد :

ويذكر الأديب فى رسالة من رسائله أن فظاظة والده وغلظته من الأمور التى وجهت الأديب « فرنس كفكا » إلى فكرة التناسخ وتحول الإنسان إلى حشرة فى قصصه ورواياته فقد شبه نفسه كيف تحول إلى جعران عظيم

يقنع بالسماح له فى النوم على سرير بينما يسرى جسده الحزين إلى النـاس . وفى قصة التناسخ التى ألفها عام ١٩١٢ نجد عامل التناسخ هذا يتجلى فى تحوله إلى قرادة صغيرة بغيضة .

و « فرنس كفكا » طويل القامة نحيف القوام له عينان واسعتان تظلهما أهداب ســوداء ويتوسط وجهه الخمرى أنف أقنى وفم لا تفارقه الابتسامة كما يؤمن أن حظه فى الحياة مرتبط بهذا العالم فهو حريص على سيادة السلام والصفاء فى الوجود .

أنه يعتقد أنه والمعزل وحدة ، والمعزل والكون وحدة والله وحدة الوجود بالرغم مما فيه من خير وشر وخير دليل على هذا أن لفظ «ساكير Sacer » اللاتينى يعبر عن « المقدس والملعون » .

ومن هنا نفهم سر شكاته منذ طفولته قسوة وجوده فى الوجود ويرجو الخلاص من الوحدة ، من الخوف ومن الغربة التى كان يشعر بها جميعها حتى فى بيت والديه أو المدرسة أو فى عقيدته اليهودية ولم يجــد إلى هذا الخلاص سبيلا إذ أن اليهودية التى أخذها عن والديه لم تكن شيئاً يشبع رغباته الزوجية فهو يذكر أنه لما كان طفلا كثيراً ما وبخه والده ونهره لأنه لم يذهب معه إلى المعبد ولم يصم ولم يراع الطقوس وغيرها من التعاليم الدينية ، ولما تقدمت به السن ازداد عجبا من والده الذى استباح لنفسه وهو الفقير جدا جدا فى معرفته باليهودية بل ويكاد يكون معدما ، توجيه اللوم إلى « فرنس » الذى رفض الإيمان بهذا الفقر العقائدى الدينى الذى لدى والده. حقا إن نصيب والده من الدين لا يساوى شيئاً إنه السخرية بعينها أنه يذهب أربع مرات فى السنة إلى المعبد ويؤدى الصلوات عرضا لا جوهرا ثم يدهشنى أنه يتيه عجبا ويضع أصبعه فى كتاب الصلوات على الصلاة التى صلاها وسألته مرة إذا توجهت معه إلى المعبد مرة أيجوز لى أن أتنقل إلى حيث أريد إذ

لم يكن هـذا فى الإمكان فسأتثاءب إذا ما مضيت هـذه الساعات الطويلة فى مكان واحد بالمعبد بخلاف الحال لو توجهت إلى قاعة رقص فإننى سأشعر حقا بشىء من المتعة والسرور. وفى المعبد لما يفتح الهيكل يبدو وكأنه مكان للتدريب على الرماية فإذا أصاب الرامى الهـدف الأسود فتح له الباب مع الفارق إذ أن الرامى فى مكان التدريب يخرج بشىء لطيف أما فى المعبـد فلا يرى شيئا إلا هذه الدمى وكأن مقصلة فصلت رؤسها .

ولست من الذين يحبون المسيحية ولم أحاول يوما ما أن ألمس جدائل الطليت كما يفعل الصهيونيون . أنى الآخر أو الأول .

ويتألم « كفكا » لمصير عالمنا هـذا الذى بدا إنسانيا ثم تطور إلى القوميـة وأخيرا بلغ الوحشية .

فمرض التطور من الحسن إلى السيء كامن فى مجتمعنا الإنسانى ولا أمل فى التخلص منه ومما يؤسف له حقا أن أكثر الناس تعرضا له أولئك أصحاب الحس المرهف والعاطفة الإنسانية الساميـــة ويتفق « كفكا » فى رأيه هذا والأديب الروسى « دوستويفسكى Dostojivski » لذلك كان « كفكا » من أكثر الأدباء إعجاباً به فقرأ له معظم إنتاجه وبالرغم من أنه ولد فى براج وبجيد التشيكية إلا أنه كان مولعا جدا بالألمانية وآدابها ولو أنه حصل عام ١٩٠٦ على إجازه الدكتوراه فى القانون لكسب عيشه . واضطرت ظروف الحياة والدى « كفكا » إلى التنقل من حى إلى حى ومن مدينة إلى مدينة ومن بلد إلى بلد ففى طفولته قطن والداه فى حى قـــديم يناسب والديه تجاريا وكان هذا الحى يزخر بالمواخير وما إليها مما دفع كثيرين من أغنياء اليهود إلى هجره فقضت هـذه الهجرة تدريجياً على بقايا التقـاليد اليهودية التى اكتسبها الحى قديما ولم يكد (كفكا) يودع الطفولة حتى أخذ ينتقل مع والديه من حى إلى آخر حيث تروج بضاعتهم وتتضاعف ثرواتهم .

هذا (كفكا) الانسان الرقيق الإحساس الذى شقى لشقاء غيره وظلم الإنسان للانسان فكان يهرب من الواقعية إلى المثالية فقرأ (شبينوزا) وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة وحاول وهو واقف على أعتاب الشباب تحرير صديقه الوحيد (هوجو برجمان Hugo Bergmann) من أدران الصهيونية وتخلف اليهودية وكسبه للذهب الذى تعصب له ألا وهو (البنتزيم Pantheism) والقائل إن الإله الواحد هو كل الكائنات و (كفكا) يرفض اليهودية نهائيا ولا يقبلها دينا وموقفه هذا منها ومن المعبد وزيارته دفعه هو وبعض زملائه فى الدراسة إلى تكوين الجمعية التى اشتهرت باسم المدرسة الحرة (Freie Schule) ورسالتها محاربة الطقوس الدينية البالية وتدريسها فى المدرسة .

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره قرأ (لغز الوجود للفيلسوف هيكل Haeckels Welträtsel) كما اهتم أيضاً بقراءة (دروين Darwin)

وكان (كفكا) وصحبه يمثلون بين طلبة المدرسة طبقة المفكرين الأحرار . لقد خلق الله الإنسان للجنة فالجنة مقره ومقامه ثم تغير رأى الإنسان فهل تغير رأى الجنة ؟ إن موقف الله من مخلوقاته فيه نظر وذهب الله بعيدا فكره الكثرة المطلقة منهم .

وأخذ (كفكا) يتجول فى مختلف المنتديات الأدبية فى براج حيث يتجلى فيها آخر لمسات الحضارة والفن وتغشاها طبقات بسط الله لها فى الرزق والتفكير والجمال، فالمنتدى كان يجمع الخالدين حقا أو الذين كتب لهم الخلود ومن أشهر المنتديات التى كان يتشاها (كفكا) منتدى (فنتا Fanta) حيث تزين عقده السيدة (برتا فنتا Berta Fanta) وأختها (ايدا Ida) وكان من رواده (البرت اينشتين Albert Einstein) الذى كان يدرس وقتذاك فى جامعة براج وصديقه الأستاذ (هوبف Hopf) حيث كانت

تلقى محاضرات فى (النسبيه) والروحانيات و (الثيوزوفية Theosophie) وهى الفلسفة التى تهدف إلى معرفة الله عن طريق الهيام الروحى أو الإيحاء المباشر أو علاقات فردية .

وقد حاضر فى هذه الفيلسوف (رودلف شتينر Rudolf Steiner) لما جاء إلى براج لافتتاح أول مركز لهذه الهيئة واسمه (لوج بولزانو Bolzano – Loge) فى مدينه براج .

وإلى جانب اهتمام (كفكا) بالعهد القديم و(دوستيفسكى Dostojewski) و (الكسندر هـــرزن Alexander Herzen) و (كروبتكين Kropotkin) أخذ يهتم أيضاً بموضوع الزواج على أنه وسيلة من وسائل التجديد فى كيان الفرد عن طريق الأطفال إلا أن نظرته الفلسفية إلى المجتمع ومرض السل الذى قوض صحته أبعد هذه الفكرة عن اهتمامه .

إن الموت سببه المرض ومصدر المرض الخطيئة . لذلك نجد هذا الأديب يعنى فى كتبه بهذه الناحية فهو يجعل من الحيوان آدميا ومن الآدمى حيوانا ففى عام ١٩١٢ كتب « التناسخ » و « الحكم » كما كتب فيما بين ١٩١١ – ١٩١٤ أمريكا وفى عام ١٩١٤ القضية وفيما بين ١٩١٦ – ١٩١٧ طبيب الريف وقصصا أخرى وفى ١٩١٨ – ١٩١٩ عند بناء حائط الصين وخطابا إلى والده وفى ١٩١٩ – ١٩٢٤ أبحاث كلب و ١٩٢١ – ١٩٢٢ القلعة .

ولكى ندرك مدى مرارة « كفكا » وسخطه على البشرية أنه أهدى عام ١٩١٩ كتابه طبيب الريف إلى والده الذى لم يقرأه فأقبل على « كفكا » مدرسه فى اللغة العبرية واسمه « فريديش تيربرجر Friedrich Thierberger » وهنأه لاهدائه كتابه إلى والده فأجابه « كفكا » انى لم أقصد اهداء كتابى ولكن أردت السخرية فقط .

ومات « كفكا » ولم تتحقق أمنيته ألا وهى أن تسود العالم حياة دينية عالية تعتمد على التصوف وليكن اليهودى القديم .

نللى سكس

Nelly Sachs

ولدت فى ١٠ ديسمبر ١٨٩١ ببرلين وتوفيت فى استوكهولم عام ١٩٧٠

شاعرة الآلام والأحزان لذلك يعرف شعرها أحيانا باسم شعر الصمت وإذا نطق عبّر عن مقدرات الشعب اليهودى وما لقيه إبان الحكم النازى. ومن حسن حظ (نللى) أنها نجت من نيران إبادة اليهود فأنقذت الكلمة فقط كما أنقذت الشاعرية التى خلدت فيها آلامها وأحزانها وبذلك استطاعت إحياء لغة العقل صيغة التعبير والعبقرية والإبقاء عليها بالرغم من التعذيب والاضطهاد فهى تقول «إذا لم أستطع الكتابة ما استطعت الحياة ، إن الموت كان معلمى واستعاراتى الشعرية هى جروحى » هذه هى العبارة التى عبرت بها عن ذكريات الآلام والتعذيب التى قاستها ولم تجد منقذا لها إلا الكلمة .

إن حياة الشاعرة الألمانية اليهودية (نللى) كانت سلسلة متصلة من التجارب والمصائب التى لم تخطر على بالها فى أوائل حياتها ، فقد ولدت فى بيت ثرى عظيم فوالدها كان صاحب مصنع من أحسن مصانع النسيج فى ألمانيا وهو (وليم سكس) ورأت عيناها نور الوجود فى حى من أحياء (تير جارتن Tiergarten) فى برلين وهو الحى الغربى القديم لعاصمة ألمانيا . وقد عاشت حياتها الأولى فى فترة سادتها المنازعات الاشتراكية والاقتصادية والسياسية. أما من الناحية الدينية فلم تكن الأسرة يهودية محافظة بل متحررة لاتهتم بالطقوس الدينية أو التقاليد اليهودية إلا فى الأعياد الكبرى فقط . وكانت (نللى) تفتح قلبها لطقوس الديانات الأخرى وعقائدها فاليهودية والألمانية والجمع بينهما لم تكن مشكلة فى ذلك العصر .

وفى عام ١٩٣٠ توفى «وليم سكس» الوالد الحنون وترك خلفه (نللى) ووالدتها فى برلين بالرغم من بوادر العداء للسامية التى أخذت تكتسح المجتمع الألمانى فى ربيع عام ١٩٣٣

فكر صديق الأسرة فى الاتصال بالشاعرة السويدية (سلمى لاجارلوف Selme Lagerlöf) ورجاها مساعدة (نللى) ووالدتها ولاسيما فالشاعرة (نللى) كانت تتبادل مع الأديبة السويدية المراسلات منذ سنوات عديدة . ومن حسن الصدف أن الشاعرة السويدية التى توفيت فى مارس ١٩٤٠ استطاعت وهى على فراش الموت الاتصال بأسرة الكونت (برنادوت Bernadött) والمؤسسات الخيرية السويدية الحصول على منحة لكل من (نللى) ووالدتها وهذه المنحة عبارة عن تأشيرة دخول للسويد . فهاجرت (نللى) ووالدتها إلى السويد ولا تملكان شيئاً ولا حتى لغة التفاهم وأنزلتا فى غرفة صغيرة فى حى بجنوب استوكهلم .

ثم أخذت تتوالى الأحداث وتنشر أخبار الفظائع النازية فى ألمانيا وخارجها فهزت جميع العالم وكانت الشاعرة (نللى سكس) من أكثر الناس تأثراً بهذه الجرائم لذلك نجدها تنزوى فى هيكلها الشاعرى الذى لا يعرف سكوت الموت كما تستخدم الكلمة ، والكلمة التى كانت فى البدء وهى مصدر القوة وتكسر الأغلال وتقاوم الحراسة التى ضربت عليها . الكلمة التى تهتك ثوب الرياء وتفك أصفاد الاستعباد استعباد الروح لا الجسد .

إن شعر (نللى سكس) هو أناشيد الحياة والنصر وقد بعثت بها إلى

الأبرياء المعذبين لم توجهها الشاعرة ضد الموت الذى جاءت به أقدار الطغاة بل ضد الموت الكاذب الموت الصادر عن إزهاق الأرواح والقوة .

إن (زالى) لم تستوح العهدين المقدسين أعنى القديم والجديد بل استوحت سفر الزوهر(١) فهو ملهما لفظاً ومعنى . كذلك تأثرت بالفلسفة الألمانية الثيوزوسية وهى التى تهتم باطنياً بإدراك المسائل الإلهية وسير الكون وبخاصة كما يعرض لها الفيلسوف الألمانى (ياكوم بوهمه Jakom Böhme) .

ويتصاعد دخان الحرب وويلاتها فيغطى كل القارة الأوربية فتسارع الشاعرة إلى مخاطبة الذين نجوا من الجحيم شعراً ضمنته قصائدها المعروفة باسم (كورين ناخ ميترنخت Chören nach Mitternacht) أى أغانى المجموعة بعد منتصف الليل . حيث تخاطبهم بقولها : lässt uns أى اتركوا لنا الحياة نتلمسها فى هدوء ونتعلمها das Leben leise wieder lernen) وفى الجزء الثانى من ديوانها الذى اتخذت له شعاراً خاصاً ألا وهو (شتيرن فردنكلونج Sternver- dunklung) أى خسوف النجوم وفيه تستحلف الذين اضطهدوا ألا يضطهدوا الآخرين Dass die Verfolgten nicht Verfolger) werden) .

أما الفترة الممتدة بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٥ فهى فترة الشعر الغنائى الذى نظمته الشاعرة تعبيراً عن شكرها للبلد المضيف السويد فقدمت كما قدمت

---

(١) — هو سفر يهتم بروح التصوف اليهودى ..

من قبل ، للشعراء الغنائيين الألمان صوراً أخرى حيـــة ناطقة للشعراء الغنائيين السويديين . وهكذا أخذ نجم (نللى سكس) يتألق فى سماء الشعراء العالميين ، ففى عام ١٩٥٨ منحتها جماعة الشعراء السويديين الجائزة الأدبية . وفى مايو ١٩٦٠ أقبلت يرافقها نخبة من أدباء السويد وألمانيا من زيورخ إلى (ميرزبرج Meersburg) على (بودنزه Bodensee) لتتسلم جائزة — دروسته Droste - Preis) . التى منحتهالها جماعة الشاعرات الألمانيات . وتكريماً لها أيضاً منحت فى أكتوبر ١٩٦٥ فى كنيسة بولس فى فرنكفورت جائزة السلام مقدمة من هيئة الناشرين الألمان .

وفى العام التالى أعنى ١٩٦٦ تسلمت مع (س.ى أجنون S.J. Agnon) جائزة نوبل فى الأدب فهى أول أدبية تكتب فى الألمانية نالت هذا التكريم وتوفيت فى استوكهلم عام ١٩٧٠

أما تقييم أشعار هذه الشاعرة فقد تضاربت كما يتجلى لنا هـــذا من الكلمات التى ألقيت عند تكريمها بمناسبة حصولها على جائزة نوبل عام ١٩٦٦ فنجد (هـ . م . أنزينسبرجر H.M. Enzensberger) يعتبرها أكبر شاعرة فى العصر الحديث فى اللغة الألمانية بينما نجد (م . لندمان M. Landmann) يجد فى شعرها بعض الانحراف ولا جديد فيه .

أما القيمة الفنية فحتويات أشعارها تعترضنا كألمان .

و(نللى)ولدت لصاحب مصنع غنى فى برلين عام ١٨٩١ ونشأت فى بيئة مهذبة مثقفة وقرأت فى مكتبة والدها كثيراً من المؤلفات الأدبية الرومانتيكية لذلك

كانت أشعارها الأولى تحمل هذا الطابع الرومانتيكى. ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها استقبلت أشعار ومؤلفات (سلمى لاجيرلوف) الحاصلة على جائزة نوبل وسرعان ما بدأت تراسلها وقامت بين الاثنتين صداقة أنقذت حياة (نللى) وأمها من الطغيان النازى حتى هاجرت ووالدتها عام ١٩٤٠ إلى استوكهلم . .

اعتمدت فى تأليف هذا الكتاب على مصادر مختلفة متنوعة فنها الكتب مباحها ومحظورها وتحقيقات بعض الصحفيين الأحرار وكذلك الأحاديث الإذاعية للمعلقين السياسيين التى سجلتها واحتفظ بها فى مكتبتى الخاصة مثل :

" Das Argernis der Absonderung". – Israel im Kreuzfeuer neuer Kritik. Von Ansgar Ahlbrecht (NDR 1 2o. 15 – 2o. 45)

وقد أذيع فى ٦ أغسطس من محطة إذاعة شمال ألمانيا الغربية البرنامج الأول من الساعة ٢٠ وق ١٥ حتى الساعة ٢٠ والدقيقة ٤٥ .

Edmund Schopen : Geschichte des Judentums im Orient. A. Francke Verlag. Bern, 1960

. . . . . . : Geschichte des Judentums im Abendland. Bern 1961

Sigmund Freud, Moses and Monotheism. (Institute of Psycho Analysis 1940

J. H. Hertz, A Book of Jewish Thought . London 1926

Louis Golding, The Jewish Problem, London 1938

Margarete Susman, Das Buch Hiob und das Schicksal des jüdischen Volkes

Sidney Salomon, The Jews of Britain London 1939

Robert St. John, Ben Gurion. Kindler Verlag. München 1961

Paul Rassinier, Le Drame des Juifs Européens Paris 1964

Oscar de Férenzy, Les Juifs, et nous Chrétiens, E. Flammarion 1935

S. Müller, Von jüdischen Bräuchen und jüdischen Gottesdienst. Kauffmann Verlag 1934

Sholem Asch, Moses U.S.A. 1958

David Philipson, Letters of Rebecca Gratz. Philadelphia 1929

Ernst Ludwig Ehrlich. Geschichte der Juden in Deutschland 1961

Dorothy F. Zeligs, Pupil's Activity Book. To Accompany A History of Jewish Life in Modern Times for Young People. New York 1944

Hans E. Stumpf. Es steht geschrieben. Roman der Bibel. Palloti - Verlag 1964

The Israeli League for Human and Civil Rights. Tell - Aviv. " Israelis Versus Israel London 1970

The Year Book of Israel 1967

Israel Atlas

Nagels Reiseführer Israel . Genf 1964

Zeitungen und Zeitschriften :

Die Zeit Nr. 31, Freitag den 30. Juli 1971 " David unter dem Sternenbanner.

Die neue Aktivität der Juden in Amerika von Joachim Schwelien

Kie Zeit 9. Juli 1971 : Ein deutscher Fall Dreyfus ? von Wolfgang Hoffmann

Die Zeit 30 Juli 1971 : Ein kleins Buch nach grosser Reise. Was lange währte wurde nicht gut . Haus Habes Lob für Israel , von Dietrich Strothmann

Die Zeit. 9. Juli 1971 : Kein Wink aus Moskau. Vor seiner Israel Reise : Walter Scheelzur Bonner Nahost Politik von Werner Höfer.

Frankfurter Allgemeine. 6 Juli 1971. Sdcheels Reise nach Israel von Harald Vocke.

Die Welt. 14. Juli Der Wortlaut des "Nahost-Papiers" der sechs EWG-Mitgliedsstaaten. Vorchläge für eine friedliche Regelung

Die Welt 27 Juli. Israelis im Staatsdienst fühlen sich benachteiligt Trotz der Unterstützung Pekings für die palästinensischen. Guerillas· Israel ist an diplomatischen Beziehungen zu China interessiert.

" Beziehungen zu Arabern ohne Vorbedingungen "

Christ und Welt 22.5,1970. Seite 13

Zum Tode Von Nelly Sachs Von Karl Schwedhelm

بعض كتب المؤلف

١ — التوطئة فى اللغة العبرية (القاهرة ١٩٤٠)

٢ — التوراة عرض وتحليل (القاهرة ١٩٤٦)

٣ — قصصنا الشعبي (القاهرة ١٩٤٧)

٤ — أثر الشرق فى الغرب للمستشرق الألمانى جورج ياكوب — يعقوب — (القاهرة ١٩٤٦)

٥ — من الأدب العبرى (القاهرة ١٩٦٣)

٦ — إسرائيل عبر التاريخ (القاهرة ١٩٦٤)

٧ — التاريخ العربى القديم لعدد من المستشرقين (القاهرة ١٩٦٤)

٨ — المجتمع الإسرائيلى حتى تشريده (القاهرة ١٩٦٦)

٩ — المجتمع الإسرائيلى منذ تشريده حتى اليوم (القاهرة ١٩٦٧)

١٠ — شمس الله على الغرب أو فضل العرب على أوربا لسيجريد هونكه (القاهرة ١٩٦٥)

١١ — التوراة الهيروغليفية (القاهرة ١٩٦٨)

١٢ — اليهودية واليهودية المسيحية (القاهرة ١٩٦٨)

١٣ — الدخيل فى اللغة العربية (القاهرة ١٩٥٠)

تحت الطبع

١ — مصر مهد الأديان وحاميتها بتكليف من مصلحة الاستعلامات

٢ — مصر واليهود فى التاريخ » » » »

بعض مؤلفاته فى اللغات الأجنبية

1 – Fouad Hassanein Ali : Sauqi, der Fürst der Dichter (Orientalische Studien, Enno Littmann) Leiden Brill 1935

2 – .. .. : Ägyptische Volkslieder, Stuttgart W, Kohhammer 1954

3 – .. .. : Beiträge sur Kenntnis der Hebräisch Samarita-nischen Sprache Kairo 1947

4 – .. .. : Les Relations entre la Littérature Arabe et la Litterature Byzantine(L'Hellenisme Contemporain) Athenes (Janvier Fevrier) 1952

المحتويات

تصویب

صحیفة	خطا	صواب
١٠	Disapora	Diaspora
١٤	uud	und
١٧	Gesellachaft	Gesellschaft
١٧	Grob	Gross
٢٢	dab	— —
٢٢	Iand	Lan
٤٣	Buc h	Buch
٤٣	grossenn	grossen
٤٤	hahen	haben
٧٥	Dreisgau	Preisgau
٧٩	Baudeliare	Baudelaire
٨٤	Chassinische	Chassidische
٩٦	Geberationon	Generationen

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٢/٣٥٣٠